عبدالرزاق الجبران

لصوص الله

إنقاذ اليوتوبيا الإسلامية



لُصوصُ الله

في إنقاذ اليوتوبيا الاسلامية

انتبه الى يسارك انه يمين!!.

.. إليك ياحافي القلب، فوحدك لاتكذب؛ انتبه الى المؤمنين انهم كفار. انتبه الى المتزوجين ليسوا ازواجا. انتبه الى الصلاة لاتصلي. انتبه الى الاسماء انها غيرها... انتبه الى الفقهاء انهم يكتبون الله وهم لايعرفون قرأته.. انتبه الى العشاق انهم يلهون، والقلب لايلهو بعشقه ياحافي القلب، انه يموت به فحسب. لم يمت عاشق بعيدا عن قلبه قط، انه يموت بعيدا عن قبره فحسب.. لم يبقَ عاشقٌ ولا مؤمنٌ. كلنا نكذب، في عشقنا وفي إيماننا.. لاسماء هنالك ولا قلوب..

انتبه للتاريخ إما انبياءٌ لله، او لصوص لله.. هذه حيرة الوجود.

كُفرُ المعبد..

(علموني الكفر بكل شيء..)

خليل الكافر [1]

(إن الكفر ليضحك من إسلامنا..)

محمد إقبال

1

يوم كان للفروسية حكمتها، كان ممن منحها اسما، يتنهد مع كل ضربة سيف، مردداً مفارقة كبرى، لايمكن ان تعقلها الفلسفات الاخلاقية؛ (كم عليَّ ان أقتل حتّى اصبح طاهرا..؟)

ولكن تنهيدتي كانت أكبر، ومفارقتي ابعد؛ (كم علي أن أكفر حتى أصبح مؤمناً؟.)

..أقطعُ امام الله نفسه ، واقسم بكل تهاون السماء في صخب التّاريخ، وبكل زعلي في ذلك، انه ؛ (كي تكون مؤمنا بالله، فعليك ان تكفر بالمعبد). و أن تنكُرَ كل فقهه واحكامه وسلوكه وتاريخه. بل الأمر بالمطلق، كي تكون مع الحقيقة فعليك أن تكفر بما اتفقت عليه البشرية من اشياء مازالت تُسمى الحقيقة سواء كانت تاريخاً او ديناً او قيما.

---

[1] خليل الكافر هو الراهب المتمرد على الكهنوت في القطعة القصصية المشهورة لجبران خليل جبران في نص أدبي فلسفي، والتي مثلت الانقلاب الوجودي الاكبر له على الكهنوت.. اعتقد ان ما فعله الكهنة بالتاريخ وماكانوا عليه جعلنا نشك بكل شي يأتي عن الدين والتّاريخ. يشكرون على ذلك تحديدا. كما اشكر الاقدار انها بدأتني راهبا حتى اقرف بكفرهم.

فإن تموت مع الله بدون دين، هو غيره أن تموت مع دين بدون الله. أعتقد ان هذه الحيرة قد حلّها من ارتضى ان يُسمى كافرا، لانه بقي دون دين الكاهن، هو والله وحده. ولأنه وجد أنّ الحقيقة الاكثر وجودياً والاهم تاريخياً، هي أن الانسان عبد لكهنوته وليس للاهوته.. إذ لم يتبع متدينٌ الله يوماً، يتبعون رجال الدين فحسب. تماماً كما لم يتبع متدينٌ يوما كتاب لله، وانما كتبهم فحسب. فالحقيقة المهملة وسط المعبد هي ان الكهنوت استعبد الله ولم يعبده.

2

.. أقطع ان هذا الكفر هو عينه منحى العصا الاولى لأبي ذر، كأبرز كافر بأمته ودينها. بل إن عظمته كانت فقط لاجل كفره ذاك لاغير، لا لتصوف او صحبة للنبي او تقوى. وكأن بودلير كان ينظر اليه، حينما قال؛(لن يكون المرء عظيما إلا اذا انتصر على أمته).. وأقطع ان هذا الكفر هو السيف الاخير لعلي، ضد الايمان اللئيم الذي لايعبأ أن يصلي، وفي نفس الحين يدوس على بطون اليتامى في جوعهم، وعلى عرض الجواري في سَبْيِهن. لان منطق علي كما ابو ذر في الدين، هو ماردده لهما عين خليل الكافر ذاك بأن : (التعزية التي نقولها على مسامع الضعيف والمجرم والساقطة هي اشرف من الصلاة الطويلة التي نرددها في المعبد). وهو عين منطق وقوف عيسى مع الساقطة ضد المجتمع الديني في حادثة مقولة : (من لم يكن له خطيئة، فليرمها بحجر). لذا كرر عليٌ عين تلك الكلمة وموقفها في زمنه. فكان ضد المتدينين مع الزانية، في منطق إعابتهم لها. الامر الذي تناغم تماما مع عمقه لاحقا البيركامو : (علينا ان نفتح السجون، أو نقيم الدليل على فضيلتنا، وهذا امر مستحيل..) لذلك شرط عيسى وعليّ العقاب بـ(من لم يكن له خطيئة..). والجميل في الحادثة هو أن التاريخ يقول؛

انه لم يبقَ احد ليرجمها[2]. بل ان علي وعيسى في هذا الموقف، يحيلون خطيئتها على ملامات الحياة ومصائبها واقدارها وليس على ذاتها فقط. وان اسم الزنا اسم اجتماعي، وليس اسماً للحقيقة، فقد يكون هو زنا الاقدار وليس زنا تلك المراة، ولكن المجتمع تلك اسماؤه التّي علمها اياه الكهنوت.

عقيدتهم هو ان على الناس ان يُعزّوا تلك المراةَ، لا ان يعيّروها. لذا واضح جدا ان عيسى وعلي كانا صديقيْن للانسان داخلها مهما كانت خطيئتها، وهذا مانفهمه بوضوح في حادثة ثانية، مع (لمس) عيسى ليد المجدلية حينما التقاها اول مرة وهي غانية ايضا. الموقف الذي شكك حينها المتدينون بنبوّته، على اعتبار ان النبي لايمس نجسا. والغانية نجسة في عرفهم واسمائهم. بينما كل القصة هو ان عيسى كان يريد ان يمس الانسان في داخلها مهما كانت في وجودها الخارجي. والغريب ان مفهوم الانسان الذي لم يبزغ بحقيقةً اسمه الا قليلا في التاريخ، كان قليله هذا ظهر مع عين المجدلية لاحقا حين ثباتها تحت صليب عيسى بعد ان تبرأ منه كل اصحابه. بل انها الوحيدة التي لمست صليبه بكل دمائه، اكثر مما هو لمس يدها بكل أسيلها.

---

[2] تشي القصة هنا بشيء مفارق في فلسفة القانون، ودخول المنحى الاخلاقي عليه على خلاف المتعاهد عليه، بانه منطق بلاعاطفة. فعلي هنا يرفض فكرة الحد، والعقاب الدنيوي للخطيئة الشخصية من جهة. كما يمنح مركزية لكرامة الانسان، واعتباره رجم الكرامة اكثر وجعا من رجم الجسد. سيما من اناس يخطؤن أيضا وليس من ملائكة. إذن كلمته هنا هي عن خطيئة الشاهدين وليس عن خطيئة الزانية، وهنا ينفتح افقَ لدى علي ضد عين بنية القانون، والدخول فيه على عناوين معنوية لايعبأ بها القانون عالميا ليس محلها هنا. بالتأكيد الفقه الاسلامي خلاف ذلك تماما. لذه هذا الفقه خلاف جمهورية النبي دائما. علما ان هذا المنحى العلوي وجودي بكل وضوح، كما هو منحى عيسى أيضا.

عيسى[3] ومحمد وابو ذر وعلي وصاحب الزنج، وغيرهم، كل قصة دينهم وطريقهم، هو انه لم يكن لاهوتهم الا الناس فحسب[4]. فكل شي خاطئ لديهم، إن كان ضد الناس، مهما وقّعت عليه السماء وجبريلها. لذا كان الامر بديهيا لدى ابي ذر في صحة رأيه مع آية الإكناز. بحيث لم يكن الامر معه فقهاً او معرفة دينية. وانما مبدأ داخليّ بعيدّ حتّى عن وصية لنبيه او حديث سمعه منه. كل مالديه هو ان ماهية هذا الدين هي ان يكون من اجل الناس فحسب، ان يكون انسانيا فحسب. لذا هو يشكك بكل شي ولايشك برأيه هذا، تماما بمقاس سيكولوجية كلمة عمار بن ياسر مع مسلمي معاوية، يوم صفين؛ (والله لو رددتمونا الى نخلات هجر، لما شككت اننا على حق وانكم على باطل). فالعرب يرون الانكسار دليلا على ضدية السماء لهم. بينما عمار بن ياسر في كلمته يصر على انه لن يشك ان جماعته على حق حتّى وان ظن بان السماء ضدهم.. كل هذا ويحير المسلمون يوم صفين ايهما "الفئة الباغية". والاغرب ان اسلامويي التنوير عينهم ليومنا هذا، ليس فقط يحيرون ايهما اصح؛ ابو ذر ام الأُمَة. بل يقولون برأي الامة وفقهائها دون ابي ذر.. مضحكة هي حماقتنا، للآن تجرنا.

---

[3] في هذه اللحظة يصدف اني في المقهى وحيدا باوراقي وبؤسي، احدهما يغذي الاخر. ارى عجوزا مسيحية تدور طالبة مالا باسم مريم العذراء.. المقهى فيه مسلمين فقط. اشاهد بسعادة ان الكل اعطاها بشكل لم اره من قبل حينما تمر عجوزٌ مسلمة.. فرحت كثيرا وانا ارى الذات البرية كيف تنتفض نخوة الى ديانة اخرى. ولعنت بنفس الحين الكهنوت لانه يعلم المسلم كراهية المسيحي وانه كافر ونجس ولايجوز الزواج منه ولاالثقة به ولا ولا ولا... اه.. اصرخ في داخلي؛ إن جمهورية النبي ليس مسجدا ولامسلمين اطلاقا. فمحمد هو عيسى عينه وهو موسى وهو غاندي وهو كل من يكون نبيلا وليس من يكون مسلما..

[4] نسيتُ ان اول شي فعله عيسى حين دخوله اورشليم، هو اعلان كفره بالهيكل والكهنة والوجهاء بصراحة. حتى تروى انها بلغت حد السب. لسبب بسيط هو انهم ضد الانسان فحسب. وليس لانهم غيروا حكما شرعيا كان لموسى او ليعقوب.

مبدأ ابي ذر - المرفوض من الكهنوت ليومنا هذا- بان (يؤخذ المال بالقوة من كدس الاغنياء، لاجل جوع الفقراء) لايحتاج الى مفكر ليقتنع به. العجوز تقوله بداهةً، وتحلف عليه بماعزها الاعز لديها من اولئك المفكرين، والاجدى بكثير منهم. لانها اصلا لاتصدق دينا يرضى بجوع الناس، أو بعبوديتهم، ناهيك عن ان يعتبره شرعا. فكيف والكهنوت جعل شرعية العبيد والاستعباد من بديهيات الرسالة الالهية.!!.. مايهم هو ان تلك المراة ترى رأي ابي ذر انسانويا لايقبل ان يجوع فقير الى جنب غني بحجة ان الغني دفع ماعليه من زكاة.. وانما من الضمير الانسانوي ان يجبر ذلك الغني ويؤخذ مالديه بالقوة لاطعام الجائع، وهو مالم يقبله الخليفة انذاك، ولم يقبله الفقهاء الى يومنا هذا بكل طوائفهم.

إذن، مَن هو الافضل للوجود؟. العجوز وماعزها أم ذلك الكهنوت؟. الان أُبرر، لماذا فضل غاندي الانشغال بتطبيب ماعزه، على تطبيب كهنوت الاحزاب.

4

لدى الله عينه؛ الاديان الحقيقية ليس تلك التي تملك إلها حقيقيا، وانما تلك التي تملك انسانية حقيقية. وان قيمة الانسان ليس بنوع الهه، وانما بنوع انسانيته.

إذ كثيرون تركوا اللات والعزى وهبل وانتقلوا الى الإله الجديد مع النبي، ولكنهم بقوا هم عينهم، في قبحهم القيمي، فلم ينفع معهم اللاهوت الجديد. فقط اسم الله ولكن بلاهوت ابي سفيان. ولهذا لا غير، كفر ابو ذر بذلك اللاهوت. ولهذا السبب ايضا كان يقول النبي حديثه؛ (خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام.)

لذا مفهوم (الكفر) في الجمهورية ليس هو التخلي عن المعبد الصحيح وطاعة معبد اخر او إلها اخر. وانما هو التخلي عن القيم الانسانوية، وطاعة القيم المتوحشة لاغير.

ليس التخلي عن الاله وانما التخلي عن الانسانية. لان قيم الله والوهيته هي الانسانية عينها، بل صفات الله هي صفات الانسانوية، ولاوجود لاي لاهوتية في الصفات. لكن يمكن ان توضح بان صفات الالوهية هي ذروة الصفات الانسانوية تلك التي تحل بأشخاص قلائل او مواقف قليلة في التاريخ سمتها الشعوب بالمثالية. واعتقد ان كلمة الله نفسه في القرآن(قُتل الانسان ماأكفره) صريحة جدا في ذلك. فهنا الكفر لم يرتبط بنفي ونكران الله وانما بقتل الانسان. القتل للانسان جعله كافرا وليس النفي لله. قُتلت الانسانوية وليس الالوهية. لذا، مع الله؛ الالحاد به هو الالحاد بالانسان فحسب.

تحديد مفهوم الكفر قضية وجودية وليس لاهوتية، قضية انسان وليس إله. لذا فهي دلالة منافية بالتاكيد للدلالة الكهنوتية مع مفهوم الكفر، بقيامها على البنية العصابية، بتحميلها إلى كل من لا يحمل الاسلام دينا، من اهل الاديان الاخرى. بل حتى بتحميلها الى اعداء الجماعة الاسلامية عموما؛ اذ أنّ كثيراً من المسلمين أعتبروا كفرة بمجرد خروجهم على السلطة الاتفاقية للمعبد المركزي وسلطانه قبل كهنوته. كما هو الامر مع تكفير القرامطة وجماعة الزنج والخوارج وآخرين كثر. وهكذا سرقوا حتى مفهوم الكفر، حينما جعلوه كل ماعداهم. وضاع التفريق بين الايمان الديني والايمان الاخلاقي/ بين التعبدي والانسانوي.. الاول تملقا لله والثاني ثقة به.

لذا فالكفار ليسوا هم الذين لايصلّون الخمس، وانما هم الذين لايَصِلون القيم. مهما احاطوا بالكعبة. وفي هذا المدار كان كفر ابي ذر في قلب المعبد. وكانت صلاته لدى الله هي عين كفره بذاك المعبد، لاسجوده وركوعه.

في هذا الكفر يمكن ان نفهم ان عليا لم يكن (قتّال العرب) كما رددوا، وانما كان (قتّال المسلمين). ادخلوها عمدا على البعد القومي.. اليس غريبا، ان عليا لم يحارب طوال خلافته الا المسلمين!!. وان ثورات القرامطة والزنج والحارث بن سريج وابي السرايا وزيد والصفارين، والكثير الكثير ممن زفع الروتين التاريخي بهم هم اسلام ضد اسلام وليس يهودية ضد اسلام. فأبو ذر طرده ونفاه خليفة المسلمين وليس هولاكو. وان زيد بن علي صُلب على نهر يشربه المسلمون وليس اليهود. وان الحلاج أُلقي من مئذنة وليس من ناقوس.

أليس مهما انه؛ لم تكن عظمة ابي حنيفة الا لأنه الفقيه الذي كفر بالفقه وكهنوته ومنهجه ومعبده وسلطانه، ولهذا السبب عينه لم يقبل حديثا، لانه تيقن ان هكذا كهنوت من المحال ان يُبقي كلاما للنبي، فانتهى بوضوح ان تلك الاحاديث ليس حليبا نبويا.. كفره هذا بالكهنوت هو الذي جعل الأمّه تزور احكامه وتتبع تلميذه ابا يوسف القاضي وتجمع بينهما كمدرسة واحدة رغم ان ابا حنيفة يكفر بهذا التلميذ شخصيا. لذا فالادعاء البدهي بان الحنفية يتبعون ابا حنيفة هو كذبة كبرى، تماما كما الادعاء بان الجعفرية يتبعون جعفر الصادق هي كذبة أكبر.. فالجعفرية والحنفية هم خلاف ابي حنيفة والصادق تماما.

اليس غريبا ان جلال الدين الرومي لم يصبح مسلما ومؤمنا حقيقيا وبهذه الروح الكبرى التي آل اليها قديسا، الا حينما داست رقصتُه فقهَهُ، بعد أن تيقن انه لن يصل الى الله والحقيقة الدينية الا ان يكفر بكل المعرفة الدينية وكهنوتها.. اليس غريبا ان هذا الكفر هو عينه عطر مشنقة السهروردي بعد مزجه قناني الاديان في صدره المسلم بعطر واحد. وانه لم يشرب الحقيقة الا بعد ان كفر بكأس كهنوته.. اليس غريبا ان هذا الكفر بالاسلام الكهنوتي، هو المنهج الاساس للصحراء الكبرى التي تسمت بالمتصوفة. لذلك لم يكن عبثا ان سموا كفارا" من الكهنوت. وفي هذا دليل ايمانهم.

إذن احذر ان يصفك الكهنوت مؤمنا. حينها اغسل يديك من الله وانس وضوء افكارك.

ماهو أمرّ، هو احذر ان تموت بين الكهنة.

المكان مهم في الموت، مؤمن بذلك كثيرا، لذا كان حقيقيا ذالك المتصوف، حينما ردد؛ ها هنا موضع يصلح ان نموت فيه.

اليس غريبا ان عيسى مات بين لصّين، وليس بين حواريين. ولكن ليس الغرابة انه مات دون كهنة، القضية انه مات بين لصين.. لم تكن صدفة عابثة ابدا. كان للقدر انفاسه في ذلك، بان تكون هكذا قافية صليبه الاخيرة. لااعتقد ان الصليب يمكن ان يكون تاريخا لو صلب مع الكهنة. كما لايمكن للناي ان يُبقي صوت عيسى، لو كانت مزاميرهم هناك.

يُصلب عيسى، وحوله لصان وغانية، وليس بين حواريين ومصلين!!!. ماأغرب الحقيقة كيف تقدم نفسها للوجود. بالاحرى، ماأغرب الوجود كيف يقدم الحقيقة لنا. لكم حيرني في فهم منطقه، ومازلت تائها فيه. وهو عين ماجعلني احيانا اتمنى ان يكون الاسم؛ الله ولصوصه، بدلا من لصوص الله. لأن جزعي هو من هذا الوجود و(سنن الله) فيه، قبل ان يكون من (لصوص الله) فيه. إذ لطالما كان الوجود لصا يسرق منا اشياءً ليمنحها للاشرار عبثا. مللت من منطق؛ أن للوجود حكمه فاتركه لحكمته.

غريب جدا ان غانية اورشليم هي وحدها الى الجلجلة من حملت مع عيسى صليبه، بينما كهنته سرقوا هذا الصليب. إذن الغانية وحدها وفت لجسد عيسى على الصليب رغم ان جسدها كان متهما ومصلوبا بشرفه. الا يستحق الامر ان نضحك معه بدمعة قليلا.. وان كانت هنالك دمعة بحق تستدرها هذي الكلمات، فهي على مجدلية اورشليم وليس على عيسى الجلجلة.. فأنْ تَصِل بجبريل الى صليبك هو غيره ان تركض وراءه بحانتك.

الثانية اوقع. سيما ان دموع المجدلية كانت اعظم ماشربه صليب عيسى. لانها وحدها هناك.. بلاكهنة.

.. إنه مكان يستحق ان يموت فيه.. إنه مكان لاكاهن فيه.

6

كفر المعبد، حينما ساوى بين التي سلب الحب بكارتها، وبين التي احبت سلب بكارتها.

كفر المعبد، حينما شطب المسيحي من انسانيتي، وجعله كافرا في ذمتي.

كفر المعبد، حينما اجاز لي قتل الكافر مهما كان نبيلا، ونصرة المسلم مهما كان دنيئا. وهل الدين إلا مسافة بين الدنيء والنبيل.

كفر المعبد، حينما رفع سيفه اكثر من كلماته.

كفر المعبد، حينما جعل كتاب الله وكتاب الفقهاء واحد. وجعل الفقيه مترجما لله وليس القلب.

كفر المعبد، حينما قتل عليا في محرابه، وحمل معاوية على منبره.

سرقة الوجود

(اللصوص لن يختفوا، مالم يمت الحكماء..)

نص تاوي[5]

(وحدهم التائهون يدلّوننا.)

جلال الدين الرومي

1

بلال؛ ابحث عن حرية لا عن إله.

صاحب الزنج؛ ابحث عن ثورة لا عن فقه.

الوحيد؛ ابحث عن إمرأة لا عن مسجد.

.. بلال العبد هذا، حينما لم يكن يعبد الله ايام الجاهلية، لم يكن كذلك لانه كان وثنيا، وانما لانه كان عبدا وحسب. عبوديته تمنعه من الالوهية. ليس فحسب، لان ازمته الوجودية هذي منعت ذهنه عن التفكير بأي ازمة لاهوتيه، وانما لانه من التعسف ان يطلب الله منه عبادةً للسماء وهو يعاني من عبودية في الارض، وبوجودٍ ليس فيه الا الالم. فبأيّ شيء يمنّ الله عليه حينها.. إذن لم يكن يقبل أن يكون عبدا لاله في

[5] للمدرسة الصينية القديمة المسماة بالتاو.

السماء، وهو عبد ايضا لسيد في الارض. انه يكره مفردة عبد مهما كان طرفها، سواء كانت لاله او لسيد. لذا لم ينتمي لعبادة اللات والعزى رغم انه في قريش، ولم يكن مسيحيا باعتباره حبشيا.. بكل الاحوال، هذا المسروق بوجوده، لم يكن يفكر في إشكالية(وجود الله)، كان يفكر في أشكالية (وجوده) هو. إنه عبد.. انه بحاجة الى حرية، وليس الى إله..

إذن بكل واقعية؛ بلال لم يكن لديه إلها، لانه لم يكن لديه حرية..

لذا النبي لم يجلب له الها وانما جلب له الحرية. وفي ذلك اكبر وجوديات النبي في دينه.. ساعة ذاك، حينما تنبه بلال إلى الحرية تنبه الى الالوهية. إذ فقط وفقط حينما اعترف له النبي بالحرية اعترف هو بالله.. اعترف به وليس عرفه، لان المسالة معه لم تكن مشكلة (فيلسوف)، وانما كانت مشكلة (عبد)..

فبلال[6] لم يقبل الله اصلا. قبله فحسب حينما عرف انه يقول بالحرية مع نبيه. وهكذا، تبع النبي لان الدين معه يقول بـ(حرية) الانسان، وليس لانه يقول بـ(وحدانية) الاله، الذي لايقول به دين اللات والعزى. فقريش لديها إلها إسمه الله ايضا، مثل النبي لا يختلفان[7]، ولكن ليس لديها الانسان كما هو لديه. ولهذا جاءه سعيا.

إذن اقتنع بلال بهذا الدين لانه وجده انسانويا حياتيا يُخلصه من ظلامته وخطوته المقيدة، وليس لاهوتيا يخلصه من خطاياه. هذا الحبشي لم يكن يبحث عن لاهوتيين

---

[6] نلح كثيرا على البلاليات وعمقها النفسي الوجودي تحليلا، لانها تجدي كثيرا في وجودية الدين ونبيه.

[7] فتسمية الله ليس تأسيسا قرآنيا، وانما هي التسمية الاصل للاله عربيا.

اخيار يطمونه العبادة، وانما عن انسانويين ثوار يخلصونه من عبوديته.. مرد كل ذلك هو ان الازمة في حياته لم تكن ازمة لاهوتية في عبادته، وانما وجودية في استعباده.. لم تكن مشكلة عقيدة وانما كانت مشكلة ظلم فحسب. لم تكن مشكلة سماء وانما كانت مشكلة ارض.

2

هذا الرجل الاسمر لم ينظمّ الى الاسلام ويتحمل كل صخور قريش وسياطها لسبب لاهوتي معرفي؛ فضّل به إله رجل يقال له محمد، على آلهة قبيله يقال لها قريش. وكانه فيلسوف فضل معرفة على اخرى فتبناها، او مثلا كسحرة فرعون اقتنعوا بمعجزة ضد حيلة، فتحولوا الى دين موسى. ابدا لم يكن الامر مع بلال لهكذا سبب، وانما انظم هذا الاسمر الى هذا الدين الجديد لانه فقط وفقط وجده يقول بظلامة عبوديته، ويتكلم عن ان الناس سواسية فعجبه هذا المنطق الحياتي؛ لا اسود ولا ابيض ولا سيد ولا عبد. ولااعجمي ولاعربي.. انك ابن ادم.. لافضل لاحد بنسبه وحسبه وانما بقيمه وفطه ونوع حياته ومبادئه.

كان بلال يرفض حتى الله لو كان يقول بغير ذلك، وهو واقعا كان يرفض إله ابي لهب لاجل ذلك فحسب وليس لانه كان حجرا صنما. فحجر ابي لهب مع الحريه لدى العبد اشرف كرامة من إله حقيقي بعبودية.. وهو اهم دليل لدي في انه لم يكن في شرعة النبي تلك الحلية المُسَلم بها للعبودية في االمدونات الفقهية. والا لما تبعه بلال اطلاقا.

3

الانسان إلجاء وجودي محض. يحيط به الوجود كازمات، وان ماتسمى الحياة هي عبارة عن ازمات ذلك الوجود بكل زواياه.. مافطه الكهنة، هو انهم زادوا الطين بلة في ازمته فاضافوا ازمة الدين له، وقاموا بتديين الوجود، فازداد القيد بؤسا، بل هنا فحسب كان البؤس البشري، ومن هنا دخلت الخديعة. رغم ان الانسان يعاني من اشكالياته الحياتية وليس اللاهوتية؛ حبه وليست صلاته، طعامه وليس حجه. بل كان يتعامل مع الله عينه ولاهوته ومعبده، كحاجة لفك اشكاليات الحياة تلك، وليس كازمة حياة. اي حتى لاهوتيته هي لحاجة وجودية فحسب. فحينما يلح على المعبد، لايلح الا لاجل إعانة الاله له على مشاكل الحياة وتعديل وجوده. لذا لطالما يزعل من الله ان اساءت له الحياة، ولم ير لطفه وتدخله فيها. بل حتى ان ظلمه الحظ. واكثر من يزعلون من الله هم اصحاب الحظ السيء. بل حتى ان زهد بالحياة وطلب الاخرة فقط، فهي ايضا حاجة لوجود اخر.

مايهم، هو ان الحقيقة الاولى للدين في كل امره؛ انه امر وجودي حياتي ارضي لا لاهوتيه فيه. لسبب بسيط واساس، وهو؛ ان الدين هو الانسان وليس الله. والفقه عينه هو حلول مشاكل الانسان وليس حلول مشاكل الله. وهنا مشكلة الكهنوت هو رؤيته ان الدين يساوي الله وليس الانسان[8]. وفي ذلك، وقعت مشكلة علم الكلام الاسلامي؛ حين وضع نفسه لـ(وحدانية) الله، وليس لـ(وجود) الانسان. فكان كل شي عكس الرسالة، فامسى الدين مقلوبا في اهدافه ووجوده.

[8] اذا اردنا الاصل فلنقل ان لاهوتية الدين هي عين وجوديته. رغم ان الجمع بين الوجودية واللاهوت عادة ماتوصف بالتضاد. ولكن يمكن ادراك ذلك مع عين بلال لان عين قصته اللاهوتية مع الاسلام كانت وجودية حياتية تماما.

صاحب الزنج كان على هذه الحقيقة الوجودية للدين، لم تكن حسرته أزمته يطفيها تجديد العلم او الفقه، أو ان يكون عالما او إماما وزعيما_ صار صاحبا _ سيما انه حفيد في الطريق الامامي، بل تمرد على المذاهب كلها على حد سواء، لذا تجد تاريخهما الكهنوتي ضده. كانت أزمته في الوجود فحسب هي حسرته على هولاء العبيد من اولئك المترفين. فعرف ان دينه هنا هو انقاذ هولاء الجياع والتعساء وليس إنقاذ الفقه او علم الكلام او الفلسفة او اي من كذبات الحضارة الاسلامية. لذا لم يُعلّم الزنج فقها او فكرا وانما عدم العيش عبيدا، وانتزاع انسانيتهم وعزتهم وحريتهم.. علمهم الوجود. وان الدين ليس الا ذلك الوجود وتلك القيم.

أما ذلك الوحيد، فازمته في الوجود هو ان قلبه يحترق للعشق، وهو أمر لايمكن ان تكون الصلاة بديلا عنه، حتى ولو في السماء السابعة. لايمكن ان يكذب على جواه. انه امر وجودي او لاباس لنسمه أمرا تكوينياً من الله نفسه. كما إنه أصلا لم يكن بحاجة الى التدين لان القلب الباحث عن العشق هو قلب باحث عن الايمان لاشعوريا وتلقائيا. وكيف يُطلب منه إيمان الكهنوت ولديه إيمان العشق، بل القلب العاشق قلب تجاوز الايمان وختمه.

بلا جدل، كل العبيد كانوا يكرهون المعابد التي تقول بالعبودية، ويكرهون إلهها. بينما يقبلون ان يعبدوا إله اسبارتوكس وصاحب الزنج وأي قرمطي، حتى ولو أخبرهم نبي بأنهم كفرة وليس فقط الكهنوت الرسمي. ليس لان لديهم بديهية انسانية وجودية شعورية

تقول ان الاله الذي يقول بالعبوديه لايستحق العبادة، وليس إلها. بل لان لديهم بديهية انسانوية شعورية هو انهم على حق حتى وان أُخبروا ان الاله ضدهم. لذا فهم ثوار على العبودية حتى وان حرمتهم الثورة الجنة. وفي هذا كان مارتن لوثر خاطئا ببداهة، سواء في ذاته أو دينه، رغم انه كان ضد البابا وكهنوته ودينهم الكاذب، فقط لان لوثر وقف مع الاقطاعيين في جبروتهم ضد الفلاحين في ثورتهم وجوعهم[9]. وهو مايكفي بأن يمحو كل جمال انقلابه على المعبد المزيف.

ولهذا السبب عينه من كره المعابد الاستعبادية إنظم الكثير للثورات الملحدة في الازمنة الحديثة. رغم انه لم يكن لديهم مشكلة مع الله، بل كان الكثير منهم له عين الاهداف الاولى للنبي في راحة البشرية وترسيخ الانسانويات. ولكنهم وجدوا ان الكهنوت الممثل لله يقف مع العبودية والاقطاعية ضد الجياع والفقراء، فألحد الكثير لهذا السبب لاغير. وفي ذلك يمكن ملاحضة ظاهرة جيفارا في مفارقتها، بالايمان به من عين الشعوب الدينية، رغم الحاده. بل ان الكثير من الحركات الدينية آيديولوجيا رفعت شعار هذا الرجل الملحد.

قضية الالحاد هنا ليست نفيا لوجود الله، وانما رفضا لجماعته وشريعتهم، خصاما له من اجل البشرية، حينما وجدوا معابده مع الطغاة، وكهنته لصوصا وسفلة.. واعتقد ان

---

[9] وقف لوثر مع السادة ضد ثورة الفلاحين والعبيد في سنة 1524، رغم سحق السادة للثورة بكل وحشية. ثورة كانت من اجل جوعهم واستعبادهم.

الله يعظم هولاء الملاحدة في عين خصامهم هذا له[10]. لم اذهب بعيدا بهذا، صدقوني هذا هو عين منطق ابن ابي طالب في كلمته المرافقة دائما لسطوري كاهم منحى في وجودية اللاهوت؛ (الهي ماعبدتك طمعا في جنتك، ولا خوفا من نار.. ولكني وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك.). اذ لازم كلمته هو اني لو لم اجدك من اهل الحق والخير والعدل ومع الناس لكنت ضدك، حتى وان القيتني بالنار.. كما ان عبدتك هنا بمعنى أطعت واتبعت قيمك وليس اصبحت عبدا الك كعبودية العبيد والسادة، بدليل ان النص نفسه يقول باعابة؛ (.. فتلك عبادة العبيد). لان العبد يطيع سيده جبرا، لا طاعة مبدأ. بينما الحر يتبعها ايمانا بالمبدأ لا بالقائد، وبذهاب المبدأ تذهب الطاعة حتى وان بقي القائد.

حينما كان يُعير هذا الملحد بانه (لايؤمن بالله)، كان يكفيه ردا كلمته؛ (اني أؤمن بالبشرية)..وكأني اسمع داخله؛ افضّل ان اخدم البشر على أن اخدم الالهة. وافضّل ان اصاحب مظلوما على ان اصاحب إلها. وهذا أقسى بكثير من داخل نيتشه؛(افضل ان اكون مهرجا على ان اكون قديسا..)

ولكن اليست هذه الكلمة التي كانت تكفي الكهنوت في ادانة عقيدة هذا الشيوعي الملحد، هي عينها من تمثل اهم اس في الاسلام الانسانوي مع المتصوفة؛(مايخدم الخلق يخدم الحق). وايضا يجد ذلك نفسه راسخا مع كلمة النبي(اعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس). وفيهما تكون خدمة الله وجودية محضة بخدمة الناس، لا بقرابين

---

[10] الملحد هنا يشعر بضمير متأله في عين خصامه لله، كونه مع الضعيف ضد القوي، لانه مع الانسان ضد إله. على عكس المتدين الذي يقف مع السلطان ضد الناس، لايشعر الا بدنو مهما صلى وقبع واعتكف في المعبد.

صلاته وحجه وصومه ونذوره. وان الايمان بالله هو الايمان بواجب الخير، قبل ان يكون بواجب الوجود. والتوحيد هو الاعتقاد بالبشرية الواحدة بلقمتها وعطاءها واخوتها، قبل ان يكون هو الاعتقاد بان الله واحد وليس ثلاثة. بل ان الاس الاهم والاول صوفيا هو(الانشغال بالخلق عن الحق) اي الانشغال بالناس عن الله. وهو اكثر مفارقة في مبدأ طاعة الله بمنح الناس اولوية عليه. إذن كلمة(اني أؤمن بالبشرية) هي المثالية الاولى للدين وليس الالحاد الاول فيه. بل ان الكنسيون انفسهم الذين يعيبون على هذا الملحد كلمته، يرددون هم انفسهم انجيليا؛ (إن لم تكن تؤمن بالله، فإنه يؤمن بك). اذن بقي عليهم ان يُكفّروا الله نفسه، لانه يؤمن بالبشرية.

لذا اعتقد انه في هذه الكلمة بالذات، التقى ذاك الملحد بالله اكثر من لقاء موسى به، وكان بها اكثر اهل الارض عبادة في عين الحاده، حتى وان كانت الحانة معبده.. كما ان موسى لم يعان ويتعب اكثر من معاناة جيفارا ونضاله وموته اطلاقا. فقصتيهما امامنا. وان كان جبريل يرافق موسى، فالجياع كانوا يرافقون جيفارا اكثر. وان تطعم الجياع خير لدى الله من ان تسمع جبرائيل.. وان تلتقي الجياع هو خير لدى الله عينه من ان تلتقيه هو.. كما ان الله لن ينظر اليك ان تركت جياعه لظهرك ووجهك له. بل بعيدا عن وجوديات علم الكلام، عين التراث الكهنوتي، يحفظ نصوصا ترى ان م قضاء حاجة الناس أولى من العبادة. بل قضاء حاجتهم خير من الطواف بالكعبة الف مرة. لذا لايصغي الله لصلاة، فضلها صاحبها على التعساء.

اعود بسرعة احدق بسطرين سالفين لارى انه من المثاليات المفارقة، هي ان من بديهيات الخطأ الديني؛ ان يكون وجهك لله وظهرك للجياع.. اعتقد ان هذا يفسر شيئا

من سبب رجوع النبي من المعراج دون ان يبقى جوار الله ليتخلص من الارض وعناءها، كما هي ملامة المتصوف عبدالقدوس الجهنامي.

المهم، هنا اتيقن ان الله لطالما ينزل على قلوب الملاحدة الذين يكون الحادهم لاجل البشرية.

5

في الجمهورية؛ من يؤمن بالناس في وجودهم وسعادتهم وحقوقهم ليس ملحدا مهما انكر الاله. بينما الذي يخدع البشرية ويسلبها سعادتها هو ملحد، مهما صلى ونذر وصام وحج، لالحاده بالانسانوية كمعادل وجودي للالوهية في الارض، وكممثل له فيها. لذا فالشيوعي الملحد هو مؤمن إن كان انسانويا في فعله ونضاله، بل هو حامل كدح محمد وليس ماركس، ان كان مع الكادحين. وليشرب كل خمور العالم.. وفي روح ذلك نجد ان النبي حينما سُئل عن إمراة متعبدة لكنها تؤذي جيرانها واهلها، قال مآلها الى النار. وحينما سئل عن إمراة لاتؤدي عباداتها وكانت طيبة مع من حولها، فقال مآلها الجنة.. وهنالك الكثير مما تحمل تلك الوجودية المركزية في دين النبي، سيما في الاسس الكلية التي طرحها النبي. وكلها تؤكد لوجودية الدين.

لا مشكلة لله ان ينكره الانسان. طالما ان الكفر لدى الله، ليس هو عدم الاعتراف به، وانما عدم الاعتراف بإنسانه. وليس هو ان تحذف من الله الوهيته، وانما ان تحذف من الانسان بشريته. لان الكفر ليس قضية بينه والانسان. وانما بين انسان وآخر. أن يتجاوز عليه في وجوده الانساني فيجعله عبدا في الاقطاعية او عبدا في الدولة او عبدا في الزوجية او في المذهب او في المعرفة. أن يتجاوز على إنسانيته. لذا اعتقد

باطمئنان ان القيامة هي بين الانسان والانسان، قبل ان تكون بين الله والانسان. لذا كان اسمه يوم الدين، فالديان هو الانسان وليس الله كما يرى الكهنوت. لان الانسان مديون للانسان في كثير مما سلبه من وجوده، ولو حتى بسمة من أفراحه، وليس لقمة او ارضا او أي ايذاء ما. كما ان كلمة النبي (.. يدين بعضهم من بعض) صريحة في تاكيد رايي هذا. بل للنبي صراحة في منطق ان الله لايهتم لتعدي الانسان عليه، وانما في تعديه على الانسان فحسب؛ (واما الظلم الذي يغفره الله تعالى، فظلم العباد فيما بينهم وبين ربهم ، واما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم من بعض)[11].. ناهيك عن مطلق كليات النبي وعموم منظومته تتضح بذلك. وهو امر يتفق عليه حتى الفقه التلقليدي نفسه في تقسيمه اصطلاحا بين حقوق الانسان و حقوق الله. حيث الأولى تكون صارمة لايجوز التساهل بها على عكس الثانية. ولكن رغم هذا الاعتراف فقهيا، تجد ان الكهنوت لم يؤدّه في فتاواه. بل يئده في حفرة معارفه.

هذا المنحى في التناقض الداخلي للمنظومة الكهنوتية- مايعترف به ومايئده- والذي يمثل ابرز البنى السوداء لها، يقوم بالدرجة الاولى معولنا في هدم التشريع الكهنوتي وعموم المنظومه وفضحها. فهو يحمل اسس الحقيقة ولكنه يئدها بالف طريقة وطريقة، سواء في التاويل او في التحوير والتزوير، او التهميش او التجاوز والتغافل او الارشفة باسم الادبيات العامة المنفية من دائرة الحجية.

---

[11] كنز العمال ، حديث رقم 7588 . رغم ان اعتمادنا في هذا المبدأ هو انتزاع عن الكليات الدينية للنبي، وليس النصوص الجزئية.

كل هذا يعطي أساً مركزياً في فهم الدين، وعموم مايخص تحديث الاسس المناهجية لفهم ماهيته ومايلحق ذلك من تغييرات ستطرأ على كلشي بالدين مما هو معهود ومألوف منه، بحيث تتغير معه الكثير من الاحكام الشرعية وعموم اسس علم الكلام[12] نصيغه هكذا؛ (يقاس الدين على قدر انسانيته، وليس على قدر الوهيته). أي، قدر تبجيل الانسان فيه وقدر كرامته وحريته ووجوده، وليس قدر تعظيم الاله فيه وعبادته[13]. مايقدمه للذات البشرية، لا مايقدمه للذات الالهية. وان يجعل الله للانسان وليس العكس. فالله ليس من الهة القرابين.. لاقربى لله الا بالتقرب من الانسان والجمال.

كما يعطي أسا مجاورا له منهجيا؛ (يقاس الدين على نوع انسانيته، وليس على نوع الوهيته). أي ليس من المهم ان تكون الوهية الدين تثليثا أم توحيدا، بشرا كان كبوذا او مجردا كان في السماء. المهم هو انسانوية التدين(الفعل الايماني)، او لنسمها إنسانوية الايمان. وفي ذلك شيء من كيركجارد في مقولته المتخذة أسا في الجمهورية؛ (ليس المهم مانؤمن به. المهم هو الكيفية التي نؤمن بها).

مرة تعبد حجرا ولكنك لم تضرب به أحدا. فإن كسروه لك، قبّلتَ ايديهم. ومرة تعبد الله ولكنك تسبي وتقتل باسمه.. في الاول انت بدين الله حتى وان كنت وثنيا. وفي الثانية انت ضد الله حتى وان سُميتَ داعية او مجاهدا.

---

[12] بقدر كفاءة أس (وصال المعنى) كأس تغييري مركزي في عموم الجمهورية.

[13] بعيدا عن الصفحات السابقة في انتاج هذا الاس، يمكن حل الامر بطريق آخر ؛ لو كان الاهم في الدين هو الله، لغدا الله انانيا.. وهي التهمة الاولى للاخلاق بشريا فكيف باخلاق الله. وهي الزاهدة بالبشر اقلها من باب التنزيه للذات الالهية في علم الكلام، وليس من باب سمو هذه الذات في الوجودية.

لذا، مايهمني هو فضح الكهنوت وفقهه وتشريعه بانه غير انساني فحسب، وليدافع هو عن دينيته بما يشاء.

هذه الاسس لاتخص اصلا حذر كلمة بيردابيف نيقولا الوجودي المسيحي؛ (ليس المسالة هو انكار الله، وانما تاكيد الانسان)، كما ليس هو رايا بروتستانتيا في عدم الاهتمام بجوهر الله لذاته، والاختصار على جوهر الله بالنسبة للانسان.. وانما هو عن ماهية الدين وحقيقته في انه رسالة انسانوية وليس لاهوتية وانه موضوع انسان ومشكلة ارض، وليس موضوع إله ومشكلة سماء. لامشاكل في السماء، المشاكل في الارض.. اعتقد ان الكل يشاركني بان الانسان متورط بالوجود وعذاباته، وليس الله. هذه هي البديهية التي يتأسس عنها التخلص من علم الكلام برمته كما الكثير من الفقه وراءه.

كما ان الانسان ليس مسؤولا عن الله، وانما مسؤول عن انسانيته فحسب. الكهنوت من جعلها العكس.. لذا بلال لم يكن يرَ عليه واجبا تجاه الله. بل كان يرى على الله واجبا اتجاهه هو. وهنا مع أس (واجب الله) الذي لايقبله الكهنوت اطلاقا- ماعدا المعتزلة وبقيود- يتبين واجب خروج النبوة ومبررها؛ انها من اجل الناس وليس من اجل الله. وهو الاس المركزي الممثل لكل كتاب جمهورية النبي في الكلمة المركزية هناك؛ ان النبي أُرسل لنصرة بلال وليس لنصرة الله..وان الله لا يرسل الانبياء لاجل الالوهية وانما لاجل الانسانية..

.. حينما يتحسر الله في السماء، تظهر النبوة في الارض.

ومحاربة النبي لابي لهب ليس لمسألة (استبعاد) الله من الوهيته، وانما هو (استبعاد) بلال من حريته.. لايهم، ليعبد ابو لهب حجرا او شمسا او ايا شاء ولكن ليترك بلال يعيش وجوده. اي المسألة الدينية هنا لدى النبي تتعلق بـ(بلال) وليس ب (الله)..

بسبب هذا أختلف مفهوم الكفر لدى النبي عنه لدى الكهنوت، بمنطلق وجودي حياتي بعيدا عن اللاهوتيات. ليبتعد عن كونه مسألة كهنوتية تتعلق (بوجود الله)، وليكون هذا المفهوم مسألة وجودية تتعلق (بوجود الانسان). وفي هذا سيتعدد الكفر بتعدد وجوديات الانسان. فكما كان الكفر في الزواج؛ هو ان تعزل اناسا عن قلوبها، لا ان تعزل الله عن الوهيته. وفي الرق؛ كفر ابي لهب هو استعباده زيد وعمر وليس عبادته اللات والعزى وهبل.. ايضا سيكون في الفقه؛ الكفر ليس هو ان تحذف الصلاة والصوم عن الله، وانما ان تحذف الوجود عن الانسان بقيود الشريعة. فتحرم عليه الحياة.

..هكذا بدأت كتب اللصوص. وفي هذا احتل الفقه الوجود..

7

اللص الحقيقي ليس هو من يسرق بيتك، وانما هو من يسرق وجودك.

فمن يتزوج امراة لقسرية ما، هو يسرق جسدها وارادتها وسعادتها وشعورها. والحكماء هم من جعلوا هذا الزوج لصاً، بحلية فقههم لتلك القسرية، طالما انه تزوجها بالمعبد، دون سؤالها عن موافقة قلبها. يكفي صمتها مهما كان وجوما[14].

ولأني اعتقد ان من مهام الوجودية هو البحث عن اعماق اخرى للمفاهيم وليس تجديداً لوجهها القديم- لانها اصلا لم تأتي ناجزة اصلا، ولم تأت عن فطرة اولى، فلاتجديد ولاتصحيح هناك معها، وانما سبر وكشف لاعماق تمثل حقيقة وجهها. وهو سبر للوجود الخفي، ناهيك عن رفع الزيف عن اسمائه ومفاهمية واشياءه- لذا بوجودية اعمق في مفهوم اللص؛

من يعلمك ان الطاغية كان عظيما هو يسرق تاريخك[15].. من يعلمك ان تُقتل باسم الجهاد هو يسرق دمك، فإذا قتلت الاخرين هو يسرق يدك.. من يعلمك حرمة العشق فهو يسرق حبك. من يعلمك دخول مسجد الاغنياء فهو يسرق صلاتك.. من يعلمك ان الاخر كافر هو يسرق إيمانك. ومن يعلمك انه مباح في دمه وعرضه وماله وارضه هو يسرق انسانيتك.. من يعلمك الكذب باسم الحيلة الشرعية هو يسرق صدقك.

---

[14] اعرف فتاة قالت لي كان داخلي يصيح لالالا امام الكاهن، ولكني نطقت نعم. وكل اهلي يعلمون. الان الكنهة واهلها والمجتمع يروها زوجة.. معظم الزيجات الشرقية هكذا. لذلك كنت اردد؛ ماااكثر المتزوجين ومااقل الازواج.

[15] الى يومنا هذا مازالت الجامعات والفكر الفن وعموم الاعلام وحتى الدراما تتداول الكذب التاريخي وتعمل على ماكتب كذبا من التاريخ، حتى مع اوضح بديهيات كذبه.. هولاء كلهم لصوص. بل التاريخ عينه حري به ان يكون لصا، سيما ان ليله اطول من نهار .. واللصوص يهوون الليل كثيرا.

..من يخدعك بدين مزيف فهو يسرق إلهك. تماما كما هي من تخدعك بعشق كاذب فهي تسرق قلبك. لذا لايضاهي الفقهاء الا النساء. لصا وجود بامتياز.. وأن تعيش بلا إله ولا قلب. يعني انك ميت تثرثر كثيرا.

هنا السرقة الحقيقية للفقهاء، إلهنا ونبينا ووجودنا، حياتنا وعشقنا ويدنا ودمنا. وليس ما يجري به التاريخ انهم سرقوا مالنا، فتلك سرقة إعتبارية، رغم انهم في ذلك ايضا بزوا لصوص المال بفن لم يلحه لص من قبل. فأن يكون اللص عاديا ليس مثل ان يكون اللص فقيها. حينها يخرج اللص عن عرفه ليدخل من الباب لا الشباك، لانه يسرق بقرآنه وانجيله، بينما اللص العادي لطالما يسرق بقلبه. اعتقد ان الكل يعلم ان صكوك الغفران هي اوراق انجيلية بكل صراحة. ولكن حتى مافعله القساوسة كابرز لصوص الله تاريخيا في ذلك، لايمثل شيئا نسبة للكهنوت الاسلامي، الذي لم يكن له ان يكون لص مال الا أن يؤدي دوره كلص وجود، من خلال الشريعة[16]..

الفقيه يقول لك ضع مالا في هذا الضريح ليصل الى الله، بينما لايصل هو الا ليد الفقيه. يسرقك ويسرق الله في نفس الحين.. ويقول لجيشه احتلوا هذه البلدان فانه فتح من الله، وانهبوا اموالهم واسبوا نساءهم فانها غنيمة، وخذوا منهم الجزية فانهم اهل ذمة. وهلم جرا.

---

[16] واسوء مايفجعني اكثر في لصوصية المال من بين الكهنوت الاسلامي هو الكهنوت الشيعي، بل ان كل تهمته الدينية تنحصر في ذلك. وفي ذلك انماط يشيب لها الرأس. بل لم يقتل هذا الكهنوت الا المال وحسب. لذا قاعدتي في تصديق احدهم، هو ان لايقبل مالا اطلاقا.

اولئك هم الحكماء والفقهاء. وتلك هي شريعتهم.. لصوص ونصوص[17].

مؤسف انك تسير في تاريخ المعبد، فلاتجد فيه ضميرا الله ولا قلبا الله ولا وجها الله ولابيتا الله. إنك تجد لصوصا الله فحسب. **لذا فنحن نسمي تاريخا بهم وليس كتابا.**

الغريب هو رغم اني كنت افتخر كثيرا بذاتي في انها ترى الصفة الادنى بشريا هي ان يكون الفرد لصا، ولكن من الغريب في نفس الحين اجدني لا اهوى في التاريخ الا الشطار والعيارين بسبب تلك الصفة لاغير كقطاع طرق. واعتقد ان سبب ذلك هو انهم كانوا لصوصا في بيوت اللصوص. بشيء ما من ايقاع كلمة المتمرد عثمان الخياط في حثه لجماعته على سرقة اقطاعيي المسلمين في القرون الغابرة؛ (لم تزل الامم يسبي بعضها بعضا ويسمون ذلك غزوا، ومايأخذوه غنيمة وانه من اطيب الرزق. وانتم في اخذ مال الغدرة والفجرة اعذر..).. لذا في التاريخ لم يقبل اكثر العيارين سرقة الا من لصوص الدين وسلطته، ولطالما اعطوها او تقاسموها مع الفقراء.

وهذا عينه ماجعلني افتي لصاحب لي بحلية سرقة الفقهاء. بل افرح كثيرا بمن يسرق من الله. لان لصوصه سرقونا كثيرا[18].

---

[17] زند كثيرا بيت محمود درويش؛ احتمي ابوك بالنصوص فدخل اللصوص.

[18] يروي جيدا صائب عبد الحميد، صاحب كتاب علم التاريخ، انه مرة واحدة وجدني مبتسما. فاخبرته حينها اني سرقت الله. كانت مسبحة من معبد اضطررت ان اصلي فيه. والمسبحة وقف ولايجوز لدى الكهنوت اخراجها من بيت الله، فهي ملكه.. اعتقد ان جدلية المال لله ام للناس بين معاوية وابي ذر مقامها هنا، في خديعة الكهنوت التي عن طريقها سرق الكثير منهم.. علما ان الفقه التقليدي يتبع معاوية وليس ابي ذر..

سرقة المعبد..

(بيتي بيت الصلاة يدعى، وانتم جعلتموا مغارة لصوص..)

.. ابراهيم الادهم لانجيل قديم.

(لإقامة معبد جديد، لابد من تهديم معبد قديم..)

.. نيتشه

1

إلهك هو فقهك، وليس الله. هذا ما أمسى عليه المسلمون.

لو كان الامر معهم؛ الهك هو قيمك وليس الله، لقلنا انهم يدخلون الى الله من سماء أوسع. ولكن الفقه لايمنح قلبا، كما انه لايمنح إلها، انه يسلبهما منك فحسب، انه يجعلك صنما.. اليست سخرية وجود؛ ان الدين الذي جاءك بتحطيم الاصنام يجعلك صنما.

هنا اكثر المشكلة، حيث الروح الحقيقة للدين امست ملغية ومتاخرة لحساب الشريعة- والمفروض ان ذلك يكون عين الازمة التي جعلت المتصوفة يؤسسون لإزانية الحقيقة والشريعة، ولكنها للاسف فكرة انحرفت كثيرا- حيث امسى المبدأ منسيا لحساب الفقه، والهدف لحساب النص، بمدى يصل الامر به لاشعوريا في طبيعة التدين؛ ان صلاة الله اهم من الله نفسه. وليس من الانسان فحسب. بينما في جوهر الدين؛ تعسا لصلاة تدخل

مسجدا بني بجوع الناس. فالله مبدأ وليس فقها، والناس هم رسالته وليس الصلاة. الفقهاء حددوا المتدين بالمصلي وليس بطاهر القلب او بالطيب عموما. فلديهم ان تكون مسلما هو ان تكون ملتزما بفروع الفقه، بين صلاة وجهاد. واهملت العقيدة الحقيقية للدين في ان تكون للخير وللانساني والاخلاقي فحسب. وهكذا امسى الدين مقلوبا.

2

الله بدون الحرية لخلقه لايكون إلهاً. والمعبد بتحوله الى سلطة، يكون قد قمع الالوهية وليس الحرية. لان الوهية الله لا توازيها الا حرية الانسان..

عبوديته تمسح الالوهية اصلا.

فإذا ماأخذنا مفهوم العبودية بانه ليس قيد السيد، وانما اي قيد يلغي منك الوجود حيا، حينها لن تكون العبودية الحقيقية هي عبودية السيد، وانما عبودية الشرائع والاعراف والقوانين والانتماء. وتكون الشريعة الكهنوتية بالذات هي ام العبودية، لانها ابرز من تقوم بذلك الالغاء الوجودي. كونها، بدل ان تكون نبعا، كما هو اصلها اللغوي، كانت جحيما. وبدل ان تكون افقا، كانت سجنا. ومدار الوجودية الدينية هو ان تعانق الوجود الذي ولدت له، لتكون فيه ويكون فيك، والا حينها يكون خلقك للوجود خطأ. لذا فهذه الشريعة متهمة. لانها تسلبك من عناق الوجود – الوجود عشيقة اما ان تعانقها او تغدوا عدما دونها. كل ماعدا عناقها عدم– وكأن حال الانسان مع الوجود؛ فاجتمعنا لمعان

وافترقنا لدين[19]. بل هو كذلك تماما.. لذا هذه الكلمة هي الاس المعرفي للوجودية الاسلامية معنا في كل نواحيها.

فالمراة التي عاشت مع زوج تكرهه حُذِف وجودها بحذف حريتها مع شريعة الطلاق وقيده الرجولي. سيما مع معونة الاعراف لذلك. لتبقى تلك المراة بين الله والحياة بلا إله ولا حياة. لانها لاتحب حياتها التي ارهقتها، ولاتحب الاله الذي تتوقعه صاحب الشريعة. بل انها غضبة من الله في قانونه، كما لاترى منة له في خلقها. بل عتبا عليه. بينما حقيقة الامر هو انه لا وجود لقيد الطلاق اصلا في جمهورية النبي، لان الطلاق والحرية متضادان وجوديا[20]، والحرية هي اساس الجمهورية مع النبي، بمنطق أسه؛ (الناس مسلطون على انفسهم). فهم يقرروا نوع وجودهم ومكانه وجنونه ورفيقه وحبه وتيهه، لا الاب ولا الزوج ولا الحاكم ولا رجل الدين ولا حتى النبي، ولاحتى الله. انها حياتهم. الله منحهم الحرية كشيء كاهم بذرة في ماهيتهم، إنها ماهية وجود[21].

اذن الوجود حر والشريعة قيد، وبذاك تتعارض الشريعة مع الالوهية، لان الحرية الممنوحه من الله للانسان في خلقه ستغدو عبثا، إذا مابعث الله بعد ذلك بشريعة تسلب

---

[19] تبقى؛ فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان. في قاعدة (وصال المعنى) لازمة لكل الزوايا الوجودية الانقلابية، على المنظومة المعرفية للكهنوت وعموم الواقع الانساني..

[20] حتى وان لم يتضادا منطقيا. لان شريعة الجمهورية وجودية حياتية وليست تجريديه صورية، كما هي المقاسات الفقهية. اي انها لاتؤمن بالتضاد المنطقي، وانما التضاد وجودي فحسب..

[21] لذا بعض الوجوديات، حينما قدمت الوجود على الماهية، لم يكن الامر معها لاجل بعد فلسفي تجريدي، بان الذهن اولا يعاين الوجود ومن ثم ينتزع الماهية. كما هو مثلا شأن مدرسة الحكمة المتعالية. وانما لرايهم بان الحرية هي الاصل في الخلق، ولايجوز حتى على الله ان اخذ الحرية من الخلق، منافاة لكمال الخلق وصحته، والا لكان قد خلقه حيوانا وليس انسانا. إذن الانسان يصنع ماهيته بحريته. ليكون الامر ا الماهية بيد الانسان، والوجود بيد الله. كما اختصرناه في الجزء السابق. إذن الماهية متاخرة...

حريته؛ اي ان الله سيعطيها من جهة وياخذها من جهة. بل حينها يلزم على الله الاحتيال وليس العبث فقط. لذا على الفقهاء ان يعترفوا بأنها شريعتهم وكذبتهم، وليست شريعة الله، والا سيتركوا الله متهما في ذلك.

كل القصة في كفر الشريعة هو إنها لعبة فقيه وحيلته ولصوصيته، وحماقته وعقده. وفي افضل حالاته وحسن نيته، فهو فقيه يريد الانسان للمعبد، بينما الانسان للوجود. وما يضع التهمة المعرفية الاكبر، هو تأسيس الفقه واحكامه على منطق السيد والعبد بين الله والانسان[22]، منذ اول رسالة في علم اصول الفقه. بينما ابن ابي طالب يعيب تلك العلاقة، باستنكاره رسميا(... فتلك عبادة العبيد).

الله ليس اقطاعيا يريد عبيدا له في الارض، يسخرهم لاجل ذاته، كما يسخرهم السيد التاريخي في ارضه وحرسه وخدمه. انه الهه لا سيده، انه اصله، روحه. هو يعطيه وجودا، بينما السيد يأخذه منه.. العبد كل همه هو ان يتخلص من سيده، بينما الانسان

---

[22] توجد موسوعة كهنوتية تحمل هكذا عنوان إفتخاري (موسوعة توحيد رب العبيد).. مفردة العبيد واستخدامها بيننا وبين الله خلقتها تاريخية خاصة بين السيد والعبد. ورسخت مع كثير من الاخطاء التي لم يكن للنبي ان يغيرها بقومه. لانه كان معلما فحسب.. كل تلك الانثربولوجيا تحال على الخطوة الاولى في تسمية بناء الاله بالمعبد.. ولكن من هو الاول زمنيا، هل هو العبد العرفي ام الالهي الديني؟.. ظاهرا بدأ الامر مع العرفي وعلى اساسه كانت تسميه المعبد. فتلوه الالوهي الديني بالعرفي. علما انه حتى مفردة العباد الأولى بالطريق الديني ضاعت وسط زحام مفردة العبيد.

يلجأ الى الله، ويفر إليه[23] لايفر منه ليسمى آبقا مجرما.. السيد يرفض ان يرتقي العبد اليه، بينما الله يريدك على مقاسه، صورته و شبيهه في صفاته. لايريد حتى ان تكون مريده وتابعه. فارق كبير بين الصلاة والسياط.. العلاقة بين العبد والسيد، سياط وظهر، وبين الانسان والله مبدأ وقلب..علاقة وجود يربح بها على الله لايربح الله بها عليه. كما هو السيد في ربحه المجاني في سخرة العبد بالقوة.

ولان هذا المنطق بين الله والانسان بقي حاكما على التشريع الى يومنا هذا، تحتم الامر ان يكون التشريع مغلوطا في معظمه. وامسى الوجود مغلوطا به. كون هذا الفقه يغطي معظم حركة الناس والاعراف- سيما بعد ان اصبح الدين عرفا اكثر من انه عقيدة، والشرقي يستطيع كل شيء الا أن يخرج على عرفه- لذا لا انقاذ للوجود الا بابطال هذا الفقه. بل لايمكن انقاذ الله نفسه الا بذلك. طالما ان الواقع الديني امسى؛ الهك هو فقهك، وليس الله.

3

لا نقاش في ان العبودية التقليدية للرق، هي الناحية الاسوأ اطلاقا على الليل البشري[24]. وانها المأساة الاولى للتاريخ، والخطيئة الابشع للانسان، والخروج الاكبر على

---

[23] للقرآن نصه في ذلك؛(فروا الى الله).

[24] تاسست البشرية في طريقها الاجتماعي الاول على منطق السادة والعبيد. ارستقراطي وعناصر اخرى حولتها الحياة الى رقيق. فكانوا خداما لوجودهم في كل الزوايا الحياتية، سواء لبناء القصور والجيوش والحرس والخدمة والرفاهية والارض. كل حاجة الارستقراطي في طعامه وراحته وترفه يقوم على عمل الارقاء حتى قبره الفرعوني يبنيه عبيده. المفروض هنا بديهية، وهي ان الاهرامات هي ابداع العبيد وليس الفراعنة.. كل حضارات الشعوب قامت على العبيد وليس على السادة سومريون وفراعنة.. اليس مؤلما ان عين امبراطورية

الله. ولانقاش ان هذا الليل يمثل البديهية الاولى (للضمير) البشري في اسم الخطيئة. ولكن الغريب كل الغريب هو ان الاسلامويين من كهنة ومثقفين، مازالوا يقولون انها اروع ليالي التاريخ معهم، بل وانهم من جلبوا للتاريخ اقماره. رغم انهم ساهموا في أسوأ ناحية من ليل العبودية ذاك. ليس لانها كانت معهم حالكة اكثر، وانما لانه لله اسمٌ فيها. وعن هذا ستُقدم كل المشكلة نفسها، حتى وان كانت بعضها[25].

صحيح ان العبودية الاولى[26] انتهت كمشلكة وجود، ولايهمنا أمرها أطلاقا، ولكنها تبقى مشكلة بنية تبين منطق الفقه وفضيحته في إنتاج الاحكام عموما. إذ عين البنية المعرفية التي جعلت العبودية حلالا في الفقه الاسلامي، هي عينها تجري وتحكم السلوك المعرفي في انتاج باقي احكام المنظومة الكهنوتية. الامر الذي ينفع كثيرا لتسهيل هدم المنظومة الكهنوتية تشريعا وعقيدة مرة واحدة دون المرور على تفاصيلها، فقط بجر هذه المنظومة الى نقطة يستشعر معها الفرد المسلم كلمة نيتشه؛ (اليس فرصة مناسبة لكي نتعلم التشكيك في الفكر نفسه جملة؟.. الم يتلاعب بنا حتى الآن أيما تلاعب). وهذا اهم ما نطمع به هنا. علما ان إجراءها المنهجي هنا يتجاوز آلية منطق الوثاقة؛ اذا أحرزَ خطأ البعض, علينا ان نشك بالبعض الاخر.. وانما من منطق؛ أن الجزء ينفي الكل

نهاية التاريخ كما سمت نفسها امريكا، اسسها العبيد ايضا بمجيء 22 مليون اسود من افريقيا ليهبنوا امريكا للعالم. لذا نظرية (الرشد البشري) في التاريخ ايضا كذبة اخرى.

[25] الغريب ان عين العدميين الذين ينكرون الله والنفس والروح والمعايير والقيم العليا، تجدهم يكدحون ويناضلون الى تحرير الانسان والتعساء من عذاباتهم.. والبحث عن شيء من اجل سعادة الانسان، ويرفضون تلك العبودية جملة وتفصيلا. إذن العدميون اقرب الى الله واقعا من الدينيين الذين مازالوا يجدونها حقا وشرعا الهيا.

[26] وصفناها بالاولى لانه تلبست بلباس اخر له اشكاله في الوجود.

في مقاس البنى.. فما يجعل الكهنوت يشرع للعبودية هو عينه ماتقوم عليه باقي التشريعات.

أعتقد ان ذلك سيُسهل إدراك لعبة الفقهاء مع النبي وخيانتهم وسطوهم على الاسلام وسرقته في كل غرفة. وبالتالي يقف المتلقي على عتبة اليأس من كل ماانتجته وماتنتجه تلك المنظومة تشريعيا باسم الفقه.

لا تعنيني هنا مشكلة التاريخ، رغم ان المهمة الاولى هي مهمة تنظيفه. إذ لاتوجد اعظم من مهنة الزبال، حينما يكون عمله وساخة التاريخ. لذا، عادة، لا يخشى الكهنوت الا من فيلسوف زبال. اما الفيلسوف الانيق في شوارع التاريخ، فعادة ماتكون فلسفته وسخة.

ما يعنيني هو بنية المنظومته الدينية، في فقيهها وفقهها. قياسا على بنية مفهوم الانسانوي، باعتباره هو المفهوم المحدد لاصل ماهية الدين. ولان ألازمة في البنية الفقهية هي ازمة انسانوية لا معرفية. لذا تحال على ذواتهم وليس على المعرفة. إذ لاوجود لمشكلة عقلية معرفية مع الدين كما يدعون، لوضوحه بوضوح الخير، فكل الاشياء واضحة مع القلب. وهو أعدل قسمة بين الناس، فيلسوفهم وبقالهم. لذا كشف البنية الفقهية وانحرافها هنا هو حساب وجودي لا نضري- وهو امر مغاير منهجيا تبعا للانقلاب المعرفي على التجديد التقليدي- لقيامه على منهج شعوري تصله العجوز وامها اكثر من الفيلسوف. فالعقل الفقهي الذي يتجاوز على بديهيات الضمير لايمكن الوثوق به حتى وان وضع جنب القرآن، بل حتى ولو كان عليه ختمة جبرئيل. لاننا نحكم على

الله نفسه بالضمير، وعلى انبيائه وعلى الوجود. هذا عينه ماقرره النبي عينه في ديانة القلب؛ (استفت قلبك وان افتاك الناس وافتوك..)

وهذا مافرض هنا اختيار بنية العبودية، إذ لاتوجد بنية فاضحة لزور الفقه الكهنوتي بدهيا، بقدر بنية تشريع مسلمة العبيد أوالسبي والقتل وغزو الشعوب واحتلالها باسم الهداية. سيما انها ليست تشريعات جدلية نصيه، كما هو مثلا حكم حق الطلاق بالتساوي بين الزوجين، وانما تشريعات ترتبط بأشياء لها ظهورها الحياتي، كصور تاريخية حكائية منقولة وصفيا. وبلاشك ابرزها وضوحا مع القلب يربض تاريخيا مع اليتيم الذي قتل اباه واخذت أمه يتسرى بها المسلم بعد المسلم وسبي عن ملعبه ودياره، ومن ثم كبر عبدا وخصي عبدا ومات عبدا. أي بنية قبلت تشريع ذلك؟.. قبلته بنية الدعوة والجهاد والفتوحات، التي صار بها الدين تشريعا لاستعباد الناس لا تحريرهم، على النقيض تماما من الشعار المركزي للنبي؛ (من عبادة العباد الى عبادة رب العباد). فكانت ضد الله ونبيه، وكفر به وليس دعوى اليه. سيما ان الكهنوت مازال يرى تلك الامور مسلمة رسالة نبوية وشريعة الهية. ويشكل يبرز معها ان الكهنوت الاسلامي ليس فقط كهنوتا لايخجل من تشريع بديهيات القبح، ومن جرائمه وساديته في التشريع، بل انه يسجلها باسم الشرف، ويقدمها باسم الله.. يتوضأ بها ويصلي بها.

في الجمهورية الاولى ذكرنا منهجا يجعل من العبودية والطبقية قيمة معيارية معرفيا تكفي مسبقا في تخطئة الايديولوجيات، دون الاطلاع على تفاصيلها[27]. فالتشكيك بالكل بخطيئة الجزء امر منطقي اذا كانت خطيئة الجزء اتفاقية بشرية للضمير، وان كل شيء دونها في الخطيئة. إذ لايمكن لعجوز ان ترى دينا يقول بحلية عبودية زوج و سلب زوجته عنه واطفالها وديارها وفصلها عنهم والاستمتاع بها وسط كل الامها. ثم تثق بما بقي من هذا الدين في تشريعاته. قد يقبل افلاطون ذلك، بل هو قبله، ولكن محال ان تقبله عجوز. لان العجوز وافلاطون يقفان بين جبلي ديانة القلب وديانة الفقه في افضل نهار. بالحقيقة ان كل القصة؛ هو ان قلب العجوز افضل من عقل افلاطون. وفي هذه المفارقة قيمة الوجود. ولكن ايضا في هذي المفارقة حماقة البشرية.

كل التعويل منهجيا في الهدم والتشكيك يقوم على اساس ان الايديولوجيا التي تحلل العبودية والطبقية والسبي والقتل ودموع الاطفال بأسم الهداية ميؤوس من انسانيتها، ولايمكن تسميتها ايديولوجية دينية اطلاقا. لابأس لتسمى ايديولوجية امبراطورية. اعتمادا على قاعدة ان الديني هو الانسانوي فحسب. لان تلك المآسي لاتحتاج الى فكر في جداريتها اسم الجريمة والكفر الانساني. بينما الفقيه يحللها دون اي جهد اجتهادي اصلا، فيدونها كبديهية شرعية وانتهت المعرفة.

لذا سيبقى الاساس في نظام الهدم لا يتصل بالتسلسل البرهاني العقلي للموضوع، وانما بالتسلسل الشعوري له مع الصورة التاريخية والتشريعية على حد سواء. ليس لاننا في إطار ديانة القلب، وانما لانه لا منهج عقلي اصلا للحقيقة، وان الحراك الذي يصلها

---

[27] الامر قريب في منهجه المعياري من كلمة خليل الكافر (باطلة هي التعاليم التي تجعل الانسان تعسا في حياته).. التي تأخذ اصلا كليا وتحكم به مسبقا، دون الحاجة الى النبش داخليا.

هو شعوري فحسب[28]. والشريعة تاريخيا هي من اكدت ان العقل الفقهي يمكن ان يجعل بديهيات الحرام حلالا، خضوعا للمصلحة والسلطان. وحين يكون هذا العقل حسن النية فهو يخضع للنص وللاستاذ والمذهب. إذ حتى هذا الاخير بمعياريته النصية، يسمي مثلا انتحار جولييت وآنا كارنينا خطيئة وحراما وكبيرة، بينما القلب يفهم ان ذلك الانتحار لايكون الا حينما يصل العشق قاب قوسين او ادنى من الله. وبالتالي فالقلب وحده لايخضع في فتواه الا للروح الالهية المنفوخة فيه حتى وان كان في جسد طاغية.

لذا المسألة هنا لاتقتضي كتابة تاريخ اخر، وانما فتح قلب اخر فحسب[29]. تجديد القلب لا المعرفة. وضعه امام التاريخ والاشياء فحسب. وحده من يقرا لا العقل. الامر يتعدى النص الى الوجود بمنهج وصفي محض لظواهر المأساة وتراجيديات الفعل الاسلامي، وساديات التشريع لتلك الظواهر وفعلها.

.. القلب والتاريخ وحدهما. آنذاك سنجد تاريخا آخر. بل سنجد قلبا جديدا.. فلايغسل القلب الا المأساة.

---

[28] وفي هذا بالذات يمكن للوجودية ان تثق بمنهج الظاهريات(الفيمنولوجيا). بل لهذا كان على مطلق الظاهريات ان تكون منهجاً شعورياً فحسب، دون اي آراء اخرى يتشرنم بها تعريفها.

[29] هذا ماأرتته في الجمهورية الاولى، بكلمة؛ (ان تربي قلبا جديدا). والاصرار على انها أس معرفي في الوجودية الاسلامية. اعتقد ان المتصوفة كانوا قد ارادوا من ذلك كثيرا في منهجهم ولكنه انحرف بصياغات فكرة الترويض.

عرض خام لما هو مسطر في عين التاريخ الموالي[30] للكهنوت. خام صفاقته وليس نقائه. لان صفاقته تلك هي عينها من نفعت في وصول الحقيقة الينا، حينما جعلت الكهنوت يدون خطاياه على انها شرفا يمنحها اسماءا من الفضيلة والشرعي والدعوة والالهي وعموم مفردات المعبد. إذن القدر كان وفيا وليس المؤرخين.

5

كان كميل ابن زياد، تلميذ علي، قد سأله في احد الليالي؛ .. معلمي مالحقيقة؟.. فأجابه؛ (محو الموهوم وصحو المعلوم).. سأله مجددا؛ زدني.. لم يجبه علي، التفت الى السراج، وقال؛ ياكميل اطفئ السراج فقد طلع الصباح. قام كميل بذلك، وفهم انه قال كل شي. لان الشمس تغني عما دونها.. إنقاذ الحقيقة لايقوم الا بـ (محو) المتوهم انه الحقيقة لدى المجتمعات. وهذا (المحو) يكفي ذاتيا لـ (الصحو). او لنقل ان الصحو لايكون الا بالمحو، بمنطق كلمة التاوية؛ (افرغ تمتلئ). فـ (الخلو) وجود في المعرفة . ومع عين هذه الازمة جاء المتصوفة بكلمتهم المشهورة؛ العلم حجاب. والفقه اكد تاريخيا انه؛ (حجاب الدين) وانه حجاب الحقيقة والوجود. علما ان كلمة علي هذي تشي ضمنا باختفاء اللصوص مع اختفاء الحكماء.

---

[30] لايوجد اصلا تاريخ معارض في التراث الاسلامي. هنالك تواريخ معارضة في الخلاف المذهبي والسلطوي فحسب، وليس في الخلاف الديني الانسانوي والحقوقي. وفيها من اللغط المخزي مايسفه مفردة المعارض وقيمتها التاريخية.

لذا المسألة هنا تتجه الى فضح ان كثيرا من مسلمات الحق في التراث هي عينها مسلمات الباطل الاكبر اطلاقا. وان الفكر والتشريع الكهنوتي على النقيض من بديهيات الانسانية. وان مسلمات الهوية هي مسلمات لا انسانية. سيما ان الكهنوت مازال يفتخر بالخطايا الكبرى على انها مفاصل الحق والانتصار الالهي. رغم انها تراجيديا الكفر للتاريخ.

مشكلة الشعوب في تاريخها وايديولوجياتها عادة ماتكون بصيغة؛ ان عار الاجداد شرف. وهذا ماجعلها لاتقبل من التاريخ الا ان يكون عظيما، لذا جُعِلت تسمياته عظيمة مهما كان عاره.. يرافق ذلك، نكتة جد مهمة، وهي؛ ان الحضارة لم تكن مع الشعوب الا في انتصاراتها.. وبما أن اجدادنا كانوا منتصرين في لحظات كفرهم فحسب، فاضطرنا الامر ان نجعل من الكفر في تاريخنا ايمانا. هذه هي اللعبة في اصلها.. أجل إيماننا كفر. ومنها الفتوحات التي انتصروا بها، لانها كانت ابرز كفر مارسه المسلمون وخانوا بها نبيهم.

إذن فالحقيقة بكل بساطة، هي ان الكهنوت هو اكثر من كذب في ايمانه. وليس اكثر من صلى في معبده. وبما اننا على مسلماته فايماننا كفر ايضا. ولا ايمان الا بنفي تلك المسلمات. لذا بدل ان نحفظ عضمة من التاريخ، علينا ان نتعلم عاره فحسب. فالعار هو الممهد للحقيقة، والعودة الى الحقيقة لا يكون الا بإستشعار العار، بروح كلمة ستاندال(التاريخ لايرى نفسه. وان لم ننظر الى اسفل، فلن نرى الهاوية).

سرقة الله..

(إذا رأيت كاهنا فصح حرامي.. حرامي)

كيركجارد

(انني امتلك كلاما ملطخا بالدم..)

الرومي

1

النبي والاله، يموت تاريخهما، اذا ما قرأتهما تاريخا. وإذا ماأدخلا المعبد توحش النبي وقسا الله. فيغدو النبي غير النبي، والاله غير الاله.

فهل على الانسان ان يعود الى الهه داخله، دون كتب، دون تاريخ.؟. هل عليه ان يكون خاليا من المعبد، ليكون مليئا بالله. تماما كما عليه ان يكون خاليا من التاريخ، ليكون مليئا بالحقيقة[31]..

---

[31] الله بلا معبد. هذه اهم حقيقة لابد الالتجاء إليها. المعبد في بنائه، تاسيس تاريخي متهم، له سره الانثربولوجي الخاص.. لماذا تأسست هذه الجدران، وأخذت هذا الاسم وحصرت الله به، وقعلت جدران أخرى

لذا فالحقيقة الاهم انقلابا، هي؛ ان محمدا لم يكن إسلاميا قط.. تماما كما لم يكن عيسى مسيحيا[32]، وبوذا ليس بوذيا. ومن يظن انه من الاسلاميين فقد اساء الظن بالله، وليس بالنبي فقط. وهنا يمكن فهم إبهام كلمة الجمهورية في غايتها؛(ليس انقاذ الاسلام، وانما انقاذ النبي من الاسلام). كم انقاذ المسيح من المسيحية. وكل الانسانوين من تاريخهم. رغم انه ليس همنا النبي وانما جمهوريته. ولكن لايكون ذلك بدوا الا بالنبي وتخليصه من حجاب الكهنوت الاسلامي ومسلميه.

.. إذا ما أدخلا المعبد توحش النبي وقسا الله.. اليس الكهنوت بمعبده يجعل النبي يتخذ ثلاثا من الجواري ويستعبدهن كعمل شرعي وإلهي، ويجعل من الله إلها يقتل ويسبي من اجل الانصياع لعبادته، كما هو مثلا مع قبول العلماء قاطبة للحديث المدسوس في منطق الشهادتين؛(أمرتُ ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله..). واعتماده معرفيا لهوية الاسلام ومنطق الله.. هنا العلماء يجعلون من الله ملكا يرسل من يقتل الناس لاجل الاعتراف به. ولكن الله ليس قاتلا، والا لارسل الحجاج وليس محمدا.
اليس الكهنة كانوا كفارا في عين معبدهم حينما كانوا يصلون خمسا ويقتلون الافا[33]. هذه هي بنية الفقه الكهنوتي، في اوضح صورها؛ أن من يُشرع للصلاة هو نفسه من كان يُشرَع للقتل..

نفس الشيء. كلٌ يقول الاله هنا ؟؟!! للامر قصته.. بكل الاحوال، فالمسلمون؛ (اتخذوا مساجد الله اسواقا)، كما قال الحسن البصري، رغم انه اقل من ان يريد رفضا للمعبد، رغم تقديانه.

[32] أثار الصياغة اللغوية معي عنوان كتاب برتلاشو؛ المسيح ليس مسيحيا.

[33] حينما ارى تلك المآسي اشهد اننا معشر المثقفين معشر سفلة جبناء في علاقتنا مع الحقيقة. واننا نشارك في جريمة الزور اكثر من غيرنا. اننا اسوء من رجال الدين للحياة في هذا العصر..

وفي ذلك فحسب، يمكن الاكتفاء بأن هذا الدين لايمت الى النبي بصله، وان نسخة الاسلام بعده، هي نسخة عزرائيل وليس جبرائيل.

لذا فالله من يخشى من العلماء، وليس العلماء من يخشون الله. هذي بديهية لن اعود عنها. وأعتقد معها ان حقيقة آية (إنما يخشى الله من عباده العلماء) هي ليس كما هو معروف ومتفق عليه عند من رتّلها بحركتها الاعرابية، وانما هي خشية الله فعلا من العلماء. ولكن ليس ذاته من تخشاهم، وانما يخشى (على الناس) وعلى دينه منهم.

والدليل الاهم على ذلك، ليس فقط لما فعله الكهنة وعلماء الدين بالدين والناس والحياة، لتحق خشية الله على دينه منهم، وانما لان حصر التقوى بالعلماء هو نفي لبديهية مع كل المجتمعات في الواقع المعاش بان الناس البسطاء هم اكثر ايمانا وخوفا وتقوى والتزاما بالله من غيرهم، بل ان العلماء الذين تندموا اخر طريقهم تمنوا دين العجائز، حتى ان هذا الامنية غدت مصطلحا رسخ عنهم كاهم ايمان إزاء الايمان الفلسفي. بكل الاحوال هي بديهية، نسبة لاصول الايمان؛ في ان المؤمنين هم من اصحاب القلب النقي/ النبلاء، وليس من اصحاب العقل الذكي/ العلماء.

الخشية غير الخوف او الجبن. لذا فنحن لانتكلم عن ذات وذات، وانما عن ذات على شيء. وان تخشى شخصا غيره ان تخشى منه، تماما كما تخشى ام على اطفالها من شخص، فالامر معلق بالطفل وليس بالذات. او تخشى على صديقك الانحراف، أو على جنديك الخيانة.. علما ان هنالك احاديث كثيرة تؤكد بقوة هذي الوجهة المفارقة للاية، اكثرها بشاكلة؛ (اخشى ما اخشى على امتي علمائها)، والكثير ممن يتناغم معها. أو منطق قلق احاديث بشاكلة؛ (إذا فسد العالم فسد العالَم).

كل ذلك لايغنيني كدليل، لان الامر واضح عندي بكل بديهية شعورية واقعية تاريخية؛ انه ليس هنالك من خطر على دين الله وعباده الا علماءه. فهم من جعلوا الله قاتلا وليس غيرهم، كما اسلفنا في دسهم حديث(أمرتُ ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله..).

2

اهم مالدي في الدين وجمهوريته؛ هو ان الدين ما يمنح حياة، وليس ما يمنح إلها.

ولهذا السبب أسلفنا؛ لم يجلب النبي لبلال الها، وانما جلب له حرية/ حياة.. ولكن ماتريد ان نصله هنا هو ان منطق الدعوى الى الله خطأ كهنوتي كبير تاريخيا كما معرفيا. وهو اهم. وان فكرة الدعاة والمبشرين كذبة مصيرية في انحراف التاريخ.

الداعية الديني غير الداعية الاخلاقي فالاخير لاينتمي لمعبد، لذا جمع شتات البشرية على اخلاق واحدة وليس معبدا واحدا. علموا الناس القيم وليكن مايكن شكل معبدهم.. لذا عيسى حينما كان يعلم، كان يرفض ان يتحول اليهودي الى عنوان ديني ثان معه، وحتى التحول من الختان الى التعميد، هو وجهة تعليمية للجسد لا دينية.. معظم رجالات اليسار الاسلامي الاول كأبي ذر وصاحب الزنج وآخرين دعوا بدون معبد. وعلي عينه مثلا هو بلا مذهب اطلاقا، شيعته من اسقط عليه مذهبا فشوهوه به، والا فهو نفسه الذي كان يتمنى الموت كمدا من اجل مسيحية سمع انه سُلب حجلها في الانبار، ومن مسلم وليس مسيحي.. لو سئل احدهم اليوم عن ذلك الحدث التاريخي مع تلك المسيحية، دون ان يعلم رأي الامام وموقفه في ذلك، لقال نعم هي تستحق شرعا ذلك

كواجب في ايذاء اهل الذمة، وإذلالهم، أو اقلها لقال انها حرب فتوحات، والحجل غنيمة وهي شرع من الله.

النبي عينه لم يكن يقبل تسمية انتمائية ضد احد، سيما ان كانت اشارة الى معبد مفارق، لذا كان يجلد المسلم ان نادى يايهودي. واليهود لديه مؤمنون بعين تسميته في الوثيقة لا كفارا. وهنا من المهم التيقن ان الاسلام لدى النبي كان جماعة سلمية فحسب، عقيدة وجودية في السلم فحسب، والايمان شي اخر لديه. والا فهو يعرف ان ابا سفيان لايمكن ان يكون مسلما وهو بتلك الروح وخبثها. ورغم ذلك ادخله تلك الجماعة، كي يجتمع الناس على السلم فقط وفقط.. وهو ما سننتهي اليه من ان الاسلام جماعة انسانوية وليس عقيدة لاهوتية، وإن الايمان شيء آخر.

مع أس، ان الدين هو ما يمنح حياة، وليس ما يمنح إلها. يبدو بوضوح معها ان الرسالة الدينية لدى النبي، لاتريد دعوة لله وللالوهية، كما هو دور الدعاة. وانما دعوة للخير والانسانوية فحسب. الرسالة لاتريد نبيا يبني معبدا لله، وانما نبي يبني قلبا للانسان. الله لاتهمه المعابد، القلوب فحسب ماتهمه. وان كان غير ذلك، فهو ليس من الله. لان الله ليس انانيا.

انظر حرص الالوهية دون الانسانوية مع الدعاة، لذا، فكما قديما تراهم ضد المجوسي والدهري والبوذي، كذا في الازمنة الحديثة ضد الشيوعي. دائما ضد كل من لا يقول بالله، حتى وإن تميز بنبالة كبرى. ليترتب على ذلك هدر وجوده، دمه، عرضه، ماله، زواجه. لذا حينما كانت تظهر الفتاوى ضد الشيوعية لايقولون انهم ليسوا انسانين او طغاة، وانما يفتون ان الشيوعية إلحاد. هذا هو الاساس لديهم في تخطئتهم. اي لانهم ضد الله. رغم

انهم كانو مع الجياع والمستضعفين. وهو يكفي انهم مع الله. لان الالوهية عينها لايمثلها في الارض الا الانسانوية فحسب. النفي الحقيقي لله هو نفي الانسانوية من الفعل البشري وجوديا.. التوحيد كذبة نظرية في اللاهوت.

.. صحيح انهم لايرفعون ايديهم الى الله، ولكنهم يرفعونها عوضا عن ذلك الى الجياع. فان تطعم الجياع خير لدى الله من عبادته الف عام.

3

الله لايريد نبيا يسير في الشعوب يقول ان الله واحد، وانما يريد نبيا يقول ان الناس كلهم من واحد[34]. توحيد الروح البشرية، مهما اختلفت الالوان والدماء والجنون والحب. دعوة الى الانسانية الواحدة. فمحمد كان يقول انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق، ولم يقل بعثت لاتمام وحدانية الله. خاصة ان الوحدانية تبقى رقمية ليس لها محل في كلمة الاتمام. عيسى يقول واحد وحواريوه يجعلونه ثلاثة. بينما الاخلاق في اتمامها هو امتداد في الاعماق وليس في الكم.

[34] حتى اية(ادعوا الى ربك..) لاتريد المعنى اللاهوتي، الله وعبادته وماهيته وانما الدعوى الى الخير .. اعتقد انه امر معروف سلفا ولكن لاباس في جدله. إذ لو كان كما يظنون لما كانت هنالك حاجة في الاية الى(..بالحكمة والموعظة الحسنة).لان اثبات وجود الله ليس موعظة، فمجال الموعظة هي القضايا الاخلاقية والقيمية.. كما ان الله لو اراد اقناع الناس بانه موجود وانه واحد اوحد لكانت هناك طرق وطرق اسهل وايسر وان لم يقم بها واستبدلها بطرق النبي فيلزم عليه صفات تخرجه عن صفة الحكمة..

لايريد نبيا يقول؛ صلوا وصوموا وحجوا (دللوا الله في عبادته). وانما نبيا يقول؛ لاتخدعوا، لاتظلموا، لاتقتلوا.. احبوا اصدقوا اعينوا (دللوا الانسانية في وجودها).. بل ان التاريخ والتراث الكهنوتي عينه يروي في تاريخه، على ان هذه العناوين؛ لاتسرقوا لاتقتلوا لاتظلموا هي عينها الاشياء التي تعاقد عليها النبي مع مبايعيه وليس الصلاة والصوم وغيرها. وفي كل البيعات المؤسسة للانتماء الاول للدين وجماعته سواء مع قبيلة بني هذيل او مع بني امية، في الرضوان او الشجرة، لم تكن شروط الانتماء هي الاتفاق على ماهية الله بانه واحد وليس اربعة، وان يصلوا ويصوموا.. الصلاة والصوم عناوين متاخرة في الطريق. وانما كانت الشروط؛ ان لاتقتلوا وان لاتزنوا ومعظم الاخلاقيات الكبرى. بل كل ترحالات النبي الاولى داعيا، لم تات سيرة الصلاة والصوم والعبادة، وانما الالتزام بقيم الخير فحسب. وهو الامر عينه مع الاديان الاولى في مفهوم الوصايا سواء مع عيسى وموسى، او مع عموم نمط الاديان الارضية الكبرى؛ وصايا اخلاقية تخص الانسان، لاتعبدية تخص الله.. بينما ميزة الكهنوت عموما هو ان مقياسه وتحديده لفرد ما متدينا او لا، يقوم على صلاته وصيامه وعموم طقوسيات المعبد، بعيدا عن اخلاقه. لذا من لايصلي لايملك حق تسمية المتدين كهنوتيا، مهما كان اخلاقيا في اقصى المثالية.

هذا هو الفارق الاهم بين الاسلام الفقهي[35] والاسلام الانسانوي. إسلام المعبد وإسلام الوجود. إسلام الكهنوت وإسلام النبي. حيث تكون ماهية الدين ؛ كيف تكون مع الانسان، وليس كيف تكون مع الله. وان الله لايبحث عن دين تنتشي فيه عبادته، وانما عن دين ينتشي به عباده. وهي عينها البديهية اللاهوتية الاولى في المنحى الوجودي

---

[35] اسميناه الفقهي لان يقوم في جوهره على الفقه والاحكام العبادية، وليس المبادئ الاخلاقية والانسانوية. كما هوالفقه الوجودي القائم على تلبيه الحاجات الوجودية للناس ومصائرهم وحياتهم.. المهم ان الفقه التقليدي معبد وليس حياة.

الذي كان عليه النبي وكبار تلاميذه. قبل ان ينتصر ابو سفيان وفقهاء التاريخ[36]. لامواربة في ذلك ولامبالغة. انتصر ابو سفيان حينما امسى الفقه يحلل لاجل لفظة (لااله الا الله) قتل الاباء وسبي الامهات وبكاء الاطفال وتيه الحياة، بدس كذبة(أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا....). تماما بالطريقة التي وعاها لايبنتز بان نجاح الفكرة الدنيوية تكون بإلباسها ثوب المقدس[37]. بينما محمد كان يطلب من عمار ان يسب الله مرة ثانية، ان هددت قريش ظهره بالسوط مرة ثانية. في كلمته المشهورة له؛(ان عادوا فعد). إشاره الى سبه الاول تحت العذاب.. هنا بكل وضوح؛ ظهرُ عمار اهم لدى الله منه.

مع كذبة الفتوحات كَثُرت المساجد والمأذن في الشعوب، ولكن بلاشك كثر العويل ايضا، وكثر القتل والسبي والفراق والترمل والتيتم والجوع.. هؤلاء هم الدعاة في التاريخ.

[36] والمفروض ان هذا ليس غريبا، لانه ينتمي الى نظرية عليها ان تتاكد الان ايضا وهي؛ ان الانبياء في الحروب هم الخاسرون. شانهم شان كل المعلمين.

[37] الكهنوت منحها تاويلا، ولكن ليس على شاكلة المنطق التاويلي التي عرفت به السلطات في مفهوم المصلحة والمنفعة، والاضطرار والاختيار ، او مثلا التاويل الفلسفي مع القانون الطبيعي من قبيل النحاس والذهب والسيد والعبد، وهي تاويلات دنيوية. وانما تاويلا دينيا تدخلت به الجنة والنار والحلال والحرام.. وكلمة القس السالفة من تلك الشواهد. بمنطق اصبر على عبوديتك تجد الجنة جزاءا لها.. وهذا هو الالباس لثوب المقدس.

يصف كهنوتي احد السلاطين وفتوحاته ؛ (وكان رقيق القلب، سريع الدمعة عند سماع القرآن والحديث، كثير التعظيم لشعائر الدين.وكان من خيار الملوك وأشجعهم وأكرمهم وأحسنهم. فتح الفتوحات التي لا تحصى من ممالك الكفر، ودمر ديارهم، واستلب أعمارهم، وسبى نساءهم وصغارهم.)[38]

مشكله هولاء المؤرخين الكهنة والاسلامويين المتاخرين والعوام ايضا، هو تحول الاسلام معهم الى طرف قومي إزاء الامم، من ينصرهم على الاقوام يعظموه (كما هو الرشيد مثلا) ومن ينصرهم على انفسهم يشنقوه (كما هو الحلاج). لذا كل مشكلة الاديان بين بعضها صراعا هو تحولها الى قومية فحسب. انا اولد بهوية اسلامية، وكذا المسيحي وغيره. ويبدا خلافنا، ليس لاجل المبدأ الديني وانما لاجل القومية الدينية. حتى وإن لم اكن متدينا.

يصف هذا المؤرخ من (دمر ديارهم واستلب اعمارهم وسبى نساءهم وصغارهم)، اكرر (وصغارهم)، بانه كان (رقيق القلب سريع الدمعة ومعظم لشعائر الدين)..

لايعنيني السلطان وقلبه، ابدا، وانما هذا الكاهن المؤرخ في عقله وفقهه. كيف يصف من سبا نساءهم و(صغارهم) برقيق القلب. الغانية عينها لاتقبل الا ان تصفه بانه حيوان متوحش وليس بشرا. كيف قبل الفقه ان يسمي ذلك التوحش دعوة واسلاما، ليشرعه ويباركه ويجعل توقيع الله عليه..

5

كان ايفان في الاخوة كرومازوف يقول؛ (كل مافي الكون من علم لايساوي دموع الاطفال). ورغم ان كلمة (علم) في النص تقتل بدوا عظمة فكرته، ولكن لا اظن ان الامر يعبر ديستوفسكي بسهولة، كونه الابعد فلسفيا في الوجوديات من فلاسفتها الرسميين.

---

[38] سمط النجوم العوالي، ج2، ص278

بكل الاحوال، بما ان عادتي مع اللغة هو اخذ ماتعطيه اللغة لا المؤلف. اخذ ماتوحيه لي منعزلة دون ان يكون المؤلف متصلا بها، في اجباريات سياقه. اي الدخول على مايمكن ان نسميه اقدار اللغة وعالمها. لذا اللغة هنا تشي ابتداءً؛ ان المعرفة بكل آلياتها لايمكن ان تُضارع في وضوح الحقيقة خطينة دموع الاطفال. وان هذه الدموع وخطيئتها بديهية لاتوازيها اي مسلمة معرفية. اي يمكن الشك بأي فعل في قيمته، ولا يمكن الشك بخطيئة فعل ما يفضي الى دموع الاطفال وعذاباتهم. وهو مايأخذ إلى منطق ان(الطفولة لاتخضع لاحد، بل الكل يخضع لها). كما هي كلمة اميرسون المعزولة ايضا منه[39].. الطفولة لاتخضع لاي مقياس قيمي، وانما كل المقاييس الانسانوية تخضع لها[40]. وبالتالي لايمكن تبرير اي شي مهما بلغت قيمته الانسانوية ووُصِفَ بالجمال، طالما انه يفضي الى عذابات الاطفال ودموعهم. من قبيل تطوير المدار المدني استعمارا، او تغيير المدار الديني هداية باسم الدعوى الى الله، كما سبى ذاك القائد المسلم الصغار بكل فخر ديني. لاتجدي هنا حتى كلمة جبران ؛(احتقر العظمة التي لاتنحني امام الاطفال). حتى وان كانت العظمة لديهم هنا هي شرف الدعوة لله فهي باطلة ومحتقرة لانها لم تعبأ بالاطفال ولم تقدمهم على معبدهم. فكل الاهداف العظيمة والنبيلة عليها ان تتوقف اذا ماتزاحمت مع دموع الاطفال وعذاباتها.

كل مايهم هو مايمكن ان نزحف به عن لغة دستوفيسكي السالفة الى هذي الصياغة منا؛ كل مافي الكون من نجاح او نصر لايساوي دموع الاطفال، اذا ماريقت بسبب ذلك النصر والنجاح.. هذا الزحف اللغوي يصل الى عين ماتؤديه كلمة ميربولنتيني التي

[39] لم يكن مراد اميرسون ذلك ايضا، وانما ايضا زحف دلالي لما تعطيه ايضا اللغة هنا اوانتقل سوقها لوجهة اخرى طالما انها حرة حسب مايلمها من سياق. وهو عين الامر في كلمة جبران السالفة مع خليل الكافر ؛ علموني الكفر بكل شيء. القارئ الان يرى فيها دلالة اخرى، لانها مع خليل الكافر كانت تدل على ان الكهنة علموه ان كل ماعداهم هو كفر . بينما هنا الكلمة هي انهم جعلوه يكفر بكل ماهو كهنوتي، ويشك بكل ماهو ديني رسخه هولاء لدى الشعوب بسبب بسلوكهم وكذبهم وخديعتهم للناس.

[40] .غاندي ايضا كان حجاجه في العنف بدهية الطفولة.

اتخذها مركزا في الوجودية الاسلامية؛(النجاح هو الفشل ان لم يكن نجاح انسانية جديدة.) فكيف اذا تعدى هذا النجاح على الطفولة، وهي الاس الاول انسانويا كقيمة، ومعرفيا كبديهية.

هنا تأتي نتيجة كل هذه السطور خلفنا، إذ؛ كل مافي الكون من (دين) لايساوي دموع الاطفال، إذا ماأريقت بسببه.. وكل مافي الفتوحات من هداية لاتساوي دموع اطفال الشعوب التي قتل فيها اباؤهم وسبيت بها امهاتهم، وتُركوا فيها يبكون ولو ليلة واحدة لاجلهم. بل ولو لاجل كلب ابيهم..

أقطع أن بقاء ذلك الطفل مع ابيه دون دمعة، بل بقاء ذلك الطفل مع كلبه، اهم لدى الله من كذبة الهداية بالشهادتين، والانضمام جبرا الى الدين. هذا ان افترضنا ان الفتوحات قصدية بريئة منة بالمنة، وأخطأت اجتهادا فقط. فكيف ان كانت قصدية غنيمة منة بالمنة. وانها مغازٍ ليس الا.

إذن كيف يمكن ان يوثق بفقه يدعي الله والحقيقة، وشريعته لاتعبأ بجعل هذا الطفل عبدا، رغم دموعه وجوعه وموت ابيه، وسبي امه والتمتع بها في اول لحظة سبي.

اعتقد ان هذا الامر عينه هو من جعل الملاحدة الانسانويين يخاصمون الله - وليس ينفونه- لانه يحكمون عليه بالقيم الاخلاقية نفسها واهمها الطفولة وبديهيتها، تماما كما كان ايفان في رواية دستوفسكي يريد ان يعترض على السماء ويخطأها باسم القيم الانسانوية للطفولة، لانه لامبرر يصمد امام دموع الطفولة.

هذا المآل الذي انتهت اليه كلمة إيفان، يؤكد انها اصله، يعين كلمة ثانية له؛(إذا كان تألم الاطفال مفيدا لاستكمال مجموع الالام اللازمة للحصول على الحقيقة، فانني أؤكد سلفا ان هذه الحقيقة لاتساوي مثل هذا الثمن).

الكهنوت يقول ان هذا القتل والسلب والسبي والتهجير ودموع الاطفال وكل تلك الالام هي شرع من الله، وبكلام رخيص جدا من الدليل، بإدخال ذاك التوحش تحت اسم الجهاد، وان الجهاد ضرورة من ضرورات الدين وفروعه الاساس التي لانقاش على بديهيتها الفقهية، والتي بانكارها يغدوا المسلم ليس مسلما. بل ان القتل والسبي وغيره في الجهاد يستطيعون ان يقولوا انه امر حسن، حسب قاعدة (الملازمة الشرعية)، فماحسنه الشرع فهو حسن، وماقبحه الشرع فهو قبيح. وصلو الى هذا الحد.. هذه هي المعرفة الدينية وهذا هو العلم، وفي هذا سموا علماء لاغير.. اعتقد هنا تجد كلمة خليل الكافر حسرتها؛ (ان النبي قد بعثكم كالخراف بين الذئاب، فأي تعاليم جعلتكم تصيرون كالذئاب بين الخراف).

ورغم ان الفقه الوجودي هنا لاتنطلي عليه هذه الملازمة الشرعية للمعرفة الكهنوتية، بل لاتنفعه حتى انقلابية المعتزلة في قاعدة (الملازمة العقلية)؛ ماحسنه العقل فهو حسن. لان ديانة القلب تتجاوز المعتزلة في ذلك، فالدموع هنا يستطيع ان يبررها العقل ولكن محال على القلب الا ان يبكي معها. والعقول ليس للبكاء، انها تخدع اكثر مما تفكر. والمعرفة الوجودية معرفة شعورية وليس ذهنية.

ماتمشي عليه هنا ديانة القلب في الفقه الوجودي هي (الملازمة الوجودية)؛ مايفتيه القلب فحسب، فيما يحسن ويقبح. وبنبوية وجودية اعتمادا على الاس الوجودي للنبي(استفت قلبك وان افتاك الناس وافتوك). لذا ليس احمق في عقله فقط من يقول بحلية الدموع للطفولة والسبي للامهات، وانما كافر بقلبه. وليس الكفر الا في ذا. فملحد العقل ليس ملحدا، بينما كافر القلب ملحد مهما صلى وصام، ونجس قلبه مهما توضأت اياديه.. وقلب بلا انسانية كافر لا تشفع له نوع الديانة التي يتعبدها، موحدا كان ام

مثلثا. يعبد بقرة ام يعبد الله.. اعتقد ان التأسيس للتعريف الجمالي قرآنيا كان من خلال رؤية البقرة بكلمة؛ (تسر الناظرين)[41]، بينما لطالما تحجّر القلب برؤية الكاهن في صراخه بوصايا ظلم في ظلم. بكل بداهة، اختصر الامر ببداهة مجنونة؛ ان النظر الى البقرة اهدأ لقلبي من سماع الواعظ ان يوصي الناس بان التي تضع عطرا هي زانية لابد من عدم احترامها ونبذها، وان كان بالمقدور اقامة الحد عليها سرا بعيدا عن الحكومة المدنية.

بعد كل ذلك، اعتقد انه لاتوجد دعوى مفضوحة كما هي دعوى الاسلاميين بان الفتوحات كانت دينية. ليس لان المسلمين الذين قاموا بها ليسوا مؤمنين ولامسلمين اصلا في ذواتهم. وهو أمر مفروغ منه في معظمه. وليس لانها خلاف المثل والاسس الاولى للنبي وانها على تناقض مع مبادئ قرآنية كبرى. بل ليس لانها على نقيض مايقولون به انفسهم في مقاسات فقههم الكهنوتي نفسه في قواعده الاساس لما يحل ويحرم مما هو مدفون من بقايا النبي، تلك التي يتجاوزوها بالف طريقة، تسمى علما. وانما فقط وفقط لانها كانت فتوحات (لا انسانوية). كل ماقي الامر لنفي صفة الدين عن معبد هو إنسانويته، على اعتبار ان ماهية الدين تقوم على الانسانوي لاغير. وبمجرد ان يفقد تلك الصفة فهو باطل حتى ولو انزلوه كل ملائكة السماء. إذ حينها يمكن ان تتوقع حصول تمرد من الملائكة على الله، ولكن لايمكن ان تتوقعه من الله، والا لانتفت الالوهية عينها من اساس. المهم انك تشك بذلك ولاتشك بهذا الدين باطل، وانما باطله يقين.

---

[41] تحير فلسفة الجمال في تعريف الجمال، لذا عادة يُتفق انه لايملك حدا منطقيا، وانما تعريفات توصيفية عادة، تجعله امرا شعوريا ذاتيا، محصور بمدار انه مايسر الانسان حينما يراه. وفي هذا لااريد اسلمة الجمال او المعرفة الجمالية، بل بالعكس هو توضيح ان القرآن هنا يظهر وجوديا.

القصة هنا كلها وجودية محضة، تأخذ صفة بداهة عيانية تقدمها الصورة الحكائية للتاريخ. حيث يُسلب الناس من ديارهم، ومن الزوج زوجته، ومن العاشق عشيقته، ومن الابن اباه وامه. يُقتل الناس وتُرمّل النساء ويعتدى على الاعراض. ولكن الاكثر نفيا للدين معها هو انها تسلب من الطفل بسمته وتمنحه كل الدموع.. وآه من الدموع في قياسها الانسانوي، لانها الوحيدة التي لايمكن وزن المها وقياس قيمتها، (فكل الاشياء لها وزن الا الدموع)، كما يقول جعفر الصادق، في كلمة لإمام كان أبعد وجوديا من الوجوديين.

7

من طباع البنية المعرفية للذات الكهنوتية هي انها تصر على كلمة الهداية والخير، وسط نصوص من القتل والسبي والتشريد، دون اي شعور او ارباك في فضيحة الكلمة. مثلا هذا النص للطبري واصحابه؛ (لقد كانت الفتوحات الكبرى في عهد معاوية والدولة الأموية دليلاً ملموساً على حيوية الأمة وتفاعلها مع دين الله وحرصها على هداية الشعوب.) بينما تكملة النص تقول؛ (وعلم معاوية بخيانة أهل قبرص _ في الحقيقة هم ثاروا ولم يخونوا، ولكنها خيانة المؤرخ للتاريخ والاسماء، حين سمى الثورة خيانة_ فعزم على الاستيلاء على الجزيرة، ووضعها تحت سلطان المسلمين، فقد هاجم المسلمون الجزيرة هجوماً عنيفاً، فقتلوا، وأسروا وسلبوا، وهجم عليها جيش معاوية من جهة، وعبد الله بن سعد من الجانب الآخر، فقتلوا خلقاً كثيراً، وسبوا سبياً كثيراً، وغنموا مالا جزيلاً)[42].

---

[42] (1) الكامل لابن الأثير، ج3، ص92 و 93. تاريخ الطبري، ج3، ص313.

إذن من حق القرآن ان يصرخ مسبقا؛ (..ويل لهم مما كتبت ايديهم..) لانه يعرف انه عود أيدي، سيتكرر مع الكهنة كيفما كانوا..

ماظلمه وأكذبه من نص يخاصم الهداية خصام الشيطان لله. لا اعرف هل ذكر الطبري من المسلمين القتل ام الهداية مع اهل قبرص. اي هداية هذه!! والمسلمون لم يفعلوا الا القتل والسبي والغنيمة والتشريد والتهجير. هل الفقه الذي تقبل بنيته هكذا حال يمكن ان يمثل الله في حقيقة رسالته وشريعته. اليس من العار للعقول ان تسميه شرعة الهية.

اشعر بكل وضوح ان المؤرخ فرِحٌ بهذا النهاية من القتل والسبي والغنيمة. ولهذا اشعر بوضوح ايضا بلا انسانيته.. هل البنية التي تروي القتل والسبي ببشرى تاريخية يمكن ان يقال عنها انها انسانية. لا أعرف، كيف تصل أمّةٌ الى حقيقة دينها وكتابه، وعلى راس مفسريه ومؤرخيه كهنوتي بهذه البنية الآنسة بقتل الانسان وسبيه، وفوق ذلك يمنح التوحش بعدا الهيا. لذا حينما دخل الله التاريخ هنا اصبح جلادا.. بكل الاحوال هنا، سُرِقَ الله. لانه لم يعد في مكان دينه. ابحثوا عنه لن تجدوه في المعبد.

هل يمكن لذات لا انسانوية ان ترقى لتترجم كلام الله، او كلام نبيها ومبادئه وشريعته؟. اعتقد انه لا يمكن الوصول الى دلالات كلام انسان مثل محمد او عيسى او غاندي الا ذاتا بالم ذاته، ترقى لألمها.. تعيش همه وقلقه وانسانيته، لا ان تعيش معبده وكعبته..

لو زور المؤرخ الكهنوتي الحدث لكان اولى بالشرف من نقله له بهذه الصيغة. لانه سيدل على خجل منه بهذه الفجائع ولاانسانيتها بهذه الثلاثية التي يرويها؛(فقتلوا خلقاً كثيراً، وسبوا سبياً كثيراً، وغنموا مالا جزيلاً).. لذا ليس المي الاول هنا هو على مافعله الفاتحون الغزاة بالناس في دمائهم وارضهم وعرضهم. فهذي تراجيديا التاريخ، هذا شأنها دائما، انها اشياء تحدث. وانما المي الاساس، هو مافعله علماء الدين في جرئتهم على ان يقولوا هكذا نصوص مثالا على الهداية، دون اي خجل معرفي من رواية كلها قتل وسبي وترمل وتيتم وتجويع واستعباد.. هنا تكون المعرفة عاهرة اقصى العهر. انهم هنا

لايزورون التاريخ كما هي التهمة الاولى للمؤرخين عادة. انهم هنا يسمون العار شرفا، والثورة خيانة، والقتل والاغتصاب هداية. هذه هي مشكلة البنية الكهنوتية وصفاقتها.. فهل الثورة الوطنية خيانة اذا كانت ضد محتل مغتصب. وهؤلاء لم ينتفضوا ضد الدين الالهي، لانه لم يكن هنالك مع جيش معاوية دينا، معه القتل فحسب. ولم ينتفضوا ضد القيم الانسانية وانما ضد الاحتلال والظلم. لذا انتفاضتهم هنا إسلامية نبوية بكل معنى الكلمة. فليس ابو لهب من قال؛ (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد.). وانما النبي من قال ذلك. هذه هي جمهورية النبي في الاسماء وفي تسميه الشهيد بعيدا عن اللاهوت، على عكس الكهنوت وفقهه في تسميته بكل صفاقة قتلى الفاتحين المعتدين شهداء. بينما النبي يجعل الشهداء هم قتلى تلك الشعوب، طالما انهم ضحوا من اجل اطفالهم ونسائهم وارضهم وشرفهم. انها كليه معرفية قطعية لايمكن الاجتهاد بغيرها..ان اولئك شهداء وليس المسلمين.. هذا من النبي نفسه.

اعتقد ان دراما البنية الفقهية لا تلوحها الا حكاية الكهنوت مع هذه الصور التاريخية وبينه معها. والغريب انه يتحدث فيها وفي تدوينه لها، كإنسانية وكدين. لذا لااعتقد ان سايكلوجيا عملاقا يستطيع ان يلوح ماهي عليه الذات الكهنوتية وبنيتها. اليأس راحة حينها. لكني اقلها ارتحت اني عصيت نيتشه هنا في الشيء الاشد انسانية، لاني لم اوقر العار عليهم.

ينقل التاريخ الكهنوتي عن جهة اسيا؛(إن قتيبة بن مسلم أوقع باهل الطالقان، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة، لم يسمع بمثلها، وصلب منهم سماطين: أربعة فراسخ في نظام واحد، الرجل بجنب الرجل)[43]..

يذكرني هذا بصلب القائد الروماني ساركوس لجماعة العبد الثائر سبارتوكس على طول الطريق من معقلهم الى روما.. اي ذنب فعله اهل الطالقان ليجري الدم بهم اربع فراسخ. ويسمونها هداية. اعتقد ان الدماء هنا تروي غير ذلك. هل هذا من اجل الله. وهل يريد الله من اجل عبادته قتلا وهتكا وسبيا. فليقولوا اذن هو انه غير انسانوي. او ليعترفوا هم انهم غير الهيين. ولينقذوا الله من تشوهه..

يروي الكهنوت، من جبهة للشام؛ (ولقد بلغني أنه ما سلم من الروم تلك الليلة أحد من الذين هم غرماء أبي عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم)[44]. مانفع الفتح للرسالة ان ماتوا جميعهم. من بقي ليهدوه!!. اي سخرية تلك.

يروي من فتوح العراق؛ (... أتى خالد عين التمر، فألصق بحصنها. فخرج أهل الحصن فقاتلوا. ثم لزموا حصنهم، فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الامان، [فأبى أن يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة، وقتل وسبى، ووجد في كنيسة هناك جماعة سباهم]، فكان من ذلك السبى حمران ابن أبان بن خالد التمرى)[45]. يروي هذا الكهنوتي الحال التوحشي هذا، وكأنه امر طبيعي ينتمي الى بنية الدين ومفهومه. بينما هؤلاء أهل عين التمر لم يكن ذنبهم الا انهم دافعوا عن ارضهم ونساءهم واطفالهم. بل الغريب في حد التوحش هو

---

[43] البداية والنهاية، ج9، ص 78 و 81. الكامل في التاريخ، ج 4، ص 545.

[44] الواقدي، فتوح البلدان، ج1، ص156.

[45] الكامل في التاريخ، ذكر فتح عين التمر.

انهم طلبوا فقط الامان وبعدها يستسلموا ويقدموا بلادهم له. ولكن القائد المسلم ابى الا القتل والسبي.. لو قيل لاسلامي ان هولاكو فعل ذلك بالمسلمين لقال كافر ماطغاه. ولكن حينما يكون قائدا اسلاميا، فيراه انتصارا للرسالة الاسلامية.

كيف يمكن الوثوق بإنسانية هذه المنظومة الكهنوتية، وهي بمنطق كهذا و بقلب كهذا تشرع للجريمة ولاتلومها. بل تعتبرها الهية ونبوية. علما ان عين الاسس الفقهية- الموؤدة- للكهنوت نفسه في الجهاد تتضاد مع تلك الجرائم وحليتها ونقلها ومباركتها كتاريخ رسالة دينية. فالقائد المسلم يسبي حتى اللائذين بالكنيسة، رغم انهم متدينون لاذوا بالله من المسلمين، والكهنوت يقول ان الجيش يريد ان يجرهم الى الله. بينما هو قد جرهم الى السبي.

هل اله عيسى غيره اله محمد. ام ان الله يدخل المسجد دون الكنيسة.. اقطع امام ربي ان كل من في الكنيسة تلك كانوا اكثر ايمانا واكثر هداية وقيما من عسكر المسلمين الغانمين. وان محمدا كان يصرخ من اجل المسيحين في سمائه، ضد المسلمين في ارضه.. كان كنسيا في تلك اللحظة، لانه انسانوي وليس اسلامويا.

9

المعروف ان رواية التاريخ فخراً، والمحددة بمفهوم (الانتصار) حصرا، لا تكون الا مع المفاخر (القومية) في بطولات الاجداد، رجولتها وفروسيتها. اما المفاخر (الايديولوجية)، سيما الدينية فعادة تبتعد عن مفهوم الانتصار في المفاخر التاريخية، لتنحصر مع المفاخر الاخلاقية والانسانية. الا ان الكهنوت يروى هذه الانتصارات الاستعبادية كمفخرة

ايديلوجية، مفخرة رسالة اخلاقية، لا مفخرة جماعة قومية. وهنا كل فضيحة البنية لهذا الاسلام التاريخي.

قد يمكن ان يسمي الانسان القتل امرا بطوليا، ولكن لايمكن له اطلاقا ان يسميه امرا انسانويا. والدين بلاانسانوية لن يكون دينا اطلاقا، مهما كان بطلا..

شاكلة تلك المفخرة الايديولوجية، دائما تحمل نسق هذه القطعة؛(... فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالا كثيرة، وسبيا عظيما، وذلك ببلد يقال له سبيطلة، وكان ذلك سنة27هـ)[46]. بينما حتى في المفاخر الفروسية هنالك الكثير من الجيوش الوثنية، كانت عادة ماتترك المنهزم يسلم بهزيمته، كقيمة حربية للرجولة.

المدون الكهنوتي فرح بهذا الانتصار في قتل الناس بسياق مفردات/ جمة وكثيرا وعظيما، في كلمته؛ (غنائم جمة وأموالا كثيرة، وسبيا عظيما). ولايهمه ان هذا الكثير هو القتل، وان هذا السبي العظيم هو العظيم من الام وعذابات النساء وذلتهن وفراقهن الاهل والاولاد والازواج والديار. وان الجم هو كد الناس في عرق سنواتها.

في جبهة افريقيا يروي الكهنوت؛ أرسل(عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد إفريقية، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتح سهلها وجبلها، وقتل خلقا كثيرا من أهلها)[47]. الكهنوت هنا يرى افتتاح السهل والجبل والقتل انتصارا للدين، بينما لايخسر في ذلك الا الدين نفسه.

---

[46] ابن كثير : البداية والنهاية 166/7، 167.

[47] ابن الأثير : الكامل 46/3 – ابن كثير : البداية والنهاية 166/7 – النويري: نهاية الأرب 413/19.

في شبه القارة الهندية؛ (إن قتيبة بلغ في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفتاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة) [48]. يروي الكهنوت هذا التوحش عن مفخرة وخطوة في انتصار الاسلام ودينه ومبادئه واهدافه. وهو منحى يتخذه معظم اهل التاريخ في سياقات رواية الظلم مع الفتوحات وغيرها، لذا في عين هذا السياق ونصه السالف يروون مدحا لقتيبة؛ (ولما بلغ الحجاج ما فعل قتيبة من الفتوحات والسبي قال: بعثت قتيبة فتى بحراً فما زدته باعاً إلا زادني ذراعاً)[49]. الكهنوت هنا يتكلم عن اقطاعية وليس عن هداية ودين.. أليس تلك إسوأ اقطاعية في التاريخ، لانها كانت تستخدم الله معها وليس الملك. تقتل وتسبي وتسلب الارض وتيتم الاطفال ومن ثم تصلي. بل اقطاعية ترى ان الله يرعاها في عين قتلها وسبيها واستعبادها.. سرقوا الله، استعبدوه.

10

من بنية الكهنوت انه يروي ضمن طريقة الايماني باسم الجهاد مصالحة قائد اسلامي لأهل مدينة قنسرين، ويجعل من جملة الشروط أن يهدم المدينة من الأساس[50]. ولايحز ذلك شيئا من الكهنوت في عرضه نصرا رساليا. بل يصل الامر ايضا أن بعض القادة يعطي أماناً لبلد- كما هو في فتوحات جرجان- على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً،

---

[48] الوافي في الوفيات/3226. والمهلب هذا هو الرمز الاكبر في استباحة البلدان مع الفتوحات رغم ذلك ونجد اليوم شارعا باسمه في مدينة البصرة.. هذا مايفعله التاريخ..لانك ان سالت كهنوتيا ومؤرخا لاجاب بانه من ابطال الاسلام ومن دعاته..وسيردد ذلك اي بصري وقد يجعله الى جنب الفراهيدي والجاحظ من مفاخر المدينة.

[49] المصدر السابق والصفحة.

[50] الكامل لابن الأثير : ج 2، ص 493. وتاريخ الطبري: ج 3، ص 98.

والفتوحات الإسلامية لدحلان ج 1 ص 53

ف(يقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً). وهذا هو النص؛ (غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة بن اليمان (...) ثم أتى طميسة، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها – وليس جيشها – وحاصرهم. فسألوا الأمان فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلا واحدا، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا)[51]. يعتبر الكهنوت انه لم يخلف العهد لان الجملة اللغوية التي قالها تحمل ايضا دلالة ان يُبقي رجلا واحد فحسب سالما. بل سياق الرواية مدحي في نباهة القائد وفصاحته. تلك التي تحرص كتب الكشكول على جمعها من غرائب العرب وطرائف نباهتهم[52]. بينما حتى البرابرة لكثرما كانوا يلتزمون في حروبهم بلياقات حربية حتى وان لم ترتبط بوعيهم بالانسانويات، وانما كقيم رجولية لايقدرون على عارها، وانها انسانية وجمالية في حد ذاتها. وهي ميزة كثير من الحقب البرية الاولى، بل حينما سميت تلك الحقب بحقب الفروسية لم تكن تقصد بحقب الشجاعة ومفهومها، وانما حقب النبالة. لذا الفارس لم يكن شجاعا وانما كان نبيلا.

قيم الفروسية تلك كانت تلتزم بمواثيق شرف ذاتية، لم يوقع عليها احد، وانما الذات لاتقبل الدنيء حتى وان لم يطلع عليها الناس، ثم تاسست على انها التزامات ضمنية في الحروب. خلافها يكون العار. واهل الجاهلية العربية عينهم لطالما كانوا في تلك المثل يصلون مرحلة الاسطورة. اذن الجاهلية كانت خيرا من مسلمي الاسلام التوسعي الغنائمي الامبراطوري.. اعتقد أننا اسلفنا الرؤية عن حديث؛ (خياركم في الجاهلية خيركم في الاسلام).

عقبة بن نافع، الذي ولاّه معاوية على افريقيا، حينما دخلها هذا الرجل، يقول التاريخ قد(وضع السيف في أهل البلاد..)[53]. لم يقل انه جلب لاهل البلاد خيرا، او ازاح منهم

---

[51] (1) تاريخ الطبري ج 3 ص 324، والكامل لابن الأثير ج 3 ص 110 والبداية والنهاية ج 7 ص 154.

[52] قريب هذا الامر من مدح النباهة الفقهية لفقيه في تاسيس حيلة شرعية يتصل بها عن حكم شرعي وعن روح الاسلام فيه ليتحايل بها على الله.

[53] الكامل لابن الأثير ج 3 ص 465.

طاغية، كان جاثما على قلوبهم. او اقلها دخل البلاد بهدوء، حتى وإن لم يقدم شيئا. او مثلا ادخل معه مجموعة نشروا مبادئ النبي ودعوا لها. كل ماهو موجود هو انه (.. وضع السيف في أهل البلاد) هذه هي الهداية. وهذه هي المفخرة..

مع الغرب الاندلسي؛ (.. وسار موسى إلى مدينة سرقسطة ومدائنها فافتتحها. وأوغل في بلاد الفرنج(...) وهو يقصد بلاد العدو في غير ناحية الصنم، يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس)[54]. اكاد اسمي واو العطف هذه بين القتل والسبي والهدم بواو البشرى بلاغيا للكهنوت، لانها تزيد العطف في الجرائم كبشرى انتصار. ولكن الاهم هو انها واو تدل على الحالة السادية في تلك الذات المؤرخة. لذا لايليق بهذا البعد النفسي تفسيرا وتسمية الا (سادية المؤرخ).

11

هذا الطابع النفسي هو طابع عام للنخبة الاسلامية كهنوتيا من مؤرخين ومفسرين وفقهاء، لكلٍ زاويته في السادية؛ ان لم يكن في القتل فهو في احتقار الاخر، او سادية التكفير وغيرها من الزوايا، او حتى في الاحكام المتعلقة بالمسلم نفسه والتي لايعبأ الكهنوت بقسوتها وماتسببه من إيذاء سادر في افتائها.

يروون ذلك الفعل المنافي للاخلاقي والديني والانساني وينقلونه باسم الرسالة، وانه اخلاقي مادام هنالك فقه يستطيع ان يأول ويدس ويزور ويتعسف ليقول انه شرع الهي، دون اي نقدية ذاتية لما يحصل من توحش يتضاد مع القيم الانسانية البديهية التي لاتحتاج الى برهان اخلاقي.. لديهم عين الخديعة الكنسية المبرره لمفهوم سلطة الكنيسة

---

[54] فتوح البلدان ج2 ص23.

شرعيا تحت عنوان مصطلح استحدثته الكنيسة في معارفها باسم(السيف الروحي)إبان منتصف القرون الوسطى.

بكل الاحوال الامر لايهمه البعد المعرفي وعقله بقدر ماتهمه فضيحة القلب الكهنوتي وذاته امام هكذا فجائع.

اسلاموية العوام المحاربين وغيرهم هي اسلاموية النخبة الكهنوتية انذاك التي روضت الاعراف الشعبية وجزّتها لذلك، حينما تعاملت مع ذلك الفعل التاريخي في القتل والسبي والنهب والاحتلال، كرسالة دينية وكشريعة اخلاقية وكواجب الهي. فاخذ الطابع النفسي مع العوام المحاربين تشوهه كاملا في القيم مفقتدا للقيم الفروسية الاولى للجاهلية، بما يمكن وعيه مختصرا عما يقوله بصراحة احد افراد تلك الجيوش في رثاء المهلب بن ابي صفرة حين وفاته، رغم انه اكبر طاغية فتوحات على الاطلاق.

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى   ومات الندى والجود بعد المهلب

أعم لأهل الترك قتلاً بسيفه   وأكثر فيناً مقسماً بعد مقسم.

بينما الجاهلية المعابة، وفي عين منطق تفاخرها القبلي في الغزو، كان ملؤ تفاخرها قيميا بين الفعل النبيل والدنيء، وليس بين الفعل الحلال والحرام. حتى ان مفردة كرام لم تكن تشير فحسب الى كرم الضيف واخلاق الجيرة والرفقة والوفاء وانما بالدرجة الاكبر الى خصال النبالة في اباءيات الحرب والابتعاد عن اي فعل دنيء فيها. لذا لطالما كان المنطق الجاهلي في الغزو يحمل تأسيسا في نبالة الفروسية وقيمها.

انظر كيف كان العربي في هذا التوصيف للذات العربية الاولى، وكيف انتهى مع الفتوحات؛

ملكنا فلم نكشف قناعا لحرة   ولم نستلب الا الحديد المسمرا

و(...)

ولكن احسابا نمتنا الى العلى   وآباء صدق ان نروم المحقرا.

انه توصيف من الاحرى على الذات الكهنوتية ان تشعر بخطيئتها امامه. سيما انها تسميهم جاهلية واهل ظلال، خارجين على ملة القيم.

السلب لدى عرب الجاهلية امر محتقر قياسا على النبالة، وليس على الفقه. بينما الفقه يحلله ببساطة، كما ان اهل الجاهلية لايقبلون ان يرفعوا ثوبا لحرة، بينما كان الجندي المسلم لاينتظر ليلة في مضاجعة الحرة المسبية امام دمعة طفلها.

الا يمكن الاعتراف بهدوء مؤلم؛ ان الجاهلية كانت افضل من الاسلاموية تلك. وان دين الكهنوت اضر الدين البريء التي تتميز به الذات، حينما تكون نظيفة كالبر من افكار المعبد.

هذا الامر عينه هو الذي يفسر لماذا نادى الحسين في كربلاء، حينما بدأت نذالة مسلمي يزيد في تجاوز قيم الحرب بتخويف الاطفال والنساء، فنادى؛ (ان لم يكن لكم دين فارجعوا الى احسابكم... ان كنتم عربا كما تحسبون.). لان العروبة الاولى لاتقبل ذلك في طباعها ومقاييس العيب لديها. ولهذا السبب عينه كان جعفر الصادق حينما يسأل ايهما افضل في الجاهلية؛ العرب ام العجم، ويجيب ان العرب افضل لعشر خصال، تجد ان معظمها هي قيم برية انسانوية اقرب الى الفروسية الاولى، انكر منها؛ النخوة والمروءة والغيرة وشعور العار، ناهيك عن الكرم وماشابه. لذا اعتقد ان العيارين والشطار لم يصلوا لتلك الخصال النبيلة التي اشتهروا بها تاريخيا واخذت مثار الاعجاب الى حد الاسطورة، الا لانهم لم يكونوا اسلامويين وانما بريين مع الوجود.. هذا الامر في تقدير القيم البرية واولويتها هو عين ما ادركه ستاندال غربا حين توصيفه لعوام بعد معركة؛(ان الرعاع كانوا بطوليين، وبعد المعركة اروع الكرام نبلا).

يدون احد الكهنة المورخين تاريخ الامة الرسالي هكذا؛(فأصبحتم بنعمة الله إخوانا، ويلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا حتى تواترت لديكم الفتوحات وفتح الله

عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات..)[55].. استلاب اموال الناس وخيراتهم وثرواتهم وديارهم واراضيهم وقتلهم وسبيهم يعتبر خيرا وبركة من الله.. هذا هو الدين في فهمهم، وذلك هو الله لديهم. ولكن كيف فهموا الخير كذلك لا افهم. قد يخطئ عقلك ولكن لايمكن للقلب الا ان يصرخ مع القتل بانه شر. هولاء يسيرون تماما عكس المبدأ الاول للدين؛ (ان يسلم الناس من لسانك ويدك). الم يُعرّف النبي اسلامه بذلك. لاباس انهم بإسلام اخر..

لذا فالبوذيين حتى وان عبدوا الف إله وإله غير الله، هم افضل عند الله من اولئك المسلمين بكثير، لان دين كثير منهم لايقبل ان يؤذي نملة.

نص اخر يقول نفس الوجهة في وصف فتوحات احدهم وقتله وسبيه؛(وعاد على المسلمين من هذه الفتوحات غنائم وأسرى لا تعد ولا تحصى، وانتفع بها بيت المال وجميع أركان الدولة، وسائر الرعايا انتفاعاً ظاهراً غزير المحصول كثير المنافع، وأمن بذلك الصادرون والواردون بحراً وبراً.)[56].. رغم ان مفهوم المنفعة والمصلحة تمثل مفردة معرفية لدى الكهنوت يتاسس عليها كل منطق الفقه لاجتهاد الحكم الشرعي. ولكن تظهر هنا انها قائمة على مكسب الجماعة الاسلامية، حتى وان كانت بنهب اموال واراضي الناس ولو بقتلهم وتشريدهم وتجويعم. مايهم لديهم هو ان اولئك ليسوا مسلمين. فهذا يبيح لهم ما لايباح انسانويا. يكفي في ترسيمهم انهم كفرة، فكل غير مسلم هو كافر.

او هكذا مع كهنوتي اخر وسلطان آخر (وجلس على تخت السلطنة في شهر رجب... وعمره الشريف إذ ذاك تسع سنين. له الفتوحات التي لا تحصى والمغازي التي لا تستقصى، أذل بغزواته أعداء الدين، واستباح قلاعهم، وجعلها داراً للمسلمين.)[57].

---

[55] ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، المقريزي، ص 197.

[56] ص338، ج2 ، سمط النجوم العوالي.

[57] ص338 ، نفسه.

يبشر بان اراضي الناس اصبحت للمسلمين. اي إله هذا الذي يصورونه لنا؛ يذل الناس من اجل اسمه ودينه. واي دين هذا لدى الكهنوت، واي مجال اخلاقي يمكن ان يدعيه..

او (ولما كان، خلد اله سلطانه، بهذه المثابة، وفتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره وثوابه)[58].. في القتل ثواب اذن!. وفي سلب الناس وهتكهم وتشريدهم وطردهم من ديارهم واستعبادهم.!!! هذه اذن البنية الدينية للكهنوت ومنطق رضا الله فيها. وهذا حلالها وحرامها.

او مثلا طلب الخليفة من (عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلا...)[59] انظر مقطع (فإذا افتتحها الله عليه). هكذا يؤسس المؤرخ الكهنوتي صورة الله في اذهان الناس. إله سفاح.

اليس مؤكدا هنا ان الكتب اضرت البشرية في طباعها. اعتقد انه لو بقيت البشرية على قلوبها لما صارت الى ماهي عليه اليوم، سواء في اعرافها الخانقة او في ارهابها الديني.

عن معركة اخرى وكهنوتي اخر؛(... بلغ من امرهم انهم حاصروا حصنا ... ففتحوا ذلك الحصن وقتلوا من فيه من المجوس الى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) [60]. لاحضوا كيف يذيل المؤرخ الفعل الوحشي للمسلمين في قتل كل من في الحصن بانه كرامة للمسلمين. او مثلا مع هذا النص؛ (إذ لولاهم ما كانت البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين، ولقد نفذت سراياهم في الأرض شرقاً وغرباً حتى ولت الأعداء منهم هرباً وسكبوا دماءهم في الأرض سكباً واستباحوا أموال الكفار نهباً وسلباً، والله قد جعل منهم في قلوب أعدائه خوفاً ورعباً، فهم نجوم الهداية

---

[58] المقريزي السلوك لمعرفة الدول والملوك، ج1، 178.

[59] ابن الأثير : الكامل 46/3

[60] ابن كثير ، البداية والنهاية، ج7، 78.

وأهل الولاية قد شرعوا الشرائع ورتلوا القرآن ترتيلا. قال الله في حقهم تعظيماً وتبجيلاً: " فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ")[61].. انه امر يعييني في صفاقته مع المؤرخ الديني، بعد ان يذيل نفس فعلهم (سكبوا دماءهم في الأرض سكباً واستباحوا أموال الكفار نهباً وسلباً) بـ(فهم نجوم الهداية)، وان(الله قال في حقهم تعظيماً وتبجيلاً) آية تمدحهم.. يروون هذي الوحشية كتأريخ ديني وطريق ايماني لله في سياق مفهوم الهداية دون اي مراعاة لوعي القارئ بهذه السخرية. بينما تجد تاريخا لحروب لادينية تنهد المنتصر فيها بعد أن رأى نساء العدو يبكين على اجساد قتلاهم، ليرى؛ (ان الانسان دائما يخسر في الحرب سواء كان منتصرا ام مهزوما). لانه منطق موت ولواحقه من الدموع. بينما هنا تجد المدون التاريخي فرحا في سياق نقله لما حصل، طالما انه نصر للقومية الاسلامية التي ينتمي اليها.

كل هذا مثال قاصر لزاوية مما يتعامل به الكهنوت فقهيا وتشريعيا مع تلك التراجيديات، وهي ايضا شيء يسير مما حدث وتحترق به بطون الكتب، والا فهنالك مالايمكن جرده من التراجيديات الام التي يصرخ بها الوجود والتاريخ، ومازال التراب غضبا بها تحت اقدامنا من عذابات قبورهم. بينما كان الجندي في الجيش الاسلامي يؤديها ويصلي بعدها. بل يؤديها وهو يصيح الله اكبر. انها االصفاقة التي لم تلحها للان مدارات علم النفس.

مع ذلك اعتقد ان معظم القصة في المسير بهذا المنطق التدويني للكهنوت في تدين القتل والسبي هو عين ماشار اليه النبي في وصفه للكهنة الغابرين، وكيف جرهم فساد

---

[61] فتوح الشام الواقدي. ج1. ص422.

حياتهم الى افساد كتبهم، كي تبررها؛ (التمسوا ان يخدعوا قومهم عما صنعو مخافة ان تفسد منازلهم وان يتبين للناس فسادهم)[62]..

لذا، لاراحة لذلك الا ان ننزع من الكهنة انفسهم صفة المسلمين، فهو اولى من ان ننزع من صفة الفاتحين الاسلام.

سرقة الوجه

إمراة ليل لرجل دين؛(هذه حقيقتي، فهل هذه حقيقتك).

---

[62] سنن الدارمي ، المقدمة، باب 57.

حافظ الشيرازي

(من لم يقدم مأوى لاخواني، يريد اليوم ان يبني معبدي.)

طاغور

1

عجوز في سمرقند تسأل فقيه جيشٍ فتح بلادها، بعد سلب ونهب؛ مالذي جاء بكم الينا؟..

الفقيه؛ الله ارسلنا اليكم..

العجوز؛ لم اكن اعلم من قبل ان لله لصوصا..

2

ويلومونني، حينما اقول؛ لكثر ما تكون الغانية افضل من الكاهن، و لكثرما تكون اقرب الى الحقيقة منه. وهل يلام مثلي بعد كل مارأينا منه، ومارأيناه يهون امامه المبرر القديم بشرف الغانية عليه، حينما كنا نقول انه من ظواهر الوجود ان العاهرة ترى عهرها جيدا فتسمي نفسها باسمه. تمشي عاهرة وتنام عاهرة، لانها تعمل به رسميا. مع ان العهر ليس ان يكون جسدك قذرا، يقبل كل لامس. وانما ان تكون ذاتك قذرة. تقبل كل خداع وخبث وشر..

وفي ذلك كنا نقول ان المبغى هو وحده المبنى الحقيقي في التاريخ، لانه وحده المبنى الصريح فيه، يسمي نفسه باسم حقيقته، على عكس المعبد لانه طالما يكون خلاف اسمه. لذا فالمعبد هو المبنى الاكثر زيفا في التاريخ. لان محرابه للسرقة وليس للصلاة. الا اذا قبل الله صلاة اللصوص. حينها يكون هو متهما..

لهذه الاشكالية قال حافظ الشيرازي كلمته الكبرى تلك وهو يصور الساقية في الحانة، تقدم لرجل دين كأسا؛ (هذه حقيقتي، فهل هذه حقيقتك).

اقلها ان الفقيه يقبل سرقة اموال الناس واغتصابها غنيمة، ويجعلها بديهية شرعية من الدين الاخلاقي. بينما الغانية الساقطة اخلاقيا في وعيه تأخذ مالا بحق جسدها، وبرضا الاخر، بل وبسعادته. كما ان الغانية لاتحلل قتل الاخر ان لم يكن من دينها، او ان لم يكن من عهرها. هي لاتعبأ بالدين ولا بالعهر.

بكل الاحوال، في عقيدتي؛ نوع قلبك من يجعلك شريفا او دنيئا وليس نوع جسدك. كما انه نوع (فعلك) من يجعلك مؤمنا او كافرا وليس نوع (معبدك).

3

(لا كإسلام كثير من العرب، فبعضهم تقليداً وبعضهم للطمع والكسب، وبعضهم خوفاً من السيف، وبعضهم على طريق الحمية والانتصار، أو لعداوة قوم آخرين من أضداد الإسلام وأعدائه)[63].

هذا النص لابن ابي الحديد المعتزلي، لم يجرأ على قوله اي معاصر اليوم في نقد الانتماء الاسلامي وحقيقة الجماعة الاولى وتشكلها باسم الهوية الاسلامية.. وهو من مفارقات الثقافة بين القديم والجديد.. ونقطة عار ايضا للمعاصرين.

---

[63] شرح النهج للمعتزلي ج 13 ص 300

والى هذا الامر ظهرت جملة(أسلم فحسن اسلامه) في التراث الاسلامي، لان الامر شكل ظاهرة في كذبة المنتمين. كما انه عين الامر الذي جعل اوراق النبي تقول(المنافقون هم العدو فاحذرهم..)

ورغم ان الزبير كان صريحا حينما قال: (حدثنا أن هاهنا بيضاء وصفراء . دراهم ودنانير - فجئنا لنأخذ منها)[64]، موضحا كل قصة الدعوى، وكذبة فقه الجهاد، ورغم كثرة صراحات التراث في فضيحة الدنانير تلك وشرعها الواضح. ولكن الفقهاء والاسلاميون اليوم يقفزون على تلك الكذبة ليأخذوا الجهاد على انه بديهية اولى لفروع الفقه. رغم ان فتوحات لاتحتاج الى اعترافات في تخطئتها، كونها ذاتا عيب اخلاقي ايديولوجيا للداعية التبشيري، طالما ان هدفه هو انتصار قيمه ووصولها لقلب آخر، وليس انتصار قدمه لارض اخرى وغنيمة اخرى. لانه انسان اخلاقي وليس محارب امبراطوري..

لايوجد فقيه واحد في الكهنوت أشكل على كذبة الجهاد وفتاويه. والاسوأ هو انه لايوجد فقيه أشكل على حكم الغنيمة، لانها اوضح سوءا، لوضوح خطيئتها في سلب اموال الناس وسبيهم واخذ ارضهم واستعباد اطفالهم. فذلك كله من الغنيمة. قد تجد صدفة في زوايا التراث، ثائرا او صوفيا يرفض ذلك، ولكنك لن تجد فقيها واحدا من ملايينهم على طول التاريخ.. رفض مثلا المتصوف ابراهيم ابن الادهم سهم الغنيمة، موجها ذلك بانه سيكون في سبيل المال وليس في سبيل الله. ولكنه رفض سطحي جدا. لان الامر

---

[64] أنساب الأشراف ج 2 ص 271..

لايحتاج الى سبيل الله والصفاء لاجله كي يحرم هذا الفعل، وانما لان الغنيمة هي سلب لاموال الناس وكفى، وبكل هذه البساطة. لماذا إذن نُدخل الله في هذا..

قد يكون موقف الثائر الشهير الحارث بن سريج بنهي اصحابه عن السلب والنهب فيما عدا السلاح والكراع، أفضل من سابقه، لانه عرف خطأه من جهة النبالة والقيم ذاتية، بعيدا عن الفقه. وهو موقف وجودي تجاوز به الفقه وجدل الدليل ولغطه معهم.

علما ان الحديث الذي يدسه الكهنوت على النبي(... وأُحلّت لي الغنائمُ ، ولم تُحل لأحدٍ قبلي..)[65].. هو عينه ضمنا يبين ان الكهنوت يعرف ان الغنائم امر مرفوض اخلاقيا من الناس ولم يكن مع اي نبي قبله. لذا جعلوا الدس بصيغة استثناء ومميزات للنبي لم تُعطَ لغيره من الانبياء.

4

هذا الانبطاح لخطيئة الحكم فقهيا مازال الى يومنا هذا، رغم ان التاريخ يفضح واقعا لايحتاج الى صراحة الزبير، ويُظهر لهم بصراحة اصول كل اللعبة او الكذبة الجهادية. والتي لايختصر ألمها الا كلمة مشهورة لمحارب صليبي؛(كنت اظن اننا نحارب من أجل الله، فادركت اننا نحارب من اجل الثروة والارض.). والفقهاء يعرفون بذلك الاصل الفاضح جيدا، لكنهم لايسمحون له ان يكون دليلا خلاف هارون الرشيد او اي سلطان اخر. لذا كلها حقائق غُبر فوقها وكأنها غير موجودة. احيانا يتداولونها دون إشارة لفضيحتها استخفافا بالعقل العرفي دينيا، والمقيد وعيه بعبودية الفقه. احيانا لايعون انه يمكن ان يضاد كل مايتكلمون ويشرعون له.

---

[65] النهاية في الفتن والملاحم. ابن كثير .ص210.

.. يروي عين تراثهم الكهنوتي عن اول خطى الفتوحات كوجه الهي لديهم، وفقهي شرعي واجب، بان الخليفة(ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحاملون ويتثاقلون عنه، حتى هم أن يغزو بنفسه.)، وفيما بعد(قدم عليه خلق من الازد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق ورغبهم في غناء آل كسرى)[66]. اعتقد ان النص يُصرّح بانه لم يذهب الازد لاجل نشر المبادئ الاخلاقية الدينية وقيمها، وانما من اجل لم الثروة فحسب. ليس تخليص الناس من كسرى وانما تخليص الثروة منه.. و(قدم جرير بن عبد الله من السراة في بجيلة، فسأل أن يأتي العراق على أن يعطى وقومه ربع ما غلبوا عليه. فأجابه عمر إلى ذلك، فسار نحو العراق)[67]. وهو مايروى في مكان اخر: (كانت بجيلة ربع الناس يوم القادسية.وكان عمر جعل لهم ربع السواد). اي ان الناس والقبائل التي حاربت في القادسية لم تكن جيشا اسلاميا جاء مسبقا كجهاد من اجل الله وتحرير الشعوب. بل كانت الصراحة لاجل الغنيمة امرا غير معيب، لذا فهي معلنة من قبل الجميع بحيث يسبقها تفاوض في قدر الغنيمة التي سيُحارب من اجلها. اتفاقات مالية وليس ايديولوجية[68].

بعد ذلك حينما سمع المسلمون بان هناك غنائم سهلة تقاطروا على العراق. وبالتأكيد افواههم ستكون لصياح الله اكبر وعيونهم ستكون للغنائم. وسيسميهم التاريخ مجاهدين،

---

[66] فتوح البلدان، ج2، ص216.

[67] الكامل في التاريخ. ج 2. ص441.

[68] وهو مايمكن ملاحظة رسوخه لاحقا، كما هو مثلا مع اتفاق بن ابى سرح مع الخليفة في غزو شمال افريقيا، إذ كان الاتفاق بينهما(ان هو ظفر فله خمس الخمس نفلا!) ابن الأثير : الكامل 46/3. او في زاوية اخرى لاحظ غاية الفتوحات من نصيحة احدهم للخليفة؛(رأيي لك أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي، حتى يذلوا لك، فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه...) اي نية لله هنا. انها مغازي ليس الا.

وسيسمي قتلهم الناس واحتلالهم الاراضي جهاد.. يقول الطبري«بعث عتبة بن أنس بن حجية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان، فقال له عمر: كيف المسلمون؟!. قال: انثالت عليهم الدنيا، فهم يهيلون الذهب والفضة. فرغب الناس في البصرة، فأتوها!!)[69].

او برواية أخرى، انه جاء مبعوث المسلمين الى المدينة مبشرا(بالفتح، فتباشر الناس بذلك، وأكبوا على الرسول، يسألونه عن أمر البصرة، فقال إن المسلمين يهيلون بها الذهب والفضة هيلا، فرغب الناس في الخروج، حتى كثروا بها)[70]. بينما قبل ذلك كانوا يرفضون الغزو اصلا رغم الغنيمة، لانها مغامرة موت. علما ان تلك الفتوحات كانت تسمى غزوا من عين الذين عاشوها كما هو في النصوص السالفة؛(حتى هم أن يغزو بنفسه.)،(قدم عليه خلق من الازد يريدون غزو الشام). فكانو صريحين في الاسماء، بان مفردة الجهاد ضد المعتدي فحسب، وليس مع افتتاح اراض واغتنامها واخذ مافيها، فهذه تملكها مفردة غزو.

الحديث بين رسول الحرب ومسلمي المدينة لم يكن عن نصر قيمي وهداية لاهل العراق او تخليصهم من طغاة. وانما الحديث كان عن توفر الغنائم هناك. لذا لم يلتحق اهل المدينة بجيش البصرة الا بعد ان عرفوا بخبر الغنائم هناك. نهب وسلب، ذهب وفضة ونساء. وسهولة ذلك.. هذا ماجرهم ليس الا.

ولهذه الحقيقة كانت الشعوب المغزوة حينها تسمي المسلمين بـ(لصوص الصحراء). لان طبيعتهم السلب والنهب، وهي تسميه من جماهير تلك الشعوب وليس من الاعلام السلطوي، لذا هي تسمية حال وواقع. ولم يُتداول اي بعد ديني في تسميتهم، ولو مثلا؛ اهل الكعبة او عين تسمية المسلمين. بينما لم تطلق تسمية من هذا القبيل حتى على عين المسيحين الذين غزوا بيت المقدس والشام وفلسطين، رغم انها حملات من اجل

---

[69] الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج2ص 302.

[70] ج1..113 العبر .. الاخبار الطوال.

الثروة وليس من أجل الدين والمسيح باعتراف تواريخ الغرب. بل سموا بالصليبين اشارة للاتجاه الديني، و سميت غزواتهم بالحملة الصليبية.

في احد المعارك وغنائمها يتخاصم المسلمون من اجل غنيمة معينة خُصَّ بها الخليفة، فيخشى ان يدب الشقاق بين المسلمين المقاتلين. يقول النص ان الخليفة قال لرسول جيشه كي يدرأ الفتنة (أسرع قبل أن تفترق الناس ليقسمه سلمة فيه فباعه سلمة و قسمه في الناس و كان الفص يباع بخمسة دراهم و قيمته عشرون ألفا)[71] . إذن كان صريحا بينهم دون اي موارة في انهم غزاة. وكل القصة هي المال لاغير، لا اسلام ولا هداية ولا نبوة.. لذا قد يتقاتلون بينهم لاجله، وهو ماحصل كثيرا لاحقا.. بل ان المسلمين حاربوا بعضهم، اكثر مما حاربوا غيرهم.

في فترة ما اراد الخليفة سحب ربع السواد عن قبيلة بجيلة كحصة متفق عليها حين الغزو فكان ان اعترضت ابنة كبير بجيلة ويقال لها ام كرز، ليكون هذاالحديث بينها والخليفة.

(أم كرز لعمر: إن أبي هلك وسهمه ثابت في السواد. وإني لن أسلم. فقال لها: يا أم كرز ! إن قومك قد أجابوا.. فقالت ام كرز: ما أنا بمسلمة أو تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملا يدى ذهبا. ففعل عمر ذلك.)[72]..

اليس الحديث صريح جدا، بانها لن تكون مسلمة الا ان تُعطى مالا، وغدت مسلمة رسميا بذلك المال. وهنا قضية تؤسس حقيقة جد مهمة. ولابدا ان تقع مهمة في كل منهجية التاريخ الاول. وهو انه لم يكن الاسلام انذاك عقيدة وانما جماعة فحسب. إذ لايمكن للعقيدة ان تشترى بالمال، ولكن الموالاة يمكن لها ان تشترى. ومفهوم الجماعة يتأسس عقلانيا على مفهوم الموالاة وليس العقيدة، حيث المصلحة عنصرها الاول. إذن لماذا تدعي الجماعة الاسلامية انها ايمانية في تأسيسها التاريخي.

---

[71] العبر ج2..566.

[72] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص83.

مما لايجب اغفاله هو ان هذا المنحى وفضيحته رافق عين الجماعة الاسلامية الاولى الذين عاش وسطهم النبي، كما يبين مثلا طلب (خولة زوجة عثمان من النبي ان يكون لها حلي ابنة غيلان او الفارعة بنت عقيل، ان فتح عليه الطائف وهي ثقيف)[73]..

ولكن مايهم هنا هو التلفيق التدويني على النبي بشكل لا يقبله ثائر بسيط في ميداه، فكيف وهو وسط النبوة وتحت رقابة الله. غاية الدس الكهنوتي من ذلك هو جعل النبي منتميا لمنطقهم الغنائمي، بحيث وكانه تتدلل عليه زوجة عثمان لتريد منه الغنيمة الاجمل. وكأنه غاز مشهور يعد جماعته بغنائم القبائل الأخرى. وينتهي هذا الدس بجواب من النبي لزوجة عثمان(انه لم يؤذن لي في ثقيف ياخولة).. وكانه في سلب اموال الناس إستئذان من ملك هو الله، احيانا يقبل واحيانا لا، وليس مبدأ يحكم حتى الله نفسه، وليس ان الغنيمة وسلب الناس هي خطئية في ذاتها. بل الخبر يتضمن جعل النبي اصالة يقبل بهذا المنطق الغنائمي، وجبريل لم يأذن له في ثقيف فقط.. وكان الله ايضا لديه طبيقة بين البشر..

بكل الاحوال فالنبي ليس دمية بيد الوحي.

كل هذا متوفر في التراث، ويصر الكهنوت انهم دعاة للاسلام.. وكل هذا الخراب وفجيعته، والكهنوت يجد له مبررا ومبررا.

5

لم يكن هم عمر بن عبد العزيز – اهم جدير بصفة الصريح – في كلمته؛ (ان الله ارسل محمدا هاديا ولم يرسله جابيا). الا تلك الحقائق، ومافطه دعاة الاسلام بالاسلام. علما ان هذه الكلمة قالها ابن عبد العزيز لوفد شكا اليه ان الولاة منعوهم من الدخول في

[73] الاستيعاب،المجلد 4،ص1832.

الاسلام كي لاتسقط الجزية.. إذن الفتوحات ليس سلوكيا بقتلها ونهبها كانت سدا امام انتشار الاسلام. بل رسميا وبكل علانية منع الناس من دخول الاسلام. اليس مضحكا نسبة الى سلفيتهم ان لايحاسب اليهودي على يهوديته وانما على دخوله الاسلام من عين المسلمين انفسهم. فقط من اجل الثروة والارض والنساء.. ومن بنية الكهنوت والجباة؛

(مضى خالد الى قرية اسفل الفرات يقال لها بانقيا وفيها مسلحة لكسرى في حصن فحاصرهم وافتتح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذراريهم واخذ ماكان فيه من المتاع والسلاح واحرق الحصن وهدمه)[74]... فرعون كان يفعل كذلك ايضا؛ يقتل الرجال ويبقي النساء، بل هنا استعبد الذراري وزاد على فرعون انه احرق الحصن وهدمه. رغم ان فرعون هو رمز الطاغية في القرآن الذي يقولون به كذبا.. لم يكتف ابن الوليد بذلك بل فرض عليهم اتاوة سنوية؛ (صالح اهل القرية خالدا عن ثمانين الف درهم)[75]. المؤرخ يسمي ذلك مصالحة. وكأن الامر قد تم بحوار ودي، وبارادتهم وليس بسيف القائد المسلم.. (ثم رجع خالدا الى النجف حتى انتهى منها الى عين التمر وبها مرابطة لكسرى فحاصرهم وقتلهم وسبى نساءهم وذراريهم واخذ مافي الحصن من المتاع والسلاح والدواب واحرق الحصن وخربه وقتل دهقان عين التمر وسبى نساءه واهل بيته.. واعطاه اهل عين التمر الجزية واهل الحيرة وغيرهم.)[76].. ثم(وجه خالد بن الوليد وهو بعين التمر النسر بن ديسم بن ثور إلى ماء لبني تغلب فطرقهم ليلا، فقتل وأسر، فسأله رجل

---

[74] الخراج ابي يوسف القاضي، ص 157

[75] نفس المصدر والصفحة.

[76] الخراج ابي يوسف القاضي، ص 157

من الاسرى أن يطلقه على أن يدله على حي من ربيعة.ففعل فأتى النسير ذلك الحي، فبيتهم، [فغنم وسبى])[77].انها رحلات غزو وعصابات لصوصية وقراصنة.

في فتح شاهرتا، حيث يعطي بعض عبيد المسلمين المحاربين أماناً لأهل المدينة، فلا يرضى المسلمون حتى لايمنع عنهم السلب والنهب، وحجتهم انه عبد. فيقتلون ويسبون ويرملون وييتمون[78]. بل يصل الامر في همجيته هو انه احيانا يعلن الشعب المغزو إسلامه، فلا يلتفت إليه الجيش الفاتح، بدعوى انهم كاذبون، طمعاً في أموالهم ونسائهم. رغم انه لاوجود لهكذا مبرر عقلانيا، والا لعم الجميع ممن اسلموا وتُركوا..

في غزوة إفريقية أمر؛(عبد الله بن سعد بن أبي السرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلا، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتح سهلها وجبلها، وقتل خلقا كثيرا من أهلها... وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة؛ وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار، والراجل ألف دينار)[79]. لاارى كلام عن الهداية او اي فعل يتصل به. فقط اتفاق خمس الغنيمة وماذا اخذ الجيش وحصتهم فحسب.

في جهة غزوات الاندلس؛ (وسار إلى مدينة ماردة فحاصرها، وقد كان أهلها خرجوا إليه... وحالوا بينهم وبين البلد، وقتلوهم قتلاً ذريعاً. ونجا من سلم منهم فدخل المدينة، وكانت حصينة. فحاصرهم بها أشهراً.. ثم افتتحها صلحاً، على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليلقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين.)[80]. مايهم

---

[77] فتوح البلدان ج2 ص27.

[78] المصنف ج 5 ص222 و 223. وسنن البيهقي ج 9 ص 94.

[79] ابن الأثير : الكامل 46/3 - ابن كثير : البداية والنهاية 166/7 - النويري: نهاية الأرب 413/19.

[80] فتوح البلدان ج2 ص23.

في الصلح هنا ليس سلامة الناس وانما المال فحسب. اي الاستسلام وليس الاخوة او السلام..

اي فقه وكهنوت هذا، واي معبد هذا؛ يريد صلاة لله، ويريد قتلا للناس..

بعد كل هذا القتل ويسمي الفقهاء ماحصل لاحقا صلحا، وكانه عن طيب خاطر، بينما الخطاب الضمني للصلح هنا، هو؛ اما ان تموت المدينة باهلها، او يعطوهم كل اموالهم، بل يشترطون عليهم حتى اموال القتلى. اي سادية تلك؟!.

لاعرف كيف لهذا الكهنوت ان يقبله الاخلاقيون. كيف سكتت عليه كل تلك الكثرة من العلماء. ولكنها تسمية مشكوك فيها. تكذيبها أولى. بل هو الشرط الاول الوعي.

في مدينة(تفليس) من اسيا، ومع اناس يعيشون بسلام في ديارهم، ينقل التاريخ، بعد بداية مسهبة في تفاصيل الحدث، نهاية الامر؛ (... و ملك المسلمون البلد و قتلوا كل من فيها الا من اعتصم بالإسلام. واستباحوا البلد وامتلأت أيديهم بالغنائم و الاسرى والسبايا. وكان ذلك من أعظم الفتوحات)[81]. اعتقد ان النص يقول عن المسلمين انهم(استباحوا البلد و امتلأت أيديهم بالغنائم و الاسرى والسبايا) ولم تخطئ عيني. وانه(قتل الجميع الا من اسلم). اي فرد يسلم ويؤمن وهو يرى منهم قتلا وسبيا واستباحة لارضه واهله. بل المشكلة هو ان تلك الشعوب ستقول ان نبي هؤلاء الغزاة هو محمد. بينما هم خونته فحسب.

---

[81] ابن الاثير ، فتح تفليس.

المؤرخون يسوقون الكلام بقلب بارد وبكل اعتزاز وفرح وفخر تاريخي دون اي شعور سلبي اتجاه القتل والالم. بل وسياقته على انه امر ديني ومنطق نبوي يمتد اليه. ولكن لاغرابة فالمؤرخون هم دائرة كهنوتية في التاريخ الاسلامي..

مثلا؛(ان السلطان جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر ارس مرض و اشتد الثلج ومر بتفليس فبرز أهلها للقتال فهزمهم العساكر و أعجلوهم عن دخولها فملكوها واستباحوها و قتلوا من كان فيها من الكرج و الارمن واعتصم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال عظيمة فحملوها و تركوهم)[82].. إذن هنا (استباحوها و قتلوا من كان فيها). والاهم هو قوله(فحملوها- الاموال- و تركوهم).. وتركوهم. مايهم هو المال. كل ماحدث هنا هو انهم قتلوا الناس واخذوا اموالهم ورحلوا. انه فعل العصابات ليس الا..اي هداية هذه.. محال ان تكون دينا.
لماذا نلوم هولاكو إذن، انه فعل بنا مافعلناه بشعبه، ونحن البادئون.

هذا المنطق الاغتصابي مورس حتى قبل ان تنفتح الجيوش الاسلامية على العالم الخارجي، اي مع عين عرب الجزيرة؛ (ابن الوليد في غزوه لديار بني حنيفة قبل الصلح أوقع عدداً كبيراً من السبي، حيث أرسل خمسمائة منهم إلى المدينة. وصالح العلاء بن الحضرمي أهل البحرين على ثلث أموالهم داخل مدينتهم أما ماكان خارجها فقد أخذه جميعا، وأرسل بأموال كثيرة إلى المدينة). و في غنائم اهل اليمامة مع خالد ابن الوليد. يقول المؤرخ شاكيا عدم معرفة قدر الغنيمة؛(لم تحدد كميات الذهب والفضة والسبي والسلاح والخيل ومساحة البستان من كل قرية مما أخذه المسلمون)[83]. لايناقش النص

---

[82] العبر ج5..148

[83] الطبري.ج 3.. ص 98. و البلاذري، فتوح البلدان، ج2،32 ص.

شرعية ذلك او الم الناس الذين سلبت هذه الاموال منهم وتجويعهم وبؤسهم. وانما همُّ المؤرخ هنا هو عدم تحديد قدر الغنائم.

يقول مؤرخ؛(وحدثني مشايخ من أهل الانبار أنهم صولحوا في خلافة عمر رحمه الله عن طسوجهم على أربع مئة ألف درهم وألف عباة قطوانية في كل سنة، وتولى الصلح جرير بن عبد الله البجلي.. ويقال صالحهم على ثمانين ألفا والله أعلم.)[84] . بالتأكيد لم يروِ هؤلاء المشايخ الامر بهذا اللسان البارد كمصالحة ومِنّة بعد ماحصل من ظلم مهول على اهاليهم، أخذ به كد يدهم وعرق جبينهم بمنطق الضعيف والقوي. إذ حتى العميل المعاصر لايروي رواية المستعمر هكذا. انها بنية الكذب في التدوين الكهنوتي.

هذه هي الصراحة التاريخية، لا جدل معرفي هنا، ولارأي، وانما صراحة توصيفية وجودية فحسب.

6

هذا المنحى الغنائمي هو عينه من جعل الكهنوت يشرع لاحقا الثنائية المخزية في الدعوة؛ (الاسلام او الجزية). علما انه دائما هنالك جزية حتى مع من اسلموا، بفتح لعبة الخراج واللعب بمقياسها.. دائما هنالك اما غنيمة او فيء في الفتوحات. الاول في الفتح عنوة والثاني دون قتال..

وعلى هذا الدرب من فقه الغنيمة كانت الاحاديث المدسوسة المنشطة لذلك الفعل تاريخيا. مثلا يُلصق بالنبي حديث يمثل منطقا بربريا بجدارة ؛ (من قتل قتيلا فله سلبه)[85]. لانه لايليق بفارس يخجل من فروسيته، وليس بنبي يخجل من نبوته كرسالته اخلاقية. والغريب ان هذا الفقيه بعد فكر وجهد يجعله من الصحاح. رغم توحشه وعدم انسجامه مع الدعوة الاخلاقية للنبي. اي يقاس على سنده وليس على انسانيته كما هو

---

[84] فتوح البلدان، ج2، ص23.

[85] صحيح سنن أبي داود للألباني. ج 2. ص 522.

الفقه الوجودي معنا؟.. ناهيك عن الدس الاكبر في ماسلف؛(وأحلت لي الغنائم. ولم تحل لاحد من قبلي)

شيوع هذ الطابع الغنائمي هو الذي جعل الحسين يقول لعياله حين كربلاء؛ (اعطوني ثوبا لايطمع به احد). لانه يعرف عادة الجيوش التي يسمونها اسلامية انها اعتادت على تلك النهب. بحيث ينزعوا من الميت رداءه.

.. لابأس، اخذوا رداء الميت، ولكنهم لم يبقوا رداءا للاسلام.

سرقة الاسلام

(مر بمقبرة اليهود فقال لمعذورون. ومر بمقبرة المسلمين فقال مغرورون..)

ابي يزيد البسطامي

(اطمئن ياقلبي، لن ينفع ابليس تظاهره بالاسلام.)

حافظ الشيرازي

1

ليس كل من هو ابن آدم انسانا، وليس كل من صلى الخمس مسلما. بينما لدى المسلمين؛ كل من يلده فرج مسلم فهو مسلم، حتى وإن كان فرجا زانيا لامصليا.

هذا اهم مايعركني ويسخطني، بأن المسلمين يظنون انفسهم مسلمين حقا. بينما هذا الاسم ليس له الا من كان انسانيا حتى وان كان وثنيا. لذا السخرية التاريخية هي ان الكهنوت يقول عن الفاتحين انهم يحاولون نشر الاسلام، بينما عليهم ان يثبتوا اولا انهم مسلمون. ومهمتي لكثرما كانت هي ان انزع عن المسلمين صفة الاسلام، تماما كما كان هم كيركجارد نزع صفة المسيحية عن المسيحين.

صحيح ان ابا سفيان واولاد امية سرقوا دولة الاسلام من النبي، ولكن الفقهاء سرقوا الاسلام عينه من النبي. سطوا على كل ماأعطاه من مبادئ وضيعوها في حانة معبدهم، ولم يبقوا شيئا. إذن لم يكن عبثا ان سماهم حفيد للنبي بـ(سُرّاق الكعبة)... إننا بلا إسلام. هذه هي البديهية الاولى، لامسجد بيننا ولاصلاة.. إننا نكذب على الله وليس على الناس.. ناهيك ان نكذب على الاسماء.

2

في عقيدتي؛ إن الذين يعبدون بقرة بانسانية، اقرب الى الله ممن يعبدونه هو بتوحش.. هذه الحقيقة لايقبلها الجمهور والفقه. ولكن الوجودية تصل اليها، او ان تكون بديهيا في حياتك. فالوجودية لدي هي البديهية الحياتية مع الشعور.

هذا ماهو مطمئن له في كل اديان الله. الاسلام وغيرها، او كل ما أنتجه القلب السليم، سواء كان بوذا، او صاحب الزنج.

لذا، في عقيدتي باطمئنان؛ ان الاديان الاكثر الهية، ليست هي الاكثر توحيدية، وانما هي الاكثر انسانوية[86].

هذا هو مقياس الله عينه في الهية الاديان، انسانيتها فحسب. كما ان هذا المنحى من اعتماد الانسانوي في صحة دين الفرد لدى الله، هو عينه يجريه الفرد الواعي على الله نفسه في صحة اي دين ينسب له. إن وجدوه انسانيا فهو منه، والا فهو من الكاهن.

لذا النبي لم يتبعه الناس لاجل إلهه العظيم، وانما لاجل انسانيته العظيمة فحسب.

إذن القاعدة في الوجودية الاسلامية هي؛ انه غير انساني إذن هو غير ديني.

المؤلم هو ان المسلمين في قصة الفتوحات وعموم حياتهم، يدعون انهم يريدون ان يصلوا الى الالوهية، وهم اصلا ليس لديهم إنسانوية. وهذا ماتخطى به حتى مدارس الوصول مع المتصوفة. اي ان الوصول الى الالوهية لايتم الا بالوصول الى الانسانوية، وليس بالصلاة والصوم وماشابه. فكيف إذا قلنا انهم يريدوا الالوهية للناس في الفتوحات بالقتل وليس بالصلاة.

كما انه مع هذا الاس تتاكد كلمة؛(لايجتمع حب الله مع كره الناس). كاس لماهية الدين، رغم انها حكمة اخلاقية صوفية.

[86] وهو الامر الذي جعلنا سلفا نلح على ان الكفر ليس لدى الله ان ينكر الانسان الهه، وانما ان ينكر الانسان انسانيته.

لاناقش لدي؛ في ان هرقل كان افضل عند الله في الشام من مروان بن الحكم. لا بل هو المسلم لدى الله ومروان هو الكافر. ليس لان مروان واباه كانا طريدي النبي، ولم يقبل اسلامهما، وان هرقل كان مؤمنا بالنبي بدون قرآنه، بمايروى عن حنينه للنبي[87]. فهذا امر لاهوتي، وانما لامر وجودي محض، يكون به هرقل افضل عند الله في عين تثليثه من الخليفة المسلم في عين توحيده بقولة(لااله الا الله).

كل ذلك لسبب بسيط، وهو لان هرقل افضل للبشرية في الشام من مروان. لذا لانحتاج الى ان يشهد هرقل بالشهادتين، حتى يكون افضل، لانهما لم ينفعا شيئا من عين الذين قالوهما، وفي نفس الحين قتلا بهما آلافا وآلافا.. بل بسبب الدعوى الكهنوتية لتلك الشهادتين لاغير نزلت عذابات الشعوب وغزوها وسبيها واستعبادها.

بكل الاحوال، هرقل يؤمن بالبشرية، إذن هو يؤمن بالنبي. حتى وان كان وثنيا وليس مسيحيا. ولطالما كان الوثني اقرب الى محمد من المسلمين. لانه نبي انسانية وليس نبي صلاة.

4

لايهمني المنهج المعتاد في تبيين ضياع الاسلام بسرقته من النبي واللعب به وتضييعه، بأخذ منطق الاخبار التي يستخدمها التنويريين بسطحية آتيه من كونها اخبار تتعلق بالاحكام العبادية والطقوسية في الاسلام دون مبادئه واهدافه، يصلح معها تسميتها بمفردة (رسالة)، لانها مسلة قيمية لاعبادية، من قبيل مثلا ان (وهب بن كيسان ، قال : رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، ثم قال :" كل سنن رسول الله

[87] لهرقل الروم الشرقية قصة اكثر من مهمة معرفيا في خصوص النبي، تنفع في منطق الايمان الوجودي بعيدا عن المعجزة. ويفوق به كل من قرأتهم من اصحاب علم الكلام دون مبالغة. تماما كما فاجئني هولاكو في تفوقه بذلك. اعرف ان الكثير يسخر من هذا المبالغة. ولكن الاعماق لطالما متهمة.

قد غيرت ، حتى الصلاة)[88] . او عن (الزهري : دخلنا على أنس بن مالك بدمشق ، وهو وحده يبكي، قلت : ما يبكيك ؟ ! قال : لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وقد ضيعت)[89]. لان الدين يقوم في جوهره على مبادئه الانسانوية والاخلاقية وليست التعبدية الطقوسية من الصلاة والصوم. لذا فهذا المنهج اكثر من سطحي ان اعتبرَ ذهاب الاسلام قائما على تغير صلاة النبي عند اتباعه، وليس بتغير روح دينه وانسانيته واهدافه. وهذا ما تنحو اليه وحدها، كلمة ابن ابي طالب: (لم يبق من الاسلام إلا اسمه ، ومن الدين إلا رسمه). بفقدان جوهره من اهدافه ومبادئه وقيمه وبقاء اشكاله الطقوسية من المسجد والصلاة.

المهم هو ان قياس الانحراف امر وجودي في انسانوية الذات وليس صلاتها وصومها وباقي احكام الفروع. و لا انحراف للدين الا بانحراف انسانيته.

توجد بعض الاخبار اقرب الى المنحى الجوهري منه الى اسلام الفروع. لانها تشي بانه لم يبق من روح الاسلام شيئا. من قبيل؛

.. الحسن البصري: (لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ما عرفوا منكم إلا قبلتكم)[90].. أبو الدرداء: (والله لا أعرف فيهم من أمر محمد شيئا إلا انهم يصلون جميعا)[91].. جعفر الصادق حينما نوقش امامه الامر قال: (لا والله ، ما هم على شئ مما جاء به رسول الله ّ إلا استقبال الكعبة فقط).. مالك عن أبيه، قوله: (ما أعرف شيئا مما

---

[88] كتاب الام للشافعي، ج 1، ص 208.

[89] جامع بيان العلم، ج 2 ، ص 244 . البخاري ج 1 ص 141 .

[90] جامع بيان العلم، ج 2، ص 244 .

[91] مسند أحمد بن حنبل، ج 6، ص 244 .

أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلاة)[92].. عبد الله بن عمرو بن العاص: (لو أن رجلين من أوائل هذه الامة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الاودية ، لاتيا الناس اليوم، ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه)[93].. قد ينفع الكهنوت دليل نصف تقليدي مع كلمة الامام والمتصوف زين العابدين بن الحسين، حينما عاتبه احدهم على رفضه للفتوحات، فكان رده بان جيوشها ليسوا من الاسلام بشيء[94]. واحدس بقوة انه قال رده هذا بقياس وجودي. لانه لم يبنه على فقه او اقلها لخبر مثلا عن الفاتحين بانهم لم ينطقوا الشهادتين او انهم لايصلون، او حتى يوجه ابعد قليلا؛ مثلا لانهم ياخذون الغنائم وهي حرام في فقهه، فتُخرج المسلم عن اسلامه. وانما قال ذلك لانهم خلاف المبادئ الانسانية فحسب، وبالتالي لديه هم خلاف الدين والاسلام. رجوعا لماهية الدين ببدهية وقاعدة؛ انه غير انساني اذن هو غير ديني. وتلازم الماهية بين الديني والانساني..

بديهية هذا المنطق تجد لافتتها ايضا مع زينب في حادثة كربلاء في كلمة لها مجهولة القيمة الا للبكاء؛ (ويحكم اما فيكم من مسلم..). إذ لم تقل كلمتها هذي عبثا، وانما قياسا لواقعهم على روح الدين. فهي تعرف ان اولئك ينطقون الشهادتين جيدا ويصلون. ولكن لم يكن هذا مقياسها ابدا. وانما للفعل الانساني فحسب. سيما انها تربت عن ابيها عن جدها؛ ان تكون متدينا يعني ان تكون انسانويا، لا ان تكون مصليا. كما يرى الكهنوت.

هذي هي الوجودية في التراث مع عين كبار الممثلين لجمهورية النبي والاسلام المثالي..

---

[92] الموطأ ، ج 1 ص 93. جامع بيان العلم، ج 2، ص 244 .

[93] الزهد والرقائق، ص 61.

[94] الامامة الالهية للشيخ احمد سند ، ص215 .

رغم كل تلك التراجيديات السالفة و كل تلك التجاوزات البشرية وتدني النفس والضمير، ويقول الكهنوت واسلامويوه في الازمنة الحديثة؛(ومما يجب الإشارة إليه أن هذه الفتوحات لم تكن من أجل التوسع للإستغلال والاستبعاد، وامتصاص اقتصادهم ليعيش الفاتحون في الرفاهية،ومتع الحياة وزينتها، والمحكمون في الذل والهوان، كلا وإنما كانت تهدف إلى نشر الإسلام وتعاليمه ومبادئه العادلة بين هذه الشعوب بالتي هي أحسن ... إن الفتوحات الإسلامية عامة تختلف عن كل الفتوحات في العالم القديم والوسيط والحديث، فغيرها كان يتسم بالعنف والإبادة والقضاء على معالم الحياة)[95] ..

اعتقد بعد كل ذاك الرماد الذي نسناه، لايعبر عن حقيقة الجهاد وفتوحاته الا مفردات عين هذا الاسلاموي؛(التوسع للإستغلال والاستبعاد، وامتصاص اقتصادهم ليعيش الفاتحون في الرفاهية، ومتع الحياة وزينتها، والمحكمون في الذل والهوان.. العنف والإبادة والقضاء على معالم الحياة).. فقط بحذف كلمته (لم تكن) المسبوق بها نصه، والتي كذب بها على الناس كذبة ان شمس النهار ماهي الا قمر. بل كذبة يلوم بها الناس انهم يروها شمسا.

اظنه حينما قرأ سابقا؛(ففتحوا ذلك الحصن وقتلوا من فيه). (وهو يقصد بلاد العدو في غير ناحية الصنم، يقتل ويسبي ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس). (وضع السيف في أهل البلاد،). (فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا). (إن قتيبة بلغ في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفتاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة). فهو ليس عنفا وابادة. ولم يكن هذا النسق الذي سلف منه كثيرا؛ (... ثم جهز سليمان الباهلي في اثني عشر ألفا إلى ارمينية فأخضعها وعاد منها مليء اليدين بالغنائم)[96]. توسعا واستغلالا وامتصاصا لخيرات الشعوب واملاكهم، والعيش

---

[95] ابراهيم عبد الفتاح المتناوي، دماء على قميص عثمان، ص25.

[96] الطبري ج5.. 264.

برفاهية على حساب الام الاخرين وجوعهم وموتهم واحزانهم. وغير هذا النص الافا ممن مطلنا نقلها سالفا.

يمكن تخيل هذه العذابات في الموت والفراق والسبي والترمل والتيتم والجوع، وجريانها على بلاد كثيرة، مثل بخارى وخوارزم والري وسمرقند وفرغانة ونهاوند وتستر وآلوس والمدائن وطرسوس وآياس، ونيسابور ومرو وابرقاذ والاحواز والسند والاندلس واذربيجان وجرجان واصبهان وبست ميسان وقزوين وطبرستان وشهرزور وصامغان وارمينيا وهراة وطخرستان وكازرون والنوبذجان وكرمان وابرشهر وسرخس واصطخر والطالقان. ممن رصفت بعضها حسب ماوقعت عليه عيناي. ولنرى حجم الكارثة الانسانوية التي جرى بها الكهنوت في منظومته الدينية، ومازال يجدها فخره الديني والرسالي. علما ان هذا الهتك لايحصل مرة واحدة مع تلك البلدان، بل لطالما تكرر بين الفينة والاخرى، خلال قرون الصراع بين المسلمين انفسهم. بين سلطان وسلطان..

بعيدا عن كل هذا، المفروض ان الصحابي عبدالله بن مسعود اكثر حجة من هذا الاسلاموي واكثر قيمة لدى عين الكهنوت، اقلها اقرب تاريخيا للحدث. ألم يردد هذا النبيل العالم حسرته المعروفة في هذا الشأن من ملوكية الفتوحات؛ (اراكم والله ستجعلونها ملكا). فايهما يختارون في تحديد الحقيقة؛ كلام الاسلاموي ذاك، ام حسرة ابن مسعود.

الغريب ان الكهنوت حينما يلاقي القرآن في آية: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، و جعلوا أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون). يدرك ان تفسيرها بصراحة؛ (إفساد القرى تخريبها وإحراقها و هدم ابنيتها، و إذلال اعزة أهلها هو بالقتل و الأسر و السبي و الإجلاء و التحكم.). بينما هو عينه من يشرع ويقوم بعين ماينكره القرآن هنا بعين تفسيره. فأي بنية صفقة هذه، تعييني كثيرا.. ولكن الغريب حينما تكون مع آية: (إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل).. فيفسروها (المراد بالحسنة و السيئة بقرينة السياق ما تتعقبه الحروب و المغازي لأهلها من حسنة

الفتح و الظفر و الغنيمة و السبي، و من سيئة القتل و الجرح و الهزيمة).هنا الحسن والقبيح هو مايعود على الانا، مهما حل بالاخر. رغم ان الاساءة الى الاخر هي الشر حتى في المجال الاخلاقي غير الديني.. ازدواجية مقيتـه ايضا في مفهوم الخير والشر. ماينفعك فهو انسانوي وخير، حتى وان قُتل وسبي بسببه الاخرين، ومالیس لك فيه غنيمة ومنفعة فهو شر. هذه هي البنية الكهنوتية.

اتسأل لما الكهنوت الشيعي يرى سبي نساء كربلاء فاجعة انسانية كبرى، ولايراها كذلك على النساء المسبيات من الامم الاخرى، رغم ان حال نساء ال البيت كان اهون نسبيا، لعدم قدرة الجيش بالتعدي على سبي اهل البيت، لاسباب كثيرة معنوية وسياسية. بينما تلك النسوة المسبيات من باقي الشعوب كان الجندي المسلم يأخذها ملكا له طوال شبابها، ويعزلها عن ديارها واهلها وزوجها واطفالها، بذلة يصل به الامر انه يتعدى على جسدها في اول لحظة النصر، دون ان يعبأ حتى بدموع طفلها الذي يركن في اخر الغرفة او في زاوية غير بعيدة.

لما لا يرى ذلك فاجعة وظلما وحراما دينيا، ام فقط المسلمين لايجوز سبيهم. لاننا بشر والاخرون كفار. وهل هنالك كفر غير الظلم.. اقلّها كان على الكهنوت الشيعي ان يحرموه بكلمة زينب عينها؛ (لاتدخل علينا الا ام ولد اومملوكة، فانهن سبين كما سبينا.) فهي ضمنا تحرمه بدهيا، كسلب للكرامة الانسانية. سيما ان زينب تفقه الاسلام اكثر من انمته. ومن لايفقه ذلك في كلمة هذه الثائرة فهو ليس منها بشيء ومن وعيها الطوي، ناهيك عن انها تمثل اهم خطوة ثورية للدين.. رغم ذلك والكهنوت الشيعي يحلل ماعانته زينب وتكلمت عن خطيئته، شأنهم شان باقي المسلمين لانهم كهنوت ايضا. وكل شيء يتحول الى كهنوت يغدو لصا. يسرق الحقيقة من خدرها.

علما التاريخ يتفق على قصة علي في الجمل مع اصحابه بعد الانتصار، والجدل الذي دار بينهما بسبب منعه اياهم من السبي، وبمنطق انسانوي وجودي لاديني ونص منطقه؛(كيف تحل لكم ذرية ضعيفة).. كما انه هناك في تلك الحادثة عينها، اعني حادثة الجدل بين علي واصحابه على السبي يتبين حكم علي في الغنيمة ايضا ورفضه لها، لان الجدل كان يقوم عليها ايضا، بعد ان منعهم منها. حيث لديه لايحل من الغنيمة الا مالدى معكسر المحاربين دون غنيمة الناس والبيوت والمدينة، ونصه؛(ما ماأخلت القوم في مصكرهم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الابواب فهو لاهله). والاهم في الامر بمايناسب الازدواجية الاسلامية وفضح علي لها بين المسلمين، هو انه حينما الحوا عليه في ان يسمح لهم بالسبي، وبتعبير ابن ابي الحديد(فلما أكثروا عليه) بالالحاح، قال لهم(اقرعوا على عائشة لادفعها الى من تصبه القرعة)، حينها الكل استغفر الله وانصرف.. كل هذا الالم العلوي والفقهاء احلوا السبي سنة وشيعة.

مما هو مهم، هو ان عذابات العبيد لم تؤخذ تاريخيا من اليسار الاسلامي وعموم رافضي العبودية في زاويتها الحقيقية، وانما فقط في جانب السخرة واستلاب الحقوق وعموم فكرة نفي الحرية وحسب، بينما هي مع العناوين الاخرى للحياة المعنوية المرتبطة حين الاستعباد باغترابهم عن ديارهم ومرابع صباهم وبذهاب حبيباتهم وزوجاتهم بايدي الفاتحين الغزاة ناهيك عن مقتل احبابهم. وبعيدا عن هذا وذاك، ازمة الذات والكرامة في ازقة تلك العناوين التي لايحتملها قلب شريف، ويفضّل بها الموت على رؤية مايحصل، الامر الذي ركزت عليه الكلمة السالفة لزينب كربلاء. فوق ذلك هو إقصاء العبيد من مجال البشر واعتبارهم ماشية بشرية. والنظر اليهم بازدراء ودونية كطبقة اجتماعية محتقرة من عين طبقات المجتمع الاسلامي نفسه.

مشيا مع ذاك الاسلاموي، ماذا يعني هذا النص المتخصص رسميا في جهة العائد المالي لمردود احتلال العراق، ويدوّن بشعور ديني مطمئن كحق طبيعي (السواد على عهد عمر بن الخطاب مئة ألف ألف درهم. فلما كان الحجاج صار إلى أربعين ألف ألف درهم)[97]. الغريب ان النص هذا رغم إنه يُروى على هامش ملامة الحجاج، ولكن ليس في جهة ظلمه، وانما في جهة خفضه واردات ارض السواد. اي لاعتاب عليه من المدون الكهنوتي في سلبه للناس، وانما على تدني مايأتي من الناس. بكل الاحوال يمثل هذا النص اعترافا فاضحا لحقيقة تشريع نهب الشعوب وسلب اموالهم وارزاقهم وكدهم. بل حتى الفقراء لم يسلموا من ذلك[98].

لم تقف الامبراطورية الاسلامية وكهنوتها على حلية نهب البلاد واستباحتها، وانما كان المنطق الطبيعي في توزيع الغنائم هو توزيع الناس كعبيد، تماما وكأنه (قطيع بشري) كما هو التعبير المعروف من افلاطون وصحبه. يروى الكهنوت بكل برود، ان

---

[97] فتوح البلدان، ج2، ص 323.

[98] التاريخ الكهنوتي يحفظ ارقاما عن باقي البلدان في عوائدها المالية كنظام اقطاعي شانه شانه باقي الامبراطوريات من قبل؛ بلغ عدد دافعي الجزية في مصر اثني عشر مليون دينار عن ستة ملايين رجل. فينقلون بشرعية ضمنية؛(انه كان على اهل العراق من غنيهم اربعة دنانير وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرين درهما، واثني عشر على الفقير ، إضافة الى خمس عشر صاعا من القمح). كذلك كان يفرض على اهل البلاد ضيافة الجيش الذي يمر منهم ثلاثة ايام. ولطالما شكا الناس ذلك بانهم يكلفونهم الدجاج والشاة مما يدجنون ولايقبلون طعاما مما ياكلون. اي دين هذا الذي يفرض على الفقير ان يعطي مالا، ولمن؟، للحكومة وارستقراطيها.. اعتقد ان الاستعمار العلماني الحديث كان اولى بالتاريخ من الفتوحات تلك. وان اشتركا في نهب خيرات الشعوب. لانه علّم كثيرا، حتى ولو عرضا، بينما تلك الشعوب هي التي علمت الفاتحين. الم يكن معظم العلماء الذين اسسوا التراث وحضارته من تلك الشعوب.؟

الخليفة اراد(قسمة السواد بين المسلمين، فأمر أن يحصوا، فوجد الرجل منهم نصيبه ثلاثة من الفلاحين.)[99]. كلمة نصيبه هنا توازي مفردة حقه شرعا في ان يملك ثلاثة ويستعبدهم!!. هل يتوقع ان يقتنع هذا الفلاح بهذا الدين الذي استعبده وحوله كملكية صرف بيد مقاتل غاز يسمي نفسه مسلما وداعيا. انها سخرية أسماء.

إذن لتعرف اجيال تلك الشعوب، انه لم تكن الفاجعة في استعبادهم اجدادهم وقتلهم فحسب، لان اولئك المسلمين كانوا قد قتلوا الاسلام قبل ان يقتلوهم.

هذا الاستعباد اصبح هو الالم الاكبر الذي لاح تلك الشعوب بحيث إن عملية فتح واحدة للمسلمين كان فيها نصيب الدولة الإسلامية من العبيد ستين ألفاً ، وإن امرأة واحدة من المسلمين اشترت خمسمائة عبد[100] ، إذ كان العبد الواحد يُباع أحياناً بقبضة من فلفل المطبخ[101]. ويصل الامر ان التاريخ الكهنوتي عينه يقول ان؛ (الزبير بن العوام كان يملك ألف عبد وألف امة)[102]. وبعد سبعة قرون تجاوز عدد الجواري الخاصات بفراش السلطان عبد العزيز بن محمود خان تسعمئة وابراهيم الاول والسلطان سليم ثلاثمئة..

أو مثلا؛(وسار موسى بن نصير إلى الشام. وحمل الأموال التي غنمت من الأندلس والذخائر والمائدة، ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم، ومن نفيس الجوهر والأمتعة ما لا يحصى)[103].. رغم هذا الاعتراف الكهنوتي في تاريخه، وتجد باحثا

---

[99] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج1، ص3.

[100] الامامة والسياسة : 137 فصل الفتوحات . القسم الثاني . المجلد.

[101] الإمامة والسياسة ، فتح الاندلس وشمال أفريقيا...

[102] فجر الاسلام| أحمد أمين : 90.

[103] نهاية الارب.

اسلامويا يحسب تنويريا، ويقدر انور الجندي في اطلاعه، يقول عن الفتوحات ان الاسلام؛ (نقل خلالها الى البشرية روحه ومفهومه وعقيدته، وحرر هذه الامم جميعا من نظام العبودية المرهق الذي قاسى منه البشر اهوالا في عبادة الفرعون والامبراطور والقيصر)[104].. هولاء هم المجددون المعاصرون. بالتاكيد لم يجلب موسى بن نصير كل الجواري ناهيك عن العبيد، فهناك حصة للجيش منهم، وبالتاكيد هي اضعاف مضاعفة من هذا الرقم خاصة انه لم يات بعوام الذين استعبدهم وانما بنات الملوك وعموم المميزات منهن، بل وخصوص الابكار منهن دون الثيبات. اذن كم كان رقم الجواري هناك.. او مثلا ان (عدد السبي من أهل التيجر الف امراة وضعن في دار رملة بنت الحارث)[105]. فقط هذا السبي الذي جلب الى المدينة، اما من بقين هناك تحت ملكية الجنود والقواد فعدد لايحصى. علما ان الدولة عينها كانت تبيع الرقيق الذي يقع لها ضمن خمس الغنائم[106]. وهو النسق الامبراطوري القديم حيث قوة الدولة كانت تتوقف على عدد عبيدها والايادي المجانية، سواء لخدمتها او كونها بحد ذاتها ثروة يمكن تباع. لذا كانت الفتوحات مرتبطة أيضا بحاجة ذلك الاستعباد، وليس بالمعبد والله وباقي كذبة الدعاة.

كان من المعتاد مثلا ايام الدولة العثمانية حين دخول جيشها الاسلامي مدينة ما، ان يقتل رجال تلك المدينة في مجازر جماعية وتستباح النساء كغنيمة للجيش ويبقى قادة الجيش حصة للخليفة العثماني تمثل خمس الغنيمة من النساء الاجمل. وقريبا من هذا الشكل كان الامر مع باقي الشعوب التي نهبت من قبل العباسيين والامويين وعموم

---

[104] انور الجندي ، الاسلام والعالم المعاصر ص104.

[105] اكرم العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص205.

[106] أبو داود: السنن 2: 255.

السلاطين والامراء. لذا يصح احيانا القول ان السلاطين المسلمين في وقت ترفهم حاربوا من اجل الجواري احيانا وليس من اجل المال ولا من اجل الله، فهذا مفروغ منه. ولهذا السبب اعتقد ان الذي جعلهم غير مهتمين كثيرا بالبلاد السوداء والقرن الافريقي، هو انها ليست من ديار الجمال فقط وفقط. بل حتى صار عرفا؛ ان التقرب الى السلطان من قواد جيشه يتم باهدائه جواري مميزة.

لم يتوقف الامر في عدد العبيد على ما رافق الدولة الاسلامية من زيادة للعبيد على قدر حروبها، بقدر ما المسالة كانت في فتحهم تجارتها وتشجيعها، بحيث لم تسلم منهم حتى نساء البلدان غير المفتوحة، لان عين طلبهم لها أفضى الى انبثاق مافيات اممية– سيما مافيات اليهود– في جلب النساء من البلدان القاصية، فتعدّوا مشرقهم والبلاد المفتوحة الى شرق اوروبا من الصقاليبيات، سيما البلغار. كذلك طريقا آخر يمتد من المانيا الى الاندلس ومن الموانئ الايطالية والفرنسية الى الشرق. حتى ان بعض التوثيقات التاريخية تعلل ان استقرار اليهود في سكسونيا الشرقية مثل مدينة مجديبوغ ومرزيبورغ كان راجعا الى تجارة الرقيق التي ازدهرت معهم بطلبات المسلمين. وهكذا كان الاسلام التاريخي ابرز من اثار وسوق قضية بيع الناس، وفتح ظاهرتها. بحيث كانت اسواقه تمتد بين افريقيا الشمالية وتركستان وفرغانة والاناضول وفارس من السلافيات والصقلبيات والجرمانيات لجمالهن.

من حظه انقذه وكان خارج طبقة العبيد من شعوب البلاد المفتوحة/ المغزوة، عاشوا ايضا ويلات اخرى في وجودهم المحتقر والمنفي اجتماعيا. بحيث لايمكنهم حتى الزواج من المجتمع العادي، وهو امر معروف تاريخيا ويرد بقوة مع حادثة قبيلة بني عبدالقيس

وبني سليم. وأخذ قانونه التنفيذي مع احد الموالي ممن تزوج امراة من بني سليم . ففرق والي المدينة ابراهيم بن هشام بينهما. وامر بضربه مائتي سوط. و حلق راسه و لحيته و حاجبيه. والفقهاء لايعنيهم ذلك. بل هذه الرؤية(عيب التزويج) جعلها الفقهاء حكما نبويا لاحقا. اذ لدى الكثير من المكروه شرعا التزوج من امة ، واحيانا لدى البعض تصل الى الحرمة، سيما اذا اريد اتخاذها كزوجة ثانية على زوجة حرة.

مما يقبل التاريخ الكهنوتي لنفسه دون ملامة، نقله قرارا لمعاوية : (اني ارى هذه الحمراء قد كثرت... و قد رايت ان اقتل شطرا و ادع شطرا لاقامة السوق لعمارة الطرق)[107]. بل لايأس ان يروي الكهنوت بكل بساطة سنة اسلامية ترى؛ (ان للعرب ان يتزوجوا من الموالي , و ليس لهم ان يزوجوهم فيتسنى للعرب . في ضوء هذه السنة . ان يرثوهم , و اما هم فلا يرثون العرب عند نشوب الحرب الصلاة . و لا ان يكونوا في الصف الاول من صلاة الجماعة)[108].. أيضا كانت تؤخذ الاتاوة المالية قسرا من هؤلاء باسم الخراج وكنيته الفقهية، كونها بكل بساطة لا تحمل الا منطق القوي والضعيف، ويعين الشاكلة الاقطاعية. علما ان الامراء والولاة الامويين لم يكن يلتزمون بالقدر الذي يحدده الكهنوت في تلك الكنية. كما انهم رفضوا اسلام الكثير منهم حتى تبقى الجزية، رغم فجيعة منطق؛ اما ان تكون مسلما او ان تدفع مالا. اما من لايستطيع الدفع فكان

---

[107] العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج3، ص413. بل يُنقل ان معاوية بعث برسالة في آخر حياته الى واليه على البصرة يقول فيها : (اني رأيت هؤلاء العلوج قد كثروا في بلادنا ، فخذ هذا المقياس – وارسل له خيطا من خمسة عقد – وانظر اذا كان احد من الموالي اطول منه فاضرب عنقه) ينقله احد الكهنوتيين المعاصرين دون توثيق. ولاانكره استنكافا، اعترف بذلك..

[108] المصدر السابق نفسه.

يعذب مهما كان العذر. ومن فضائح الفقه هنا، هو تشريعهم لذلك العقاب كشرع لله. بحيث يُعتبر احد الفقهاء رحيما كونه منع صب الزيت والتعذيب تحت الشمس، كما كان يفعل الولاة والامراء، وجعل عقّابه فقهيا الحبس الى ان يدفع الجزيه/ الاتاوة، كما هو راي ابي يوسف القاضي[109]..

بينما كان ابن ابي طالب يعطيهم، لايأخذ منهم، كما ينقل اليعقوبي وآخرين انه؛ (اعطى الموالي كما اعطى العرب و يعطي الناس بالسوية، لم يفضل احدا على احد)[110].. كان منطقه ان البشرية واحدة وليس سواسية فحسب مهما كان دينهم او كفرهم. وهو عين الامر الذي جعل ابن عباس يقول: (انما رغب الناس عن علي لانه لم يفضل العرب في العطا)[111].

هذه هي جمهورية النبي. ولكن ليس حجة علي في ذلك هي (ان اولاد اسماعيل لم يفضلوا على اولاد اسحاق في كتاب اللّه) كما ينقل اليعقوبي، فعليٌ لم يكن نصيا، على شاكلة الفقهاء. لذا مثلا حينما كان يقول مرارا؛(لو كان لي مال , ما فرقت بين اسود و ابيض في العطا)[112]. لم يكن يتكلم عن أمر نص شرعي، وإنما عن ذاته ومبادئه.

الا يتوضح الان كلام الجمهورية في اول اوراقها بان المهم ليس انقاذ الاسلام، وانما انقاذ النبي من ذلك الاسلام.

[109] الخراج، ابو يوسف القاضي، ص133.

[110] تاريخ اليعقوبي : آخر واقعة الجمل .

[111] شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد. 16 : 23.

[112] الغارات 1 : 70

المسبيات كن يحتكرن كجواري. بشكل تتمنى كل واحدة منهن ان تذهب الى رجل واحد يعتني بها مقابل جسدها- رغم عذاباتها في مقتل احبابها وفقدانها اهلها وديارها واستبعادها عن اطفالها الذي استعبدوا- ولكنهن كن يتكدسن عشرات ومئات في حوزة رجل واحد. فكان يتجاوز عدد جواري السلطان الافا مؤلفة، مسجونات في دار الحريم، وقد تحظى واحدة منهن بليلة واحدة طوال عمرها من السلطان او تموت وهي عذراء.. فإن نامت مع عبد مثلها، اخصي العبد واقيم عليها الحد من قبل الفقيه القاضي وفتواه[113].. وهكذ جعل الفقيه من الدين دعارة في بيت السلطان. وقد يصل الامر ان لا يكتفي بالاخصاء وانما بقتل جميع الخصيان في القصر لان احدهم ضاجع جارية من تلك الالاف كما فعل السلطان ابراهيم. بل حينها اغرقت 280 جارية في مياه البوسفور. فكان رجال السلطان يقتلوهن دفعات ثم يضعونهن في اكياس مثقلة تلقى في البحر[114].

انقل هذا الامر لا من جهة طغيان الملوك المسلمين، ولا من جهة عذابات العبيد فقط، وإنما من جهة قبول من الكهنوت ومباركته لذلك وساديته في التشريع، ولننظر الى طريقة رواية مؤرخ كهنوتي للاخصاء الذي قام به سليمان بن عبد الملك بعدد كبير من اولئك العبيد وإعتباره فضيلة: (وكان شديد الغيرة أمر بخصي المخنثين الذين كانوا

---

[113] بينما الامام علي كان يقول؛ من اتخذ من الاماء اكثر مما ينكح او نكح فالاثم عليه.. وهي مقولة دفاع عن المراة خرجت ازاء تلك الظاهرة. وهنا لايقصد الامام حلية الجواري ضمنا. باعتباره يعاتب كثرتهن في النص فحسب، وانما يتكلم عن الزواج من طبقة الارقاء. والا لتعارض الامر مع مثالياته التي لايمسها قبول الاستعباد، لا من قريب ولامن بعيد.

[114] عن حسين مؤنس؛ الجارية روكسيلان، ص12.

بالمدينة فخصاهم عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو الأنصاري)[115]..
ثم اصبح هذا الامر عرفا رسميا للقصور وكشرط وظيفي احيانا، بحيث كان هنالك عشرة الاف خصي في عهد المقتدر.

بعد كل ذلك؛ اليس هرقل خير للناس من مروان والمقتدر.

9

لايعترف الكهنوت بكره الشعوب للمسلمين الفاتحين، ناهيك عن خطيئة فكرة الدعاة وكذبتها، رغم ان عين تراثه يروي ان تلك الفتوحات انكفأت بانتفاض كثير من تلك البلدان المفتوحة وسقطت مناطق كثيرة منها، بحيث احتاج المسلمون إلى فتح الكثير منها أكثر من مرة لاسترجاعها من قبل الجماهير، ومنها خراسان، وكذا كرمان، وسجستان وغيرها، من بلاد افريقيا والاندلس.. هذا الامر ظهر مبكرا في اول الفتوحات. ينقل ابن الأثير انه: (لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد، قالوا لرستم والفيرزان، وهما على أهل فارس: لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس الخ..)[116]. وهي ملامة لما آلو اليه من حال في الظلم الاسلامي. والا لو كان المسلمون خيرا في وجودهم من كسرى لما لاموه. ولما انتفضوا ضد المسلمين. انهم جماهير وليس كسرى الذي مات هو ورستم ويزدجرد.
عقبة بن نافع، الذي ولاه معاوية على افريقية، حينما دخلها يقول النص مبينا لماذا (وضع السيف في أهل البلاد) بـ (لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا، وأظهر بعضهم

---

[115] تاريخ ابي الفداء ج1، 138

[116] تاريخ الطبري ج 3 ص 324 والكامل لابن الأثير ج 3 ص 110 والبداية والنهاية ج 7 ص 154.

الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا، وارتد من أسلم)[117] في الحقيقة هم انتفضوا، وليس نكثوا وخانوا. المؤرخ يخون الكلام هنا فحسب..

10

لعين تلك التراجيديات واستعباد الشعوب واستغلالها وتشويه الاسلام/ برزت حركة القرامطة و صاحب الزنج والعشرات من الثورات الداخلية. فكل قواعد وجمهور تلك الحركات كانت من اولئك الذين عاشوا التراجيديا التاريخية. لذا لم يكن صدفة انه لم تكن هنالك ثورة تحمل مذهبا دينيا واحدا. لان الظلم كان يجمعهم فحسب. بل تجد احيانا حتى اليهودي معهم. وهو السبب الذي يعاب به الباحثين على حيرتهم في تحديد النسب المذهبي والفكري للانتفاضات والحركات، وحقيقة اتجاهها ومذهبها؛ من قبيل هل القرامطة اسماعيلية دينية ام فاطمية سياسية ام ماسونية ام حتى مزدكية. بينما الحقيقة بسيطة وهو ان اولئك كانوا اناس لم تحددهم مدرسة او انتماء الا العذابات التي عانوها. لم يكن هنالك مشكل معرفي عقائدي معهم الا عقيدة الثورة على الظالم. اي ان عقيدتهم وجودية وليس لاهوتيه، بينما يبحث المعاصرون عن نوع دينهم وتعبدهم. إذ لطالما تجد ان هنالك خوارج ومعتزلة واسماعيلية وحتى مرجئة في نفس الانتفاضة. بل ان عين المرجئة رغم انهم يمين اسلامي، اتجهوا في فترة غدوا يسارا الى الموالي لان هؤلاء كانوا يعينون كل من يخرج على السلطان وظلمه. كذلك اتجه البربر في المغرب الى الخوارج مذهبيا في احد الفترات، ليس ايمانا بالمذهب دينيا، وانما فقط لانهم كانوا يقولون بالخروج على ظلم الاسلام الرسمي، وعن ذلك التوافق، قاموا بالثورة الصفرية المعروفة، وحكموا مدينة

---

[117] الكامل لابن الأثير ج 3 ص 465.

طنجة. بل ممايؤكد ذلك بقطع هو ان كثيرا من اليهود انتموا الى ثورة الزنج لعين هذا السبب لاغير. لان الظلم[118] وحسب كان هو المدار الاول في خروجهم. والذين التفوا حول صاحب الزنج ليس العبيد وحدهم باعتباره نادى بتحرير العبيد وتخليصهم من الرق والعبودية بل عموم الناس المعدمين والتعساء عمالا ومزارعين وخدم وغيرهم.

المؤلم انه حتى من يقف مع صاحب الزنج من الباحثين حينما يصل الى انه جعل البيض أسرى بايدي السود، يعتبره هنا اخطأ وتناقض في المبدأ. رغم انه دليل على عظمة مبداه. وكأنه لدى هذا الباحث لايجوز بديهيا ان يقع الابيض بيد الاسود. وانه كفر اسود لانه من اسود. انه داخلنا يفضحنا. معشر الباحثين.

في الحقيقة، لم يكن يريدون ان يتحولوا من عبيد الى سادة، بفعلهم ذاك، وانما كانوا يريدون ان يذيقوا السادة الام العبيد. تماما كما فعل اسبارتوكس في معقله بجعله الرومان يتصارعون في حلبة جمهورها العبيد لا السادة، كما كان يفعل الرومان بهم قبل ثورتهم. تبيينا لظلمهم.

لابأس يريدون ايضا ان يعوضوا وجودا للعبيد. لذا اعترف اني كنت اتنفس الصعداء، وانا اقرأ ماقام به مزدك وصاحب الزنج، وهما يفرقون إماء وزوجات السيد على العبيد في يوم وليلة. وانزف كثيرا من غضبي على السادة حينها.

[118] كثير من النصوص التاريخية التي يصدف ان تكشف الحقيقة سهوا او تتجرأ في لحظة ما، كانت تشي بان تلك الثورات ليست الهية وانما انسانوية بسبب الظلم فحسب وليس بسبب المعبد..المسعودي مثلا يقول في تحليل حركة يحيى بن زيد : (منكرا للظلم و ما عم الناس من الجور) تبعا للثورة الاصل مع ابيه زيد بن علي الذي يقول في سبب انتفاضته : (ايهاالناس ندعوكم الى جهاد الظالمين. و الدفع عن المستضعفين ..).. او كلمة المختار في ثورته: (ادعوكم الى... والدفع عن الضعفة . و جهاد المحلين).

ولهذا السبب من الظلم الاسلامي، نرى ان اليسار الاسلامي لم يحارب خارج الاسلام، بل حارب ضد الاسلام ذاك وكهنوته[119]، بل هو الذي ثور تلك الشعوب. وهذا مايتوضح مع سبب نجاح عبدالله بن ميمون المتهم في ماسونية شعوبية وعداء للاسلام من التاريخ السلطوي. رغم ان صفته الاولى كانت هو انه جمع بين الغالبين والمظلوبين، ممن كان مظلوما بالاسلام الرسمي. وهي اعظم صفة اطلاقا في الفعل التوحدي، وفي ذلك دليل على انه لم تكن هنالك ازمة عرق وانما ازمة ظلم..

ولهذا السبب لاغير من الظلم ايضا نشات الحركات الشعوبية. قبل ان تكون لسبب قومي او عرقي. اي ان الشعوبية قبل كل شيء اتجاه اسسته ردت فعل للعبودية والاستغلال والاستبداد. ضد العرب كسادة وليس كقومية مغايرة. لان العرب كانوا هم السادة، وهم من ادخل هذا البعد القومي في صناعة السيد والعبد، وماسلف من نص الخليفة: (اني كرهت ان يصير السبي سنة على العرب)، ومنعه ذلك بمبرر (ان الله قد وسع وفتح الاعاجم)، يكفي في تأكيد ان العبيد كانوا من غير العرب..

كما ان منطق دعاة قرامطة شيراز في جذبهم الناس بمقولتهم(ان الله يكره العرب لانهم..) هو منطق شعوبي كما هو مفروض. ولكنه لاجل الاستعباد في حقيقته، حتى وإن ظهر غير ذلك حينما يعللون كره الله لهم(..لانهم قتلوا الحسين). صحيح انه منطق توهيمي وكاذب، ولكنه يقوم بالدفاع عن شخصية اسلامية وليس فارسية او سندية، كما انه يلتجأ الى شخصية اسلامية ثورية مخالفة للاسلام الامبراطوري وقتها.إذن القضية قضية ظلم فحسب وليس قضية شعب وشعب/ قومية.. انها قضية سيد وعبد، وليست قضية جدي وجدك..

[119] ليس غريبا ان هولاء لم تكن في صفهم كتب التاريخ المدونة كهنوتيا.

من جنون البنية الكهنوتية هو انهم يتكلمون عن انتشار الاسلام بهذه الصياغة المفجعة التي لايقول بها احمق نسي حماقته: (فافتتح سهلها وجبلها، وقتل خلقا كثيرا من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام، وحسن إسلامهم)[120]..

اي كذبة تلك؟. كيف يمكن ان يسلموا، وهم قد قُتل اهلهم وسبيت نساؤهم ونهبت ارضهم وتلوّع اطفالهم. هل يمكن ان يؤمن احد بدين فعل به هذا.. لذا اقطع بان كل الذين اسلموا من الذين احتلت بلادهم وسبيت نساؤهم كانو يكرهون الاسلام اكثر من اي شي، حتى وان غدوا مسلمين رسميا. ولايوجد اناس حقدت على الاسلام كما حقدت تلك الشعوب عليه.بسبب تلك الفتوحات وتراجيديتها لاغير؟. تلك هي الحقيقة، وببساطة قولي في الاول من جمهورية النبي؛ لابأس ان نتصور، ياترى ماذا كانت تقول تلك القوقازية الجميلة عن النبي وهي تسير مسبية باتجاه مدينته باسم احكامه ليستعبدوها ويبعدوها من اهلها وحقلها وحبيب صباها، عن شمسها وارضها، لتكون جارية في يد جلف ميزته فقط هو انه يصلي الخمس..

ماذا تقول تلك التي ترى زوجها يقتل في العراء وتؤخذ هي بليلتها يستباح جسدها وما زال طفلها على دمعة ابيه. بالتأكيد كانت تقول عن الله ماسواه من رب. يرسل انبياءه لاستعبادنا. هنا تحق كلمة محمد الغزالي كداعية كره الدعاة؛ (ان انتشار الكفر في العالم يحمل نصف اوزاره متدينون بغضوا الله الى خلقه بسوء افعالهم).

.. لذا من العار الغبي ان نقول ان الاسلام انتشر بالفتوحات، لانه كُره بها، بل اعتبر دينا كافرا في قلوب تلك الشعوب.

لم ارتح بقدر كبير في تعليل انتشار الاسلام الا برؤية ماسينيون، سيما انها تنتمي الى الأس الوجودي في اتباع الناس النبيّ لوجوده وليس لجبريله.

---

[120] ابن الأثير : الكامل 46/3 – ابن كثير : البداية والنهاية 166/7 – النويري: نهاية الأرب 413/19.

.. يرى ماسنيون ان الاسلام لم ينتشر بالفتوحات وانما (بفضل المتصوفة والطرق الكبرى للصوفية، لانه كان النموذج المقنع، الذي ظهر به اولئك من الشخصية الدينية والاخلاقية والزهدية من المتصوفة المسلمون، كما في الهند مع شيوخ الجشتية والشطارية والنقشبندية. سيما وانهم قد تعلموا اللغة الشعبية واختلطوا بحياة عامة الناس. هذا النموذج مثلا هو الذي جعل العديد من الهندوكيين والملاويين(سكان الملايو) يعتنقون الاسلام وليس التعصب المستبد للغزاة المسلمين الذين يتكلمون لغة اخرى اجنبية(.....) ذلك لان التوفيق بين الظافرين والمقهورين لا يتم الا بواسطة اولئك الذين يعطون ولايطلبون، ويقرضون ولايأملون في شيء)[121] ..

يذكر منهم ماسنيون تلامذة مالك بن دينارالصوفي الكبير(ت 127) في نشرهم الاسلام بين المويلا في كرناجور والمالديف. وكذا دخول الدووالا والبنجار الاسلام في كجرات عن طريق الحلاج(ت 309). والداعية نثرشاه(ت431) مع اللبيين في ترشنوبولي. ويوسف الدين السندي مع الموماتا في كوتش. إضافة الى دعاة الاسماعيلية في السند، منهم عبدالله الحرازي(ت460) وتحال عليه اسلام البهرة وغيرهم، ومنهم نور ستجر(ت535) وصدر الدين(ت834). إضافة الى دور ناصر خسرو (ت473) بين قبائل الوكهن والافريديين. وآخرين كثر.. وكذا في اثر ائمة اهل البيت شعبيا، وتلامذتهم ،وتفرقهم بين البلاد، بعد ثورات هنا وهناك، واثر الطرق الصوفية من االتيجانية والسنوسية والشاذلية في الجانب الافريقي.. ورجالات من قبيل الصوفي كبير في الهند واثره حتى على مذاهب

---

[121] ماسنيون بحث في النشأة ص86. بتصرف، عن عبدالرحمن بدوي تاريخ التصوف الاسلامي.

اخرى وتأسيسها، كما هو تاثيره على الهندوك سيما على نانك مؤسس السيخية. والصوفي فريد شكر كنجي. واخرين كثر[122].

ماأراه ابعد في السبب كمدار اساس في الانتشار، ويسبق تلك الشخصيات زمنيا، ويحال على الثوار اكثر من المتصوفة، وهو؛ ان الشخصيات التي خرجت دفاعا عن الجياع والمستضعفين والعبيد ضد اسلام الكهنوت كانت شخصيات اسلامية وليست من ديانة اخرى، مما جدد لديهم حقيقة هذا الدين، ووعي خيانة الكهنوت للنبي، وانه دين ضد الظلم وليس دين الفاتحين. فالزنج امنوا بالاسلام لانه عقيدة ثائرهم محمد بن علي(صاحب الزنج)، رغم انهم لم يؤمنوا قبله بالاسلام. وكانوا اكثر من يكرهونه لانه كان اسلاما اسس عبوديتهم. مع صاحب الزنج الاسلام يرفض عبوديتهم. وليس لان الهه اله حقيقي. انه امر وجودي محض. وكذا الامر مع جماعة حمدان بن قرمط وابي سعيد الجنابي وعبدالله بن ميمون. فكل هولاء دعاة اسلاميين وليس مانويين او مزدكيين او يهود، وايضا من زاوية اخرى مع عين الحلاج، ومع الحسين، و زيد بن علي، وابي السرايا، وغيرهم ممن حارب المسلمين عينهم. فهولاء كانوا مسلمين ضد الاسلام.. اي ان سبب تبني الاسلام منهم هو ان الذي خرج على المسلمين كان مسلما.

سبب اخر، وهو انه القدر اذا اراد شيئا كان ما يريده. خاصة اذا كان قدرا مرتبطا باشخاص يوتوبيين مثل عيسى ومحمد وابو ذر، ومرتبطا بقيمة جمالية كبرى ومثالية انساونية كما هي مثالية الاسلام الحقيقي. حينها لابد ان يرسخ الامر، مهما وقفت ضده الدنيا بكاملها. اي بخلاصة؛ ان للحقيقة الكبرى قدر يفرض نفسه على الوجود، لابد ان يشعلها من جديد، مهما حجبتها القرون والسيوف والمعابد..

---

[122] نفس المصدر.

سرقة الدرب

(.. يكتبون الكتاب بايديهم، ثم يقولون هذا من عند الله..)

.. الله يتحدث عن الكهنة

(طالما ان دينك مجرد خدعة، فنم..)

.. الرومي

1

حقيقة جد مهمة، وهي ان النبي هو من جعل الناس يؤمنون بالله، وليس الله من جعل الناس يؤمنون بالنبي. النبي في شخصيته المثالية و نقاء قيمه ونبالته وصدقه ونوع وجوده الجمالي والانسانوي كان يجعل الناس يقبلون بهذا الاله. ولهذا جاءه بلال وأمثال

بلال.. فالله كان معروفا قبل النبي ويعين اسمه، ولكن لم يطلبه احد. طلبوه حينما قال به محمد فحسب. وهذه أهم بديهية تؤكد هذه الرؤية.

.. فلا فضل لكتاب من الله على النبي في تصديقه. بل صدّق الناس الكتاب لان هذا النبي قال به. وعن هذا اسلفنا في الجمهورية الاولى؛ ليست غاية الله في كتابه ايصال النبي، وانما غاية الله في نبيه ايصال الكتاب. لذا لم يرسله قبل محمد، او مع غيره.. بل غايته ايضا؛ ايصال نفسه بالنبي. إذ لو لا ان محمدا كان لايشك احد- حتى اعدائه- بصدقه ونبالته لما صدّق احد القرآن. بينما الكهنوت يقول، بأن القرآن كان معجزا فصدّق الناس النبي. أبدا لولا ان محمدا هو محمد لما قبل الناس الله اصلا. فالناس اتت لله بالنبي ولم تاتِ للنبي بالله.. واقطع ان الكثيرين ممن تبعوا محمدا، كان لايهمهم مفهوم الاله او الماوراءيات اصلا.. إتّباعهم له كان إتّباع مبدأي وليس ديني عبادي لاهوتي[123].

2

الحمقى وحدهم من يؤمنون بالنبي عن طريق المعجزات الخارقة. ومعجزة النبي الحقيقية هي ذاته وليس كتابه. معجزة النبي هي تلك النبالة المثالية التي بين جنبيه، وليس الكتاب الذي بين يديه. ولهذه النبالة فحسب، امن الناس به، وليس لانه يملك كتابا..

[123] هذا السبب ابرز ماتوضح وجوديته وواقعيته مااشرنا اليه سلفا من حوارية هرقل مع ابي سفيان عن نبوة النبي في بصرى الشام.

نعم بعد ذلك امنوا بالهه وكتابه[124]. أي إن الناس امنوا بالله ايمانا بالنبي وحياته الانسانوية. وبلال آمن بالله ايمانا بالنبي وكذا أبي ذر وغيره.

وجودية هذا الاس هو عينه ما تنحو اليه صيغة (ان الله ممنون كثيرا لباخ). فالله ممتن كثيرا لغاندي ولصاحب الزنج وفي نفس الحين لابي ذر ولمزدك. ليس لان البشرية احبت الله بهم، وانما لانها بهم احبت القيم الانسانية والجمالية الممثلة (لالوهيته)، ومنحوا ثقة بخلق الله والانسان ووجوده، ولانهم اظهروا شكلا من الوجود لم يقدر عليه غيرهم. كما فعل باخ في موسيقاه واثرها على الروح الانسانية.

هولاء لايملكون معاجز او كتبا حتى يتبعهم الناس ويصدق انهم الهيين..كانت تكفي نبالتهم الخارقة للمالوف في تصديقهم. ومحمد لم ينتمي اليه ابو ذر وبلال، لان بيده (كتاب من ربه)، يثبت عقلا انه رسول، لانهم ليس فلاسفة ولا بلاغيين ولاشعراء، وانما لان بيده (رحاب من قلبه) يثبت انه نبيل. بل لم يكن يهمهم انه (نبي)، ماكان يهمهم هو انه (نقي). لذا الذين عرفوا محمدا كان اصحاب القلوب وليس اصحاب العقول[125]. ولهذا نصرُ ان الدين كيان قلب وليس كيان معرفة.

---

[124] قريبا من هذا الاطار كان روسو يقول؛ تخلص من المعجزات وسيقع العالم اجمع تحت قدمي يسوع. إشارة الى طرح البعد الانسانوي لعيسى دون الاعجاز الكهنوتي.. وانكارا لهذا المنطق الاخير كحجة وحيدة في اثبات الهية النبي.

[125] حواريي النبي لم يكونوا على شاكلة ابن سينا والفارابي، وانما اميين من قبيل ابي ذر وبلال.

اعتقد ان كلمة النبي عن تبجيل الذي سيؤمنون به اخر الزمان بصيغة(آمنوا بسواد على بياض) تقع ايضا في هذا المجال، لانهم لم يروا معاجزا.

النبي لايحتاج توقيعا من الله بانه نبي. هو نبي سواء بمعجزة او بدونها، بجبريل او بدونه. لان اليوتوبية الانسانوية_ التي تتحرك بها ذات النبي _ غير المألوفة وغير المتوفرة مع البشر عادة، تجعله شخصا معجزا وغريبا لدى الناس. ولكن معجزة ذات لا سماء، معجزة اخلاقية لا كونية. اي ان قدر انسانويته تلبغ حد الاعجاز؛ عجز الناس عن الوصول اليها عادة في تاريخ البشرية، سيما ان اليوتوبيا هي اصلا عبارة عن حلم اخلاقي انسانوي في عالم لئيم. واليوتوبي هو الفرد الذي تعجز البشرية عن تصور قدر المثل التي يقوم بها. تماما كما هو الاطار السيكولوجي لكلمة اينشتاين ؛ (سيأتي زمن لن يصدق الناس انه عاش في هذه الارض شخص اسمه غاندي، قام بأمور كهذه..)

3

ماأريد ان اصل اليه هنا، و أوصل له. هو ان هكذا انسان امنت البشرية بالله لاجل مثاليته وانسانويته لايجوز بكل بداهة قبول خبر عنه، يقول فيه شرا. واعتقد ان هذا المنهج يمكن ان يكفي في نفي كل مرجعية تشريعية للشر ينسبها الفقه الكهنوتي للنبي.

هذا عينه مايقوم عليه الفقه الوجودي وعموما منهجية البحث عن الجمهورية النبوية، إذ لا يلاقي الفقه الوجودي مشكلة في غربلة النصوص المدسوسة، كما هي ورطة عموم المعرفة الكهنوتية، لان صحة الخبر في الفقه الوجودي يقوم على (القيمة الوجودية للخبر وليس القيمة التوثيقية له)، ولا القيمة النصية اللغوية. فعلى غير الفقه التقليدي، لا يقيس الفقه الوجودي صحة الحديث تبعا لـ(سنده) وانما تبعا لـ(انسانيته) – انسانيته المتاحة فهما من الجميع، طالما ان القلب اعدل قسمة بين الناس وليس العقل– وكذلك

قياسا على كليات النبي في نمط حياته ونبالتها ومبادئها ولو قبل نبوته. فمن غير المعقول ان الله جعل النبي يقبل سوءا بعد النبوة. طالما ان التشريعات كانت بعد النبوة. إذ قبل النبوة لم يكن محمد يقبل سوءا..هذا مايتفق عليه هرقل وابو سفيان، قبل ان يتفق عليه ابو ذر وبلال..

هذا المنحى هو مايمكن به الحصول على فهم آخر لمأثور معروف؛ (إذا ورد إليكم حديث فاعرضوه على سائر أحكامنا، فإن وجدتم موافقا لها فاقبلوا، وإلا فلا .)، وفهم حدود التحريف به، والاقتناع بان اصله كان يشير الى قياس كلماينسب للنبي والاسلام على كلياتهم الانسانوية الاساس.. كما ان هذا المنهج هو روح ماتقوله كلمة النبي المؤكدة صدقة لمنهجي؛ (ماقيل من قول حسن فانا قلته.). كلمة فرحت بها كثيرا حينما وجدتها، ليس لانها تؤكد ماذهبنا اليه منهجيا. وانما تؤكد هذا الاصل الانساوني في النبوي. واعتقد ان شيئا من هذا المنهج وروحه هو الذي جعل ابا حنيفة لايقبل الا سبعة عشر حديثا فقط عن النبي في روايات الكهنوت.

الفقه الوجودي يبدا من الوجود وبديهياته الى النص واشكالياته لتحكمه وليس العكس، سواء في وثاقته او في دلالته. ليس فقط من جهة ان انماط الوجود ملهمة لاشكال التفكير. كما راى نيتشه. أو ان فهم الشريعة لايتم منعزلا عن الوجود. وانما لان الوجود هو الذي يحمل بديهات القلب في الجميل والقبيح والصحيح والخطا والحق والباطل، بشيء من نظرية الحسن والقبح الذاتيين[126]. لذا فالفقه الوجودي يتأسس على ديانة القلب. وفيه فروع الدين تتبع اصول الدين. ومشكلة فروع الدين وفقهه هو انها بعيدة عن اصوله. ولكن مايهم التنبيه عليه هنا هو ان اصول الدين هي المبادئ الاخلاقية

---

[126] لاأسميها الحسن والقبح العقليين كما المعتزلة لان القلب يستقل برؤية الذاتيات حسنا وقبحا وليس العقل. وهو مايتزامن مع ديانة القلب.

العامة التي تتفق عليها البشرية في الخير لاغير، وليس خماسية علم الكلام. اي انها مبادئ انسانوية وليس لاهوتية.. تتعلق بالانسان في حياته وليس بالله في كونه.

4

تبعا لذلك في قياس الاحاديث على كليات النبي وشخصيته الحياتية.. اعتقد ان النبي الذي يقول؛ (ماآمن بي من نام شبعانا وجاره جائع)، يملك من المثالية في ايديولوجية الايمان، ما لايمكن ان يقبل تشريد الناس وقتلهم وسبيهم واستعبادهم وامتصاص خيراتهم[127].. فلايعد مسلما هنا لدى النبي من يقبل بجوع الاخر، حتى وان صلى وصام وحج، فكيف سيكون لديه من يقبل او يقوم بقتل الاخر واستعباد اولاده والتسري بزوجته؟.

لامناص هنا امام الكهنوت؛ اما ان يكذبوا هم انفسهم، او ان يكذبوا النبي.. اعتقد انهم لايعبأون.

الايمان هنا في نص النبي(ماآمن بي)، هو بكل وضوح امر وجودي حياتي في نوع التعامل مع الانسان وليس مع الله.. كما يتوضح هنا ان (الايمان) في جمهورية النبي هو مبادئ اخلاقية وقيمية انسانوية وليس عبادية..

هل الاسلام الذي يعرفه النبي ؛(افضل الاسلام هو نشر السلام بين من عرفت ومن لم تعرف) وان من أسسه؛ (لن يدخل الجنة من احدث ضررا لغيره). هو عينه اسلام كهنوت السبي والقتل والغنيمة والاستعباد والجواري.

ليس لدى النبي هنا؛ لايدخل الجنة من لايصلي او يصوم او يجاهد او يحج او من يشرب الخمر او نزع الحجاب، وانما من يؤذي الاخر فحسب. هذي هي وجودية الرسالة

---

[127] وهو الامر الذي آل الى جوع العالم الاسلامي طوال كل القرون. وليس كما هي الكذبة الشائعة للتاريخ في ان القرون الاسلامية كانت مترفة. لانه ترف مع الحكام والارستقراطيين فحسب. اما الجماهير فكانت على جوع مطلق وكل التواريخ تتفق برواية ذلك ولكنه الكهنوت لايقوله.

المحمدية وهي عينها العيسوية ومع كل المثاليين، بل بهذا الاتجاه وهذي النتيجة يمكن ان نفهم توحد الاديان، طالما اننا لانقيم الدين على الفروع والعباديات والقطوس وانما الاخلاقيات والانسانويات فحسب.

كان ابن عربي يقول؛ (من كمال الرجل أن يحسن إلى أعدائه).. بلا شك كان النبي يحمل مثالية ونبالة ابعد من ابن عربي بكثير. فكيف يُشرع الكهنوت عن النبي انه يقول بالسبي والقتل لاناس امنين في ديارهم لم يتعدوا على المسلمين ويعيدين عنهم اصلا. بينما ينكر ابن عربي الاساءة حتى للاعداء. إذ بلازم ذلك سيجعلون من ابن عربي افضل من نبيه، وهو مالا يمكن ان يقوله الكهنوت. علما ان ابن عربي عينه يقبل فقهيا حكم الفتوحات واستعبادها وقتلها رغم انه يقول بتلك الكلية الاخلاقية مع الاعداء. وهذا الامر ايضا من فضائح البنية الكهنوتية مع عين الاخلاقيين الاسلاميين.

كل الاتجاه الانسانوي اسلاميا وبالذات المتصوفة وعموم اليسار الاسلامي كانوا يرون عدم الاساءة للعدو من اسس الهوية الايمانية. اقلها ان المحدد المدرسي الاول معرفيا للهوية الاسلامية جعفر الصادق قبل ان يُدس عليه الكثير - سيما من تابعيه والمدعين مذهبه- كان يقول؛ (من صفات المؤمن انه لايظلم اعداءه). والنبي جده ومدرسته ابا عن جد. اعتقد انها صفة تنتسب الى المثاليات التاريخية في الحرب، بينما يبارك الكهنوت تاريخ جحافل المسلمين التي سلبت ونهبت شعوب آمنة. بل يعتبرون ذلك تفضلا، لانهم يجرون الناس الى الجنة بالسلاسل، حسب الحديث المدسوس.. ما اتعسها من جنة تاتي بالاستعباد.

النبي، حتى وان تركنا انه "للناس كافة" قرآنيا، فهو بكل الاحوال ليس بطلا قوميا، بل حتى ليس بطلا الهيا، يدافع عن إله، وانما بطلا انسانيا يدافع عن القيم الانسانوية سواء اتى الله وجبريل له ام لم يأتوا، هو هو محمد. وانسانيته هي انه ضد الظلم وحسب ؟ فبلال لم يكن من قوميته ولا من عشيرته ولا من بشرته، وكان يحارب كل عشيرته قريش لاجل قيمه في الاسود والابيض. لذا فالنبي لايفرق بين القوقازي والمصري ولابين قبيلة جنكيز خان وبين قبيلة بني تميم. والا لن يكون نبيا. بينما الكهنوت جعلوه بطلا قوميا مع الفتوحات. والقوم هنا هم المسلمون وليس العرب. بعد ان غدت القومية مفهوم جماعة وتاريخ، وليس لغة وارض.

من غرائب الكهنوت هو أنه حينما يمرعلى كلمة النبي؛ (بُعِثْتُ الى الاحمر والاسود) يكون تفسيره لها بكل بساطة، ان كلمة احمر تشير الى الناس، والاسود الى الجن.. ليبين فضيحة المعرفة الدينية وسذاجتها، وأيضا لاشعورها الطبقي هنا. ورغم انه تفسير مضحك لاعتماده على مخيال العربي في ان الجني اسود، دون وعيه ان باقي الشعوب تراه احيانا اشقر. ولكن مايهم تحريفا هو ان ما أرادوه من هذا التعسف المخزي في تأويل الحديث هو ترسيخ الحق المطلق للاسلام على الكل على عكس غاية الحديث تماما، لانه يريد ان الاسلام جاء من اجل الكل لايفرق ولايميز بين احد وآخر، وان مسؤليته الجميع. فالمفروض ان الحديث يتكلم بوضوح عن اممية النبي ومجيئه لاجل سعادة الكل، دون ميله لعرق او لون.. هكذا كان الكهنوت يسرق مبادئ النبي ويلعب بها ويضيعها ويهدرها في مواخير المصلحة بأسم المعرفة.

النبي الذي قاعدته الاخلاقية (أذل الناس من اهان الناس). يجعله الكهنوت مؤسسا في شرعه لاقصى الهوان مع الاستعباد والسبي وهتك الاعراض وذلة الازواج امام الزوجات،

وهم مستعبدون ليس بيدهم حول او قوة. بينما يروي عين تاريخهم بان رجل مسلم يقال له عثكن حينما نعت عمار ابن ياسر بابن السوداء، طرده النبي من عين الاسلام، وقال حينها كلمته الكبيرة دلاليا؛ (قد أقلتك اسلامك فاذهب[128]..) فكلمة (أقلتك) هنا تفتح وجهة وجودية للاسلام والانتماء له، جد مفارقة لما هو مألوف. فالنبي لايستطيع ان يقيل احد من ايمانه وعلاقته مع الله، انه شيء ذاتي جواني داخلي. ولكنه يستطيع ان يقيل احد من جماعته. لان الايمان ليس رتبة عسكرية يلغيها وزير مقرب لملك. لذا فالاسلام جماعة، اما الايمان فشيء اخر. إذن يمكن ان يكون بوذيا مؤمناً ببوذا ويلتزم بجماعة محمد والاسلام اكثر من عين المؤمنين بالله واحد احدا. والكلام يتيه في ذلك، لذا نتوقف افضل.

6

لا يمثل الايديولوجيات سيما الدينية والاخلاقية الا الكليات (المبادئ الاس) فيها، كيقين وحيد لهويتها الاصل إزاء الجزئيات التي تبقى لعبة معرفية لتمرير الكثير من صلاة الكهنوت المتوضئة بخطاياه التاريخية.

الكلية المعرفية لايمكن نفيها أو نسخها كما هو يدين الكهنوت معها في معارفهم اغلب الاحيان، لانها لاتنسخ الا بنسخ الايديولوجيا كلها. اما ان نقتنع بها او لا. إذ لا تبقى الايديولوجيا هي عينها بعد نسخ كلياتها.

---

[128] صحيح مسلم ج1، ص 481. السيرة الحلبية،ج 2، ص 312 .

من جهة اخرى، لا قطع هنالك الا للكلية الوجودية، لانها تكاد تبلغ مرقى البديهية، ليس لانها متصلة بالتجربة الحياتية والشعورية، على عكس الكلية التجريدية في انها نظرية فحسب. وانما لانها شفافة واضحة لاتحتاج الى معرفة؛ فقتل الناس الامنة شر بديهيا، حتى لو قال جبريل بعكسه، فحينها يكون جبريل عينه متهما، قد يكون حينها وقع بما وقع به ملكا بابل. حينما لم يرجعوا الى السماء. سحرتهم فاتنة او جندهم حمورابي لانعرف. انها أوارق كهنوتية.

كل هذا لان الانسانويات بديهيات لاتجتاحها المعرفة، سلبا او ايجابا. يجتاحها القلب فحسب، لانها معرفة وجدانية. لذا يتساوى فيها العجوز وافلاطون، ولطالما تكون العجوز اولى من افلاطون فيها، سيما إذا أدخلنا مشكلة ان العلم حجاب. فهذه الكليات يشعر بها الجمهور مطلقا كقيم ذاتية متفق عليها اتفاق ضمائري، يدركها سائس الحمار ومؤسس الاقمار على حد سواء.

مثلا، الكلية التي تحملها اية(ان الله لايحب الفساد). حتما تمثل منطقا لطرف اخلاقي. بوضوح كلمة فساد بدهيا- لذا فقبولها يكون لذلك وليس لانها قرآن أو لان الطرف هو الله- وان هذا الطرف الذي قالها لايقبل سلب امرأة لجسدها واستعباد اولادها وقتل زوجها، لانه فساد لايضاهيه فساد. لذا بالتاكيد هذه الكلية عينها تكفي للقطع بنفي نسب الفتوحات لله كونها من اكبر عمليات الفساد تاريخيا. الا اذا غدا القتل بطولة وليس فسادا فحينها يمكن للكلية ان تعتذر من المعرفة.

وهكذا فالكليات النصية لا ياخذها الفقه الوجودي كنص كهنوتي ديني، اي نص متعبد به، كما هو المعتاد من قبل الكهنوت عموما، وانما كنص وجودي محايد، ومبادئ

انسانوية عامة فيها حقها وباطلها، وليس دينية تعبدية تؤخذ طاعة للدين او تواضعا للعلم الكهنوتي.

7

اعتقد ان ايديولوجية النبي لايُعبّر عن ألمها مسبقا مع هذي الفتوحات إلا آية :(انا بريء مما تجرمون). سيما ان هذه الاية هي كلمة خطاب لرفاق ايديلوجيا وليس لاعداء. لان الاعداء لايحتاج الى البراءة منهم اصلا. فإذن هذه الاية تعبر عن اشكالية خيانة آيديولوجيا، لذا فهي تصلح للكهنوت. كما انها تحمل قسوة تعبير؛ (تجرمون).

الكلية الاولى والاساس التي تفصل في كل كتبة الكهنوت مع تشريع الفتوحات، هو كلية النبي الحاكمة على كل الايديولوجيا الاسلامية والتشريع الاسلامي على حد سواء والمتمثلة بقاعدة تحريم الضرر (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام). قاعدة تمثل الروح الاولى للايديولوجيا الاسلامية الحاكمة على قيمة الفعل الانساني. لذا فهي تمثل روح الوجودية الدينية معنا. والتي تعني بكل بساطة؛ ان كل تشريع ضرري على الانسان هو لاينتمي الى الاسلام، لامن قريب او بعيد. وبما انه لا جدال في انه ما من محنه توازي في ضررها احتلال الشعوب واستعبادها، وقتل الناس وسبيهم في الفتوحات. حينها يكفي وحدها للامر، لانها كلية ايديولوجية لاتقف امامها منهجيا كل التاريخيات. باعتبار ان التاريخي يوازي الشك مطلقا.

رغم ذلك الاكتفاء، يمكن البدء براحة بالكلية القرآنية للنبي (وماأرسلناك الا رحمة للعالمين) كونها كلية عرفية لا فلسفية، الكل يعيها، كما انها ايضا تمثل الكل الرسالي.. اعتقد ان كل ماحصل في غزو الفتوحات لايختلف على وصفيته اثنان في انه نقمة

لارحمة. فمثلا ان إمراة مسيحية او يونية تعيش هانئة البال مع عيالها واهلها وجيرتها وقريتها، يُقتل زوجها وتفرق عن اطفالها وبيتها وديارها، ليكبر الاطفال مستعبدين في بيت جندي مسلم ولتجبر هي على متعة اجسادهم. أهذه رحمة زفها الله لها؟. بحجة انها تتعبد بدين اهلها وليس بدين الاسلام.. هل الله يقتل من لايعبده. لا اظن احدا يريد ربا هكذا حاله.. بل حتى ان كانت تلك المرأة ساقطة وملحدة، هل تستحق ذلك عقلانيا، ناهيك عنه اخلاقيا.

لامجال مع هذه الكلية، واحدة من ثلاث ؛ اما ان يُنكر انها اية للنبي او ان النبي يسير خلاف الله، أو ان يعترف الكهنوت ان السبي والغنائم والقتل والاستعباد والجواري والعبيد وكل الفتوحات لاتمت بصله الى التشريع النبوي... او لنقل لامجال؛ اما ان الله يكذب او الاسلامويين، لانهما على تعارض تام. كما لا اظن ان محمدا صاحب القرآن وحمولته يقبل ان تكون تلك الفتوحات ممثلة لآيته تلك. بل حتى وان كان فيلسوفا وليس نبيا فهي تناقض ايديولوجي. فكيف والنبوة هي منطقة مبادئ لا معرفة. إذ يمكن ان يخطئ افلاطون من اجل اثينا، ولكن لايمكن ان يخطئ محمدا من اجل مكة[129]. فمكة وسمرقند سواء لدى النبي في جمهوريته.

---

[129] جمهورية افلاطون كُتبت اصلا من أجل اثينا وتقليدا لاسبارطة، حرة على وطنه ضد الاوطان الاخرى. فهو يؤسس للاستعباد ولكن حينما يصل الامر الى اليونان، يندد باستعباد اليونان لليونان. هذا المنطق نفسه كان لدى المسلمين، وبدأ حينما جلب احدهم سبيا من العرب، فاعترض احدهم ورد هذ السبي وقال كلمته؛ اني كرهت ان يصير السبي سنة على العرب..

الهوية الايمانية تتعدى الى ماهو ابعد مثالية في ايديولوجيتها من الرحمة، بحيث يكون الفرد فيها مسؤولا عن انقاذ المظلومين من الطغاة، الى حد يكون على المؤمن الموت لاجل المظلوم وسعادته وحريته، وليس قتله وسلب ارضه، والترفه بماله كما هو في غزو الفتوحات. كلية ذلك المبدأ المثالي هي (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الذي يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها...). بينما ماحلله الفقهاء هو عكس ذلك تماما. اخراج المستضعفين من الشيوخ والنساء والاطفال من ديارهم وقتل رعاتهم باسم الله ودينه ونبيه.

هولاء المطلوب الموت لاجلهم في الآية هم مستضعفين، يعانون من امر وجودي هو الظلم وحسب، ولايعانون من مشكل لاهوتي في خطأ دينهم. لذا اي تبرير كهنوتي في تصحيح دين هولاء هو حكم مسبق سفيه يمنعه مبدأ قرآن الكهنوت نفسه في انكار تديين الناس جبرا؛ (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين). وهي كلية عتاب قاس لايمكن تجاوز وضوحها. والمعرفة التي تأول هكذا كلية، انما معرفة تسخر من اللغة ومن المعرفة ومن مفهوم الكلية.

9

ثلاث نصوص كلية قرآنيا، تضع اسسا في تحديد العلاقة مع المجتمعات المختلفة ايديولوجيا، دينيا.. نصوص لا تعتمد في فعل العلاقة الا على منحى وجودي في انسانويات السلم والاعتداء لاغير، بعيدا عن مفهوم الدعوة والاله ونوع الدين والهداية والضلال، اولها؛(... فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)، فليس لكم عليهم حق طالما انهم مسالمين لامسلمين، مهما كان دينهم، او حتى ان كانوا وثنيين.. واختها(وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ

لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ}، لايجوز اطلاقا قتال الا من يقاتلك/ يبدأك بقتال. وعلى هذا يقوم مفهوم الجهاد الحقيقي لجمهورية النبي، وليس الذهاب الى اناس آمنة في بيوتها لم تتعد على احد، كما هو فعل الفتوحات وكهنوتها.. والثالثة({لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}). حتى وإن لم يحسن اليك، طالما انه لم يؤذك، يكون الاحسان اليه قيمة اخلاقية للهوية الاسلامية. بينما لننظر الى بنية التفاسير الكهنوتية وبنيتها مع الدلالة القرانية المسالمة وتشويهها لاجل التوحش. مثلا حينما يأتون الى آية؛ (وقولوا للناس حسنا). يقولون انها (نزلت في أهل الذمة فنسخها قوله: " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ". فمن كان منهم في دار الاسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية او القتل وذراريهم سبي)[130]. هكذا يلعب الفقه بالنبي والقرآن ومبادئهما بكل عهر رغم كل الوضوح. فبأي شيء يمكن ان يوثق بهكذا معرفة دينية.

مايهم اكثر هو آلاية الوجودية؛ {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. حيث العلة الاولى في الاذن بالقتال، هو (اخراج الناس من ديارهم). والكهنوت عينه يؤكد ذلك بان هذه الاية مبرر وعلة نزول اية (أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا).. هنا يخطو النص القرآني بوضوح مع وجوديته. حيث كل الالم القرآني والمبرر الوحيد في حق القتال هو الاخراج من الديار بغير حق. بل ان الاخراج لاجل العقيدة هو

---

[130] تفسير القمي علي ابن ابراهيم القمي ج1 ، 321.

العتاب الاكبر؛(الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله). إذ أُعتبر هنا اخراج الناس لسبب لاهوتي هو الاسخف دناءة. والغريب هو ان خطئية ذلك واضح دينيا لعقولهم، حتى وان لم تتضح انسانيا لقلوبهم. بينما المسلمون ليس اخرجوا الناس من ديارهم فحسب، وانما قتلوا وسبوا ويتموا ورملوا. ويمبرر ان الاخر يقول بدين اخر.. آه من احجار المعبد لكم كانت كافرة..

10

(ولاتقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا..) تهمني هذه الاية كثيرا هنا. لانها تملك عدة مستويات، لا تأويلات. والفارق بينهما هو ان المستويات من الدلالة تنتمي كلها للنص، وليس واحدة منها فقط، كما هو شأن التاويل، في ان واحدا فقط من مجموع التأويلات يصح دون غيره. احيانا تكون المستويات جهات في النص، واحيانا تكون اعماق. واحيانا لايضبطها شيء، لان اللغة وجودية وليس اعتباطية كما ليس وضعية قصدية[131].

ماهو متوفر في تفسيرها كهنوتيا، هو انها تعني وجوب الاخذ بالظاهر دون الحكم ماوراء ذلك، بمنطق كلمة النبي؛ (هل شققت عن قلبه)، مع حادثة تتعلق بالاية نفسها. وبالتأكيد يبقى الخلف يتبع السلف بهذا التفسير، الذي ينسى كثيرا ما يخجله.

اما وجوديا مع المستويات، والتي لم يقل بها المفسر التقليدي، فهي؛

---

١٣١ الكلام في ذلك أُسلف في اول الجمهورية.

المستوى الاول والعادي والواضح للنص كمقولة عتاب، هو ان لايتخذ الايمان ونوع الدين حجة في التعدي على الاخر وايذائه. ولكن الخفي مع هذا المستوى وغير العادي، هو تقرير (ان السلام اكبر من الايمان). السلام وليس الاسلام. وهو اهم مايمكن ان نقرره هنا، سيما ان اهميته تبرز في انه عين الاس المركزي الذي تقرره المذاهب البوذية المسمى(اهيستما) في عدم الايذاء للانسان. لا بل هو الموازي الكامل لمبدأ (لاضرر ولاضرار) اسلاميا، كمركز للتشريع الاسلامي، بالنفي المطلق لاي حكم يكون فيه ضرر يلوح الفرد، أيا كان الفرد، كافرا او مؤمنا.

المستوى الثاني من النص، ينضح عنه تقرير(ان الانسان المسالم مؤمن)، مهما كبر الحاده ونفيه لما وراء السماء. ومبدأ السلم في داخله هو الايمان عينه، لان مايهم في الايمان ونوعه هو الايمان بالمبدأ وليس بالذات الالهية. وهو المستوى الاكثر وجودية من كل المستويات والاكثر قناعة لدينا في دلالة النص. لذا المخاطبون في اية(قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا)، كان قد نُفي ايمانهم قرآنيا ليس لجهة عقيدية، في عدم صدق الاقتناع بالاله، كما هو في التفاسير، وانما لجهة وجودية حياتية شخصية في اخلاقهم، اي لانهم لايحملون سلوكا انسانويا. وهذا عينه يؤكد نكتة سالفة كانت اكثر من مهمة. وهي ان الدخول للاسلام كان دخولا للجماعة وليس للدين. والمسلمين ليس هم المؤمنين. انهم جماعة فحسب. واعتقد ان الامر واضح في اني اقصد انهم ليس جماعة عقيدة. وهذا اهم مايراد هنا.

المستوى الثالث الناضح عن النص؛ لاوجود للدعوة الايمانية للناس، وانما هي دعوة السلام والحب. وهو ماينفي فكرة الداعية والدعوة.

سرقة الدم

(اجل شرّدني انا كما شرّدت إلهي..)

.. طاغور

(لم اغدُ بالشهادتين مسلما..)

.. الرومي

1

الم يكن الكاهن مشكلة الدين؟. الم يكن الدين مشكلة الانسان؟. اقلها، مانضمنه هو ان المعبد مشكلة التاريخ.. اراد التاريخ ان يمشي الانسان بعشقه، فخدعه الكهنوت بمشي المعبد. ومنذ اليوم الذي ترك الانسان العشق لاجل المعبد، اصبح قاتلا، وليس مصليا.. وفي عقيدتي انه لم يُصلِّ احد من المصلين قط، الا من حمل قلبا استطاع ان يسمع به آلام الناس اكثر من آلامه. وفرح بسعادة الاخرين اكثر من نفسه.

لذا جل مشكلة التاريخ هي الداعية، الكاهن، الفقيه. وهو عينه ماجعلني اقول سلفا برمزية؛ ليس المشكلة ان تكون حمارا، المشكلة هو ان تكون نبيا داعيتك حمار.

فهل ياتي الله الى الناس، بطريقة؛ اما ان يؤمنوا به او القتل. كما هو فعل الدعاة.. كيف قبل العقل الاسلامي هذا المنحى لله. اعتقد ان هذا الامر لايحتاج الى نبي وانما الى سفاح. فلماذا ورط به محمد اذن، وهو شخص اخلاقي. فليُكلف به ابا سفيان لانه سيكون اكثر نجاحا فيه من محمد. بل لذلك نجحت الفتوحات لان كهنوت ابي سفيان قام بها. بل اقطع لو كان الامر كذلك، لرفض محمد النبوة نفسها.

2

اعتقد ان كلمة البيركامو؛ (أما أن تقام معسكرات العبيد تحت راية الحرية، وان تبرر المجازر باسم الانسان او بالميل الى انسانية متفوقة فهذا لعمري مايعيي..). هي الوحيدة التي الزم الصمت معها اتجاه الكهنوت في تشريعه للاستعباد والسبي والقتل باسم الهداية وانسانية جديدة. لانه امر يعييني فعلا. هذا هو اسلام الدعاة في عمق فضيحته الاولى؛ يقتل ويستعبد ويسبي بعنوان الرقي والاتجاه بالانسان الى أصله الالهي. بل خطأهم ليس لانهم بغاة لا دعاة، وان عين مفهوم الداعية هي كذبة دينية، تاسست عن لاشعورية سياسية/ كونه فردا سياسيا وليس اخلاقيا. وانما لان عين الدعوة لله نفسه عباديا مهما كانت نقية وصادقة فهي بذاتها خطأ، لانه حينها هو ايضا يدعو لله كحاكم بيده النار وعقابها، وليس كرمز للخير والحق والجمل. يدعو اليه كعبودية سلطان جلاد بنار، وليس كقيم اخلاقية ومثاليات انسانوية.. بل مهما كان بعض الدعاة زاهدين فهم بكل الاحوال سماسرة لإله، يدعون لسلطته. بينما كان الله يريدهم للناس. و هكذا خُنق المعبد وجرح التاريخ.. وسُرق الله.

هذا المنحى مع الدعاة، يجعلني اضمن ان عيسى فعلا قد قال هذه الكلمة؛ (اذا هديت شخصا زبي على دين اخر، فانك تفسد اخلاقه). لانها فعلا تنفي مفهوم الداعية المعبدي من اصل، بتحويل الانسان من معبد الى معبد. فهم هنا، سماسرة الهة وليس دعاة انسانية. لذا عيسى لم يقبل من تابعيه ان يتحولوا من اليهودية الى منحى اخر، كما يؤكد باحثي تاريخه. فقط اراد من قلوبهم ان تحمل قيما اخرى غير ماانتهت اليها معابد موسى.

علما ان الفتوحات في عين تعريفها اللغوي؛(حروب تبشيرية) يكفي في فضح حقيقتها وانكارها- دون الحاجة لجدل نظري- لاستحالة اجتماع الحرب كشر بالتبشير كمنحى ديني اخلاقي. أي لان لغتها في ذاتها تفرض خطاها. وهو عين الامر في استخدام مفردة جهاد للتبشير. فكلمة جهاد- ناهيك عن كلمة غزو- عينها لاتمت بصلة دلاليا مع كلمة تبشير الا في التضاد. لانها تخص رد معتدي على ديار وحق، وليس الذهاب الى اناس امنة مسالمة. بل ان كيرجارد حينما كان يدن؛ (انها وسيلة رديئة تلك التي نقود بها الناس الى الدين المسيحي.). كان انينه على المنحى الوعضي الزائف في الكنيسة لعين المسيحين، وماكان من تشوه له في ذلك. فكيف إذن بوسيلة المسلمين في التبشير مع غيرهم قتلا.

.. هنا تأتي حسرة الله؛(ويمنون عليك ان أسلموا..)..

3

فرق كبير بين ان تعترف بالله، وبين ان تؤمن به.وعمل الدعاة كان هو فرض الاعتراف بالله، وليس الايمان به. إذ كثير من الحكام المعاصرين يفرضون على معارضيهم

الاعتراف بهم رسميا. ويعترفون رغم انهم على الضد منهم، تماما كاعتراف غاليلوا على عكس عقيدته بمركزية الشمس مجبورا بنار الكنيسة. كذلك كان يعترف افراد الشعوب رسميا بالله مجبورين بسيوف الفاتحين، والا فالقتل او الجزية أوالعذابات والاسترقاق، طالما ان فقه الحروف يقول بدس على النبي؛ (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله، فمن قال ذلك فقد عصم مني ماله ونفسه.)[132]. اعتقد ان هذي البنية للمنطق الفقهي تكفي في الاعتقاد بانه ليس هنالك علما او عقلا اسلاميا اصلا. طالما انه يقتنع بهكذا منطق.

سأهمل كل منحى عقلي كعلم كلام، في تسفيه منطق الشهادتين. لان الامر بسيط، ولايروقني في ذلك الا بساطة سخرية الرومي، وبكل وجودية؛(لم اغدو بالشهادتين مؤمنا). فالعقيدة قلب مخمور بمبدأ، كما المخمور بالعشق. وليس كلمة يلوكها اللسان لتدونها السماء. فالسماء لاتدون الا القلوب..

أذكر عن إمرأة ليل جيدا، كانت لاتقبل ان تنطق كلمة احبك عبثا لمُتيّم بها، لانها ترى تلك الكلمة عقيدة، لاتقولها حتى تشعر بها. وحين سخر من كلامها احدهم لانها عاهرة، اجابته؛ (القلب ليس كالفرج في قبوله أيًا كان. القلب لايقبل الا مايشعر به. وانا عاهرة في فرجي وليس في قلبي..). علما ان الفقهاء في فقه الزواج جعلوا القلب كالفرج تماما يقبل كل شيء. فيقبلوا تزويج من لايقبل قلبها.

[132] هذا الاعتراف قائم على النطق بالشهادتين، كبوابة للانتماء الديني، الاديان الاخرى افضل طقوسيا في ذلك، كما هو شان التعميد والختان في المسيحية واليهودية.

بعيدا عن كل ذلك في جدله الكلامي وعن اي وجودية انسانوية ومسالة القلب في تحسينه وتقبيحه. الا تفضح تاريخيا وكسنة – على اعتبار ان وجوديات علم الكلام لاتجدي كهنوتيا – قصة الوثيقة التي جمعت النبي وجماعته بيهود المدينة، وهي اكثر من مشهورة في التراث الكهنوتي. إذ حينها لم يجبر النبي اليهود على ترك دينهم ولم يحاربهم على ذلك، فكانت الوثيقة تنص بتوقيع النبي على انه(لليهود دينهم وللمسلمين دينهم)، ولم يطلب منهم ترك دينهم ولم يخيرهم بين الشهادتين او الموت، او الجزية.. بل ماهو اثقل في دلالته هو ان النبي يكتب في الوثيقة (ان يهود بني عوف امة من المؤمنين)، وكذا الامر مع يهود بني النجار وبني الحارث وبني الاوس.. وفي هذي الكلمة بعدا كبيرا. فهم لديه امة من المؤمنين وليس كفارا تعايش معهم لظرف ما. علما ان قوله هذا ليس له دخل باي بعد لاهوتي. وهو الامر الاهم مع الوثيقة لانها كانت بعيدة كل البعد عن المسائل اللاهوتية، لقيامها فقط على مفهوم الظلم والعدل المدني لذا كان استثناءه عن هذه العناوين منحصرا بامر وجودي متعلق بالاساءة وليس ببعد لاهوتي تعبدي، وهو؛ (الا من ظلم وأثم، فإنه لايوتغ الا نفسه واهل بيته). ولاشأن لملته وقومه بذلك. وهذا الامر – فيمن ظلم واثم – يشمل المسلمين وليس اليهود فقط.

لم يكن اليهود، لا اهل ذمة، ولاجزية، ولاغيرها. بل؛ (وان اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين). وهذي الفقرة ليس اهميتها ان الانفاق متساوي بين الجمع الذي يعيش على هذه الارض بعيدا عن العقيدة، ليس لان الانفاق أصالة على المسلمين، وعرضا على اليهود. وإنما لانه انفاق من اجل الجهاد ضد معتدي يحاربونه سوية. فان كان القتال والجهاد من اجل هداية الناس للاسلام وليس لرفع الظلم، فلايمكن ان يقول النبي ذاك النص، إذ لايُعقل من اليهود ان يحاربوا في صف المسلمين كي يصبح الاعداء مسلمين. إذن الكلام هنا عن معتدين غزاة فحسب.. اما كلمته فيها؛ (لليهود الذين يتبعونا). لاتعني الاتباع الديني بكل بداهة، وانما الموافقة على المبادئ الحياتية المدنية للجماعة وليس المبادئ العبادية.

5

مايمكن اختلاسه بأهم من سالفتها من اخفاءات التراث، لنفي هذا المنطق التصفي للفقه في حلية القتل والسبي والسلب والاستعباد لاجل الشهادتين، هو مايخفيه الكهنوت ويتجاوزه في موقف الامام علي ابن ابي طالب وقصته في الامر. رغم انه بالاتفاق، افقه الأمه معرفيا بالدين. او لنقل من باب دليل سيرة المتشرعة، إذا ما أخذ دليلا خامسا للاجتهاد، إذ ان ابرز سيرة متشرع بلا منازع هي سيرة علي ابن ابي طالب. سيما انه المركز الاساس المحدد لمفهوم المثل في الدين الاسلامي لدى حتى الطمائيين ومن الاديان الاخرى.

فمما يلفت بشدة هو ان هذا الانسان لم يشارك في فتح قط، منذ ان بدات. والمثال المباشر الذي تنقله كل التواريخ هامشيا، هو ان الخليفة وملاءه اختاروه للقادسية وقيادة جيشها، لقرارهم ان لايقود القادسية الا خبير حرب[133] كما هو الامام. ولكنه رفض رغم ترجي القوم له وعلى رأسهم الخليفة. الم يتسأل احد لما ذلك وهو علي الذي لم يعرف انه انكر حربا للدين اطلاقا، وان معارك النبي ومخاطره قامت بسيفه، بل ان الجماعة الاسلامية الاولى لولا سيفه لما بقيت اصلا، سيما في الخندق، ولسار فيها التاريخ بمنعطف آخر.

---

[133] مروج الذهب، ج2، ص309 . ايضا التاريخ ينقل انه حينما استشير الامام علي وبعض مقربيه في غزو افريقيا، ورفضوا. كان مبررهم؛ خوفا ان تقع افريقيا في ايادي تسيء الى الاسلام ليس الا. الفتوح لابن اعثم، ص 126..

كل التواريخ لم تسأل لما هذا الامتناع، الكل قفز عليه. كما قفزوا على علة ان كثيرا من الاتجاه اليساري الاسلامي كانوا لايقبلون حتى المرابطة بالثغور ولا حتى دفع المال لذلك[134]. جعفر الصادق وابو حنيفة يحملان هذا الموقف ايضا.[135] و ما ليس غريبا هو ان الشيعة تقول بعكس الصادق، والسنة أيضا يقولون في ذلك بخلاف ابي حنيفة. رغم ان معارضة ابي حنيفة للسلطة والكهنوت – وإعانته للثورات الداخلية وفتاواه فيها، وعموم فتاواه الخاصة دفاعا عن طبقة العبيد ضد السلطان والكهنوت – سببها هو ان الكهنوت وسلاطينه أحلّوا ذاك المنحى من القتل والسبي والسلب، وظلموا الناس وجوّعوهم، بمبرر الشهادتين. لذا فأبو حنيفة لم يكن كهنوتيا ولم يكن إتباعيا في المعرفة. عاش متمردا في الكهنوت ومعارفه، ومات متمردا على السلطان ودينه .

6

الله ايضا يتحسر على مايكتبه الكهنوت بإسم الدين..(ويل لهم مما كتبت ايديهم..).

---

[134] التهذيب ج6 ص134. زيد ابن علي وكثير من المتصوفة يرفضون ذلك بقرائن يطول هامشها، ناهيك عن احفاد النبي الحسن والحسين وآخرين، لم يقبلوا فتحا ولم يشاركوا قط. وماقيل عن مشاركتهم في فتح جرجان فهو مفند في كتب التحقيق على اتم وجه.

[135] ينقل التاريخ في زواياه التي اغفلت عن احد تلاميذ جعفر الصادق وهوعبد الملك بن عمر ان الصادق قال له: (مالي لااراك تخرج الى هذه المواضع التي يخرج اليها اهل بلادك.. فاجاب تلميذه؛ انتظارا لامركم والاقتداء بكم.) التهذيب ج6 ص134. اعتقد ان الجواب يشير بوضوح الى ان هذا التلميذ يقول للصادق لانك لاتقبل بذلك. بالتاكيد كان هنالك معرفة واضحة بالرأي الرافض من قبل تلاميذه سلفا.

.. افضل مايكذب به الكهنوت في تبريره شرعية الفتوحات كدعوة دينية هو ما تردده كتب الاسلامويون من دعوى؛ (ان المسلمون أرادوا من الفتوحات إزالة الطغاة وفتح الأبواب أمام الشعوب لترى نور الإسلام، وحين ازالة الظلم والطغاة يُتركوا أحراراً ولايُكرهوا على شي، بشرط ان يحافظوا على عهدهم مع المسلمين والذي كان يشمل في بنوده.

أ-أن يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

ب-أن لايكون لهم مكان في بعض الوظائف كالجيش.

ج-أن لايُكوّنوا جهة معادية للإسلام في شعائره أو عباداته أو شريعته.

د-إذا غير أحدهم دينه السابق، فلا يقبل منه إلا الإسلام.)[136].

هنا اقتنع ان الفلاسفة الحقيقيون يضحكون كثيرا، ولكن ليس لهوا، وانما من سخافات المعرفة. لانهم اكثر من يروها. إذ ماذا بقي من الطغيان وهذه البنود هي امه بمحالبها وعهرها وفضيحتها. اعتقد انها دعوى لاتستحي من نفسها، بوضعها قمة المثالية (ازالة الطغاة وترك الناس لحريتهم)- والتي مثاليتها في انها دعوى تحريرية لاتبشيرية، وجودية وليس لاهوتية- الى جنب بنود بربرية بامتياز، تكرر الطغيان الكسروي وتتفوق عليه.. تفرض اتاوات مالية على هذه الشعوب، وتمنعهم من دخول وضائف وطنهم، رغم ان المسلمين هم الاغراب عنه. كما يُفرض خيار العقيدة عليهم. كما تمنعهم من حق الانتفاضة والثورة ضد الطغيان، الممثل بالفتك والنهب والاستعباد الاسلامي. ومن ثم تجعل ذلك باسم الله، برخص رخيص مع مفهوم الحلال فقهيا لانه تحت مفهوم الجهاد فحسب.. هذه هي بنية الذات الفقهية!.

حيرتي في البنية هنا هو المدون الكهنوتي للدعوى وليس الدعوى. حين يتكلم عن الحرية ببنود طغيان، والقول بتنويريتها دون عارها. اليست تلك هي اسوء صفاقة ترددها المعرفة في العهر. عادة هذه هي المشكلة مع الكاهن انه لايستشعر قيحه. وهو امر يجعل الفقه في بنيته يعود الى ذات الفقيه وبنيتها..

---

[136] علي محمد الصلابي، عصر الخلفاء الراشدين. ص99.

مايردي، بعيدا عن سخرية البنود، هو ان التاريخ عينه يفضح نفسه بان المسملين كانوا يبقون في فتوحهم عين اقطاعيي وارستقراطيي تلك البلدان الذي استعبدوا الجماهير في ارضهم ووجودهم سواء قمحهم او نساءهم.. وهذا الابقاء امر مشهور تاريخيا، سيما مع قصة (الدهاقنة) وعموم ارستقراطيي البلاد المفتوحة واقطاعيها، ووصل هذا المنحى من الشهرة بمكان هو ان التاريخ لـلان يحفض اسماء كثير من ولاة فارس وارستقراطيها واقطاعيها ايام كسرى ممن أبقي عليهم عمالا للمسلمين في الجبي، وسلب اموال الناس، ومنهم؛ جميل بن بصبهرى دهقان الفلاليج والنهرين، وبسطام ابن نرسى دهقان بابل وخطرنية، والرفيل دهقان العال، وفيروز دهقان نهر الملك وكوثى، وغيرهم من الدهاقين. واستمر اولئك مع كل الخلفاء والسلاطين المسلمين..

ولاباس في تقرير البلاذري عن ذلك بوضوح في كتابة فتوح البلدان؛ (وأما الدهاقين فكانوا مع الغالب، ولما رجحت كفة المسلمين تولوا أعمالهم السابقة على الفتح)[137].. وهذا الامر ابتدأ منذ القادسية وقبلها مع جماعة الحمر[138] واستمر الامر كشيء مالوف ومنطقي في تدبير سلطة المال، بمنطق ؛(دعوها في ارضها تؤدي عنها الخراج).. اي اتركوا الدهاقنة، وهو الاسم الذي يطلق على اقطاعيي الفرس. لاحضوا، لم يكن الهمُ الاسلامي في النص هو الاقطاعيين وظلمهم وانما الخراج من يعنيه فحسب. لذا يروي التاريخ الكهنوتي نفسه بان القائد المسلم(لم يعرض للاقطاعيين الفرس ولم يخرج الارض من أيديهم، بل وأزال الجزية عن رقابهم)[139]، ليستخدمهم على الناس.

---

[137] فتوح البلدان. ج2. ص323.

[138] تسمية تطلق على الفرس الاوائل الذين انظموا الى المسلمين باتفاق غنيمة وليس اتفاق عقيدة. في ميسان والبصرة قبل الصعود الى القادسية بعدة اشهر..

[139] فتوح البدان. ج2، ص325.

اليس مخزيا او مضحكا، ان رجال كسرى هم عينهم رجال امير المسلمين. علما ان هذا الامر يعتبر حكما فقهيا ورأيا الهيا في المنظومة الان، فقط لان المسلمون كانوا يقومون به حينها.

8

هذا المبرر كدليل اجتهادي يتضاد مع المبرر الاول في الشهادتين، كدليل اجتهادي اخر، فيتساقطان تساقط كذبات الكذاب، لايشبه الذي كذبه اليوم ماكذبه بالامس، ومافي اول الكتاب ماكتبه في اخره.. ولايقف الامر هنا، بل يمتد الى وجود مبرر وتوجيه شرعي ثالث، بحيث يحار ايا يريدون، وفي هذا ايضا يفضحون معارفهم في غباء الكذب..

المبرر الثالث، والذي يطرحه التنويرين كفضيلة اسلامية بالتأكيد، وكمنطق اسلامي قيمي- دون اي خجل- هو ان المسلمين لهم الحق شرعا ان يعرضوا على عدوهم قبل المعركة واحدة من ثلاث: (الإسلام أو الجزية أو الحرب..).

ورغم ان عين هذ المنطق هو الفضيحة الاخلاقية للاستبداد عموما، وبالتالي هو فضيحة الفقه ودينه ودعواه الانسانية، وانه يبين البنية العامة للفقه في تجاوزه اسم الانساني والحقوقي والاخلاقي، وجعله للمتوحش شرعيا والهيا. الا ان ماحصل كان أسوء من ذلك، بحيث يتمنى معها المغزو تلك الجبريات الثلاث.. لم أقرا نصا يخبر ان هنالك مبعوثا او مناديا ما بلّغ تلك الخيارات الجبرية، وانما هو منطق الحرب القديمة، وارحم مافيها هو المصالحة/ الاتفاق الجبري على اتاوة مالية تدفع سنويا. مع ذلك لاتجد خبرا عرضت فيه تلك الخيارات الا نادرا، ويكون بهذه النهاية:(فلقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فأبوا و قاتلوهم و هزموهم و قتلوا و سبوا و قسموا

الغنائم])[140]. بل الحقيقة غالبا ما تكون اكثر مرارة، كما هو في الكثير من الاخبار التي سلف نقلها، باهمالهم خيار الاسلام اصلا، بل تركهم حتى المصالحة على مال، طمعا بالسبي من النساء، وباقي الغنائم التي يمنعهم اياها خيار الجزية والمصالحة او الاسلام. لذا يستبيحون البلاد في اموالها ونساءها، مهما لزم ذلك من دماء. وهو مانقلناه عن فتح شاهرتا، حيث(يعطي بعض عبيد المسلمين أماناً لأهل المدينة، فلا يرضى المسلمون، بحجة انه عبد)[141] . حتى لايفوتهم السبي والغنائم..

احيانا، بعد الفتح وهدوء الحال كانوا يضربون الجزية حتى على من أسلم من أهل الذمة[142].. ينقل التاريخ في عدة اماكن ان نائب خراسان دعا: (أهل الذمة بسمرقند، ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية. فأجابوه إلى ذلك، وأسلم غالبهم، ثم طالبهم بالجزية)[143]. ثم سفكت الدماء بسبب ذلك. رغم انهم لم ينكثوا، هو من نكث.

بل لم يكن يُقبل احيانا من الناس المفتوحة بلادهم دخول الاسلام اصلا، كي لاتسقط الجزية عنهم، كما سلف مع إصلاحات عمر بن عبد العزيز. وهي اللحضة التي قال فيها

---

[140] ابن خلدون، العبر ، ج2، ص566 .

[141] المصنف، ج 5، ص222 و 223 . وسنن البيهقي، ج 9 ، ص 94. وينتهي بهم الأمر : إلى أن رفعوا ذلك إلى الخليفة، فكتب: «إن العبد المسلم من المسلمين، أمانه أمانهم. قال: ففاتنا ما كنا أشرفنا عليه من غنائمهم..».. مساكين يؤنبهم ضميرهم على الغنائم.. وكأن الامر كان انسانويا، وحينما ضهر حراما انبهم جواهم..

[142] ابن الأثير ، ج 4، ص 261 و 68 و 225 و ج 5، ص 111 و 48 و 24 . وابن خلكان، ج 2، ص 277 . وأحكام القرآن للجصاص، ج 1 ، ص 102.

[143] البداية والنهاية، ج 9، ص 259،260.

كلمته معاتبا المسلمين: (ان الله ارسل محمدا هاديا ولم يرسله جابيا). إذن خيار الاسلام كان كذبة من اصله في دعوى الكهنوت، فلم يكن يهم المسلمون ان يتعلم اهل البلاد المغزوة الاسلام ومبادئه او اي قيم اخلاقيه علمها النبي سلفا. انهم قتلوا واخذوا اموالا وسبيا وعادو فحسب، لا وجود لموضوع هداية او تغيير اخلاقي او ماشابه من فعل ديني. علما ان هولاء الفاتحين عينهم يخبر التّاريخ عنهم بانهم لم يكن يعرفوا حتّى الوضوء، فكيف يمكن ان يكونوا قد عرفوا المبادئ الاخلاقية الكبرى للنبي التي تمثل وحدها الاسلام وحقيقتها وغايته الوحيدة. يذكر التّاريخ ان عين الجيش الذي كان على راسه ابو موسى الاشعري في احد الفتوحات، لم يكن احد منهم يعرف (ان الوضوء على من احدث، حتى بعث لهم الاشعري من ينادي فيهم بذلك)[144]. اي ان بديهيات الاسلام التي تمثل العوام قبل النخبة مجهولة من عسكر المسلمين فكيف بعقيدته.. إذن هولاء ليسوا مسلمين خائنين وانما لايمتون للاسلام بصلة اصلا. انهم تجار مال ونهب وسلب. انظموا الى الحروب من هنا وهناك شرط الغنيمة. سواء كانوا قبائل او جماعات حضرية او ايا كان.. ويصر الكهنوت على تسميتهم رسل هداية.

9

بالتاكيد يجعل الكهنوت لتلك الثلاثية سندا نبويا بدس حديث عليه يوصي به أمير الجيش: (إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث، ادعهم إلى الاسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوك فاقبل وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم)[145] .. وكأن الله يريد ذبح الناس..اذن ماأوسخ النخبة التي اسست الحضارة.

---

[144] كنز العمال، ج2، ص114.

[145] مسلم، الصحيح، ج 3، حديث رقم 1357. و أبو داود، السنن 3،2 261.

واضح ذكاء الدس في نيل الحديث مع كلمة(فاستعن بالله). هذا الذكاء ليس كي يجعلوا المعركة تقوم لاجل الله فحسب، وانها إلهية ونبالة وفضيلة. وانما كي يجعلوها تتوائم مع السياقات النبوية في الاحاديث، في الرجوع الى الله بكل شيء..

التهور على الاسماء هنا مع الداس جعلته يعطي للثلاثية المستبدة مصطلح (خصال)، وكأنها منحى اخلاقي انساني وليس استبدادي محصور بين اجبار العقيدة و دفع المال والقتل.

هذا هو المنطق؛ اما ان تدخل في ديني او ان تعطيني مالك بدل ذلك. لا اعتقد انه حتى حكومات الحزب الواحد في الشرق تجبر الافراد بهذا الشكل على حزبها. ولكن الاسلام لم يكن الا حزبا بالنسبة لمسلمي الغنيمة، الذي غطوا على مسلمي النبي القلائل جدا، والمغمورين خارج السلطة.

كما انه ماسخفه من خيار لاينسجم اوله مع ثانيه؛ ان لم يكن الاسلام فيعوض عنه بمال. لو كان هنالك اجبار على الاسلام فحسب دون خيار المال، لقلنا انهم اصحاب مبدأ جاد مع العقيدة وحمل الناس عليها حتى ولو قتلا، وانه لامصالح في ثنايا المسألة. ومع ذلك فهذا الافتراض التنزّلي هو عين الذي تألم منه النبي في كلمته؛ (عجبت من اقوام يريدون ان يُدخلوا الناس الى الجنة بالسلاسل.). اعتقد اني تكلمت في جمالية وحسرة هذا النص النبوي كثيرا فيما سلف من الجمهورية في اولها.

بأي حق يُجبَر الاخرين على احد ثلاثة؛ ترك دينهم او المال او القتل. بينما الله لايجبر حتى على الفضيلة(فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر). بل اين يضع الإجبار على عقيدة من ملامة الاية(افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) او (لاإكراه في الدين) أو(انلزموكم بها وانتم لها كارهون)..

من جهة اخرى اهم، يمكن الانتباه الى ان هذا الاتجاه الثالث في الدليل، يتضاد تماما مع دعواهم السالفة في تبرير الفتوحات بانها لاجل ازالة الطغاة وترك الناس احرار يدينوا بما شاءوا، ولايكرهوا على شي. لانهم هنا في الثلاثية التخيرية يتكلمون عن فرض عقيدة.. الكاذب لايخجل من تناقضه. معذور هو ينسى.

تماما كما هو ظني الآتي عن الكليات الانسانوية عموما، لاوجود للجزية والخراج في جمهورية النبي اصلا، وفي السلم بالذات، ناهيك عن وجوده في حرب من اجل هدف اخلاقي ديني، إذ حينها يكون الامر اسوء.. الجزية تأسيس كهنوتي محض وخطيئة فقهيه للايديولوجيا الاخلاقية المسماة دينا سجلوها باسم الله للاسلام الامبراطوري. والكلام يطول في تفصيل كذبتها. هنالك منطق مالي يمثل موضوعة تكافل اجتماعي فحسب مع النبي وليس خراج.. قيمة اخلاقية إنسانوية لاجل الفقراء وليس لاجل الحكومة كما هو منطق الخراج والراي التقليدي فيه.. لذا منطق النبي في كتابه للعلاء، كان يأمره بان(يأخذ المال من أغنيائهم فيردها على فقراءهم) .كما ان هذا الاستيفاء المالي ليس الزاما قانونيا جبريا- على عكس ماكان تاريخيا مع السلطة الاسلامية- وانما الزاما اخلاقيا ذاتيا، لاسلطة للدولة فيها على الفرد، بحيث يبقى الفرد مخير بين ان يعطي او لا يعطي.. والاجمل هو انه يشمل المسلم قبل غيره، كقيمة انسانية عامة لاشأن لها بمعبد وشريعة. انها فرض اخلاقي، والزام مبدأي، وليس فرض قانوني. وهذا مايتبين بتفصيل مع علي ابن ابي طالب إبان دولته مع وصية[146] له لاحد عماله مازال التاريخ يحفضها

---

[146] نص الوصية؛ (انطلق على تقوى اللّه وحده لا شريك له ، و لا تروعنّ مسلما ، و لا تختارنّ عليه كارها ، و لا تأخذنّ منه أكثر من حقّ اللّه في ماله ، فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثمّ امض إليهم بالسّكينة و الوقار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم . و لا تخدج بالتّحيّة لهم. ثمّ تقول : عباد اللّه أرسلني إليكم وليّ اللّه و خليفته لآخذ منكم حقّ اللّه في أموالكم ، فهل للّه في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه ؟ فإن قال قائل : لا . فلا تراجعه ، و إن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه فإنّ أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلّط عليه و لا عنيف به . و لا تنفّرنّ بهيمة و لا تفزعنّها و لا تسوءنّ صاحبها فيها . و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره ، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره . ثمّ اصدع الباقي صدعين ثمّ خيّره ، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختار ، فلا تزال بذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ اللّه

لنا لتوضح مثالية لايمكن توقعها نسبة لما هو مسطر في دفاتر الكهنوت عن الخراج وفي دفاتر التاريخ من سلوك سلطاني. وفيها يظهر التضاد التام مع المتوفر فقهيا من الكهنوت الاسلامي حتى مقدسيه مذهبيا، لان الشيعة ايضا تقول بالخراج والجزيه على خلاف علي ابن ابي طالب ومثاليته.. لذلك هم من خانوه وليس غيرهم. فالغريب لايخونك وانما من لديك مواثيق معه. إذ حتى الثورة ان تحولت كهنوتا امست تكذب.

11

اظلم الجمهورية ان قلت ان الانبياء يريدون ان تكون جماعتهم جيشا، وانما جماعة معلمين ونبلاء. عراة، للسيوف والجوع على حد سواء. وقلوب عارية للحقيقة وللروح. لا تلفهم معابد ولاعمائم.. مايؤكد ذلك ومايبعد بنية الجمهورية عن بنية الكهنوت حد الكفر بينهما هو نمط النبي في طريقه الدعوي ومااسسه لذلك انسجاما مع الاهداف اليوتوبيه للرسالة[147]، بمثاليه لم يعهدها التاريخ من قبل. واهم اثر في ذلك هو منطق ما أوصى به الى معاذ بن جبل، حينما بعثه على رأس سرية الى اليمن.. يقول لمعاذ؛ (لا تقاتلوهم حتى تدعوهم، فان ابوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤكم، فان بدؤكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا). ولا يقف الامر هنا في غرابته. بل؛ (ثم أروهم ذلك القتيل ، وقولوا لهم ، هل خير من هذا سبيل). يمنح فرصة اخرى خارج الدماء، دون اي حمية لموت رفيق مسلم، او

في ماله فاقبض حقّ الله منه فإن استقالك فأقله ، ثم اخلطها، ثم اصنع مثل الّذي صنعت أولا حتّى تأخذ حقّ الله في ماله . و لا تأخذنّ عودا ، و لا هرمة ، و لا مكسورة ، و لا مهلوسة ذات عوار ، و لا تأمننّ عليها إلاّ من تثق به ، رافقا بمال المسلمين حتّى توصله إلى وليّهم فتقسمه بينهم ، و لا توكّل بها إلاّ ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا غير معنف و لا مجحف و لا ملغب و لا متعب...). نهج البلاغة. الوصايا.

[147] مع اليوتوبيا التي تلون الجمهورية، يكون مفهوم الدين مع النبي موازيا للمثالية في الانسانويات. لذا فالدين هو اليوتوبيا الانسانوية وليس المعبد واللاهوت.. او الكهنوت والشريعة.

تمادي من العدو، في انه عدو لئيم لايقبل المنطق ولا اي عنوان اخر يمكن ان يبرره اي عقلاني انسانوي في حق القتال. لينتهي الامر ان ينيل وصيته بكلمته المشهورة؛ (فلان يهدي الله بك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس او غربت)[148]. كان من المفروض ان يزوه الكهنوت الى صيغة؛ لان يقتل الله بك رجلا واحد. فهو اقرب الى منطقهم. سيما من جهة انهم يقتلون باسم الله.. هنا النبي لايريد ان يكون جيشه جيش سيف وانما جيش روح، بل الاعمق مثالية انه لايريده جيش نصر وانما جيش هزيمة. بمنطق كن مقتولا ولاتكن قاتلا.

المراحل الاربعة، التي تحملها تلك (اللاءات) الاربع في وصية النبي لمعاذ. لاءات جميعها ترتبط بلا تقاتلوهم. مايهم لديه هو ان تعيد ذات الاخرين انسانيتها او بعضا منهم ولو واحدا؛ لان هدى الله بك رجلا واحدا.. والهداية هنا ليس هو ان توحد الله وتشهد الشهادتين، وانما هو ان توحد العدل والقيم بين الناس.

يتأكد هذا الميدا المثالي واقعيا بلحم ودم، مع تلميذه علي ابن ابي طالب. فهذا الرجل الغريب عن الارض لم يبدا قتالا قط مهما كان العدو. وهو امر شائع عنه بين اقرانه. الامر الذي جعل احد الصحابة يقول للخليفة الاول حينما اراد ارسال الامام علي لمحاربة متمردين على المركز؛ (أخاف ان يأبى القوم- المتمردين- القتال فلا يقاتلهم. فلن تجد احد يسير اليهم الا على المكروه منه)[149]. هنا الصحابي يُنبّه الى شيء قطعي وليس احتمال، وانه شي معروف ومتفق عليه وليس رأي شخصي. علما ان كلمة اخاف في

---

[148] المبسوط للسرخسي، ج10، ص 31.

[149] الفتوح لابن الاعثم، ج1، ص72.

النص، كتعبير عن الاحتمال هي تخص المتمردين وليس عليا، لان عليا لن يبدا قتالا قطعا في نظر هذا الصحابي.

رغم هذه المثالية الكبرى التي تمثل روح الايديولوجيا الاسلامية في هذا النص عن علي، الذي تنقله امهات الكتب، ولكن الكهنوت يشرع باسم الله مايشرعه جنكيز خان باسم عشيرته وامبراطوريته. إذ جرت العادة مع معظم الدول الاسلامية وخلفائها امويين و عباسيين، وعثمانيين على استباحة المدن التي تدخلها الجيوش، فيقتل رجالها في مجازر جماعية، وتستباح النساء غداة الحرب بمجازر جنسية لا تختلف عن المجازر الدموية التي تحدث لازواجهن واخوانهن واولادهن وابائهن. وهذا الامر تجريه الجيوش السلطانية، سواء على غير المسلمين او حتى على مسلمين متمردين على السلطان؛ حصل مع مسلمي العراق بسيف الحجاج، وحصل مع مسيحي القسطنطينية كفتح اسلامي عام (827 هـ) حين استباح فيها جند محمد الفاتح النساء بشكل لا يمكن وصفه الا انه جنس جماعي، بل ان السبب الذي يحال عليه الانتصار يمثل فضيحة لتاريخ هذا الدرب. إذ بعد ان يأس محمد الفاتح من دخول الحصن، قام بخطوة مع جيشه تعتبر سبب انتصاره لدى الباحثين، وهو انه (وَعَدَ) الجيش رسميا بعد ان قرعت الطبون والابواق بكامل الانتباه وأقسم بوعده هذا باسم الله وباسم محمد والاربعة الاف نبي قبله وبروح والده وبرووس اولاده وبسيفه انه سيكون للجيش حق مطلق في النهب والسلب مدة ثلاثة ايام ويكون للجند كل ماهو داخل اسوار القسطنطينية من متاع وحلي وعملات وكنوز ورجال ونساء واطفال.. ويتخلى هو عن كل شي الا شرف الانتصار.. وحينها يستقبل الجند هذا الوعد باندفاع جنوني وصياح. والغريب ان هتاف فرحتهم بهذا الوعد الوحشي والمشين هو(الله اكبر، الله اكبر).. وهو الامر عينه الذي كان بعد دخوله ظهر يوم النصر. حينما كان اول نزوله عن حصانه مباشرة للصلاة شكرا لله.. اي رب هذا الذي يثيب الناس للقتل. واي دين هذا الذي يصلي فرده بعد جريمة.

لم يكن وعده انهم ان ماتو سيدخلون الجنة، كي يوجه الامر على ان هذا الجيش جيش رسالي تؤسسه الاخرة وليس الدنيا ولهوها. وانما كان وعده لهم ان القسطنطينية بمالها ونساءها ومافيها، لهم وحدهم دونه.

بل الغريب ان ائمة للكهنوت والتاريخ كانوا يعيرون بعض الرجالات التاريخية من اليسار الاسلامي في انهم لم يقوموا بفتح من الفتوحات ولم يساهموا فيها ولم ينالوا هذا الشرف. لابأس ولكن هذه المجازر لم تحصل في الفتوحات فحسب كشرف لديهم ضد الكفار بتسميتهم، وانما مع مدينة النبي عينها في حادثة (الحرة) مثلا حين قُتل الاسرى في مجزرة جماعية و ابيحت النساء لثلاث ايام قضت فيها ثلاثة الف بكر، واستعبد كل الاحياء من بقية المعركة. فهل يعاتب ذاك اليسار انه لم يشارك في اباحة المدينة. او مع بسر بن ارطأة في ما سمي بيوم العورة كونه امر ان يكشف من النساء سوقهن في السوق فتشترى كل امراة على عظم ساقها[150]. علما ان بسر هذا كان صحابيا من جماعة معاوية وراوي حديث. لااعرف كيف يكون صاحب معاوية هو عينه صاحب النبي. الا يكفي هذا الامر في رفع مصطلح الصحابي.

12

حدث ينفع في ان النبي لم يكن إسلامويا. وهو انه مشهور جدا ماقام به خالد بن الوليد مع بني جذيمة، حيث(قتل خالد بن الوليد بني جذيمة في فتح مكة حينما بعثه الرسول حولها في سرايا تدعو إلى الله تعالى ولم يأمرهم بقتال، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلا، فغدر خالد بهم وقتلهم، فانتهى الخبر إلى رسول الله فرفع

---

[150] الاستيعاب - ابن عبد ربه. م1، ص161. وكأن الساق والسوق لغويا يعودان لملازمة تاريخية ما.

يديه إلى السماء ثمَ قال: " اللّهمَ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد " ثلاث مرّات ; ثمّ أرسل رسول الله علياً فودى لهم الدماء وارضاهم)[151] .

هنا وضوح تام في ان منطق الدعوى نبويا لايمت الى القتال بصلة اطلاقا. اقلها يتبين هنا ان القتال شي والدعوى شيء اخر.. ولااجتماع بينهما. وانهما على تضاد تام في مبدأ الدعوى. لذا أجد قصة الحارث بن مسلم التميمي غير مقبولةَ في(إن النبي ارسلهم في سرية، قال:(فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي، وسبقت أصحابي، واستقبلنا الحي بالرنين، فقلت لهم: قولوا لا إله إلا الله تحرزوا؟ فقالوها.. فجاء أصحابي، فلاموني، وقالوا: حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت في أيدينا. فلما قفلنا ذكروا ذلك لرسول الله ، فدعاني، فحسَن ما صنعت، وقال: أما إن الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا و كذا الخ..)[152] لانها تجعل المنطق الاسلامي لدى النبي في الدعوة هو عينه مالدى الكهنوت، وهو انه لايحصن الانسان الا قول لااله الا الله.. رغم ان كلمة النبي في الحدث تحمل ايحاءات تناسب كل ماجرينا عليه في شخصيته. فلم يكن هم النبي في القصة انهم اسلموا وانما انهم سلموا. ولاهمه ايديولوجية الانسان بقدر ماكان همه سلامته وعدم ايذاءه في حريته وراحته ومعيشته وكرامته وقيمه..

يبين النص ايضا من استباق الحارث لجماعته، هو وعيه مسبقا انهم ليسوا دعاة لدين وقيم ولا دعاة حوار، انهم غزاة فحسب وقتله، لذا يشي شكر النبي للحارث ان النبي كان مبتليا بقومه. لذلك لم نجده يلم قومه وانما شكرا هذا الرجل على فعله القيمي فحسب. وهو الامر الذي يرفع حيرتي القديمةَ، بانه لماذا لم يحاسب النبيْ خالد ابن الوليد في قتله بني جذيمة . إذ لا يكفي وديْ الناس تعويضا عن نفوس لايعوضها شيء لدى

---

[151] المغازي للواقدي . 875/3 . 884.

[152] كنز العمال ج 15 ص 330 .

اهلها. كل القصة هو ان النبي كان مبتليا بالجماعة الاسلامية معه من جهة. ومن جهة اخرى هي الاهم. وهو انه كان معلما وليس حاكما. وبشيئ ما من منطلق كلمة عيسى ايضا؛(من سمع كلامي ولم يؤمن به فلست انا الذي يدينه..)

تينك الحدثين ينقلهما تراث موالي للكهنوت. كما انه هو عينه من ينقل وصية النبي السالفة لمعاذ، ورغم ذلك تجري معارفهم بتلك التشريعات المتوحشة التي تشوه هوية النبي ومبادئه.. ولكن لاغرابة في ذلك، فالذي يكذب على الله يكذب على نبيه ويكذب على جماهيره.

سرقة الانسان..

(شر الناس من يبيع الناس.)

.. النبي

(ثلاثة لايقبل الله لهم صلاة، منهم، عبد آبق من مولاه، حتى يرجع اليه.)

.. فقيه آبق

1

نبي واحد يعبد الله، والالاف من الكهنة يكفرون بـه.. هذه طريقة الوجود فـي التاريخ. ويقولون ليس هناك لامعقول وجودي. لم اجد يوما شبها بين انبياء الله وكهنة الله.

.. من لا يميز بين النبي وهرون الرشيد، لا يميز فـي قلب الكعبة بين الله واللات. لذا من الحماقة في فهم ماهية النبوة، ان نرى حلية العبيد والجواري هي من احكام النبي كما هي من احكام هارون الرشيد على حد سواء.. بل من الاساءة للنبوة ان لم نسبق كل مباننة- اللاهوتية رسميا- بمبدأ تحرير النـاس من العبودية، سواء عبودية السيد او

عبودية الزواج او الاعراف او المعبد او الافكار. وان نلح على لاهوتية هذا المبدأ قبل وجوديته في قبح الاستعباد ذاتا- لتداولنا القضية هنا مع النبوة وليس مع النبي- والا كل ملامة حينها ستحال على الله، ان قبل هو بالعبودية عنه..

ماذا يمكن ان توصف بنية فتوى الفقيه الابق اعلاه، وجرأته ببساطة على هكذا خروج فاقع ضد النبي، بهكذا وجهة؛ في ان الله مع السيد ضد العبد، بمستوى يصل الامر فيه ان الصلاة لاتقبل منه ان ثار ضد عبودية سيده وطغيانه اواقلها تخلص منه فقط واستنقذ حريته. وهل هنالك اصلا عبد يصلي لاله بهذه الشاكلة. ماذا يمكن ان يسمى هذا الدس اللئيم؛ (اذا نصح العبد السيد، واحسن عبادة ربه كان لديه من الاجر مرتين)[153]. التي حين قراءة نص قس يدعى سبيريانوس. (إني لانصحك بالبقاء في الرق، حتى لو عرض عليك مولاك تحريرك، فانك بذلك تحاسب حسابا يسيرا لانك تكون قد خدمت مولاك في السماء، ومولاك الذي في الارض) تشك وكان هذا القس جلس مع ذاك الفقيه وكتبا نصيهما سوية. لا غرابة فكلاهما كهنوت.

2

[153] المسترشد، محمد بن جرير، ص453. علما ان نص الاستهلال هو ايضا كلام مدسوس على اهم شخصية يسارية في المعرفة، لذا ارجعناها باسم الفقيه الابق وليس باسم تلك الشخصيه لانها اصلا دس عليه وللفقيه الابق وليس له.

الرسالة وجوديتها الاساس هو ان شرعتها تتأسس على حرام الانسان[154] وليس على حرام الله. الله لايهدد حرمه، الانسان مهدد في حرمه. او لاباس لنقل ان حرمة الله هي الانسان لا غير. وان التعرض الى الانسان معناه التعرض الى الله. تلك التي نجري بها كثيرا مع المتصوفة في اسهم (من خدم الخلق خدم الحق)، والذي يكفي وحده لتاكيد ان النزعة الانسانوية في الفكر الصوفي تفوق كل المدارس الرسمية في الانسانوية، كما تكفي في ان انقلابها على الكهنوت كان صحيحا.

لم يرفض النبي العبودية لان مسألة السيد والعبد هي المسالة الوحيدة التي ينازع بها الانسان الهة في الوهيته، على اعتبار انه السيد الوحيد الذي يستحق العبودية كما يرى المتكلمين. وهو دليل ينفع ان اهديه لعلم الكلام التقليدي. رغم رفضي هذا العلم وسخريتي منه ومن دليلي المجاني هذا ايضا[155]. ولكن فقط لفائدته نفي التشريع العبودية، الزاما بكلامهم. كما ليس لانها تنافي فلسفة خلق الانسان بماهية الحرية، كونها نفي للانسان بماهو انسان. فلا يتعامل النبي بااللاهوتيات ولايهتم بعلم الكلام في ذلك، لذا لم يطرح الدين كعلم كلام ولم يتداوله يوما، ولم يطرح اي نبي انه فيلسوف ايضا. انما رفض النبي العبودية، لانها عبودية وكفى. بحيث من السخافة ان نقول ونفصل ان سخرة استعباد فرد كحيوان يباع ويشرى، وأخذ زوجته جسدا ومتعة، وطفله استخداما هو خطيئة كي يوضح

---

[154] ولذلك قربة واضحة مع الحديث القدسي ان كرامة الانسان اهم من كرامة الكعبة.

[155] تدوال الخطاب النبوي في رسائله للملوك بتحويل العبودية انسانية الى العبودية الالهية. لم يقصد بالعبودية الالهية منطق السيد والعبد وانما طاعة القيم الالهية، والتي هي في الارض القيم الانسانية فحسب. وهنا في الدليل الكلامي جعلناه الوحيدة الذي يستحق العبودية. لذا لانؤمن به ولكنهم هم من يفرحوا بذلك؟

امرها للقلوب. ناهيك عن انـه لايحتـاج الى فكر او وحـي او فقـه كـي يقرر خطيئتـه[156].
فهو والراعي يتساويان بادراك ذلك لانـهـا موضوعة انسانويات، وليس لاهوتيات غيبيـة و لا تجريديات فلسفية. لذا كان الراعي يصدقه كقلب، وليس طاعة لنبـي ووحـي. وفـي هذا نلـح ان الرسـالة وجوديـة وجدانيـة، واضـحة للانسـان، بـلا علـم كـلام ولافقـه ولا فلسـفة. الكهنوت من فرض ذلك وعقد الامور كى يحصر القرار بيده.

3

كل مـا قيل مـن مسـالة العبيـد والجـواري ومنطـق السبي والفتوحـات هـي خيانـة للنبـي ولاتمت بصلـه اليـه ومـا هـي الا كذبـه تاريخيـة كبيرة علـى النبي، كذبـة تاريخيـة عميـاء. ولكنها تبصرنا دون ان نبصرها. لانـها تدرك العار دوننـا. هذه مشكلتنا اننـا لانرى عارنـا، ولاعلم في العار. كذبة رسخت شـانـها شـأن بـاقي الاكاذيب التـي طوّل بها التـاريخ دربـه. وهو منطق يؤكد بذاته ظلم الحياة والوجود وغرابة سننهما. لذا رغم ان كلمـة الطيار مـارك توين؛(يمكن لكذبـة ان تقطع نصف العالم قبل ان تتهيا للضـهور)، هـي عمق جميل فـي السنن المؤلمة للحقيقة، ولكن كان السنـة الاكثر ألما للوجود؛ هو ان الكذبـة تقطـع نصـف التاريخ قبل ان يعترضها احد. كما قطعت كذبة العبيد كل هذا التاريخ، ولا فقيه ولا مثقف يلعنها ويقول بخطيئتها. الكل يقول انها الهية ونبوية وشرعية.

إذن سألوم الوجود هنا، انه يعيبني اكثر من الفقيـه. لان من سننـه هـو ان الكذب اكثر عمرا مـن الحقيقـة. وان التـاريخ وكتبـه يحفضـان الكذب اكثر مـن الحقيقـة. حتـى يكـاد ان

[156] قد تجد هذا المنطلق نادرا في التراث مع الفخر الرازي مثلا في كلامه بطريقة وجودية لافقهيه عن خطيئة العبودية، بقوله؛ (كون الانسان مملوكا يكون صفة تكدر مقتضى الانسانية).. ولكن كلامه هنا عن حكم تحرير الرقبة وفضيلتها.. ولكنه لاينفي العبودية شأنه شأن الباقين.

يكون الامر؛ لا حقيقة للتاريخ الا كذبه!!.. لانه مناطق معبد وقصر، ولايكذب في الوجود الاهما.

اه، ارتاح كثير حينما اردد ان المبغى وحده كان صادقا. وسوى في الحياة هو اني عاشرت المعبد دون المبغى.

من غير الممكن ان يكون اسبارتوكس ومزدك وصاحب الزنج وقرمط ولنكولن ومارتن كنك الزنجي، وغيرهم يحاربون العبودية والنبي يشرعها.. لايقبل ذلك على النبي الا مؤمن احمق. هل علي ان الح كثيرا ان الانبياء ياتون من اجل الناس لا من اجل الله. بل انهم يتركون الله لاجل الناس، لو فرضنا حدوث تضاد بينهما(الله والناس) رغم استحالته.. وكلمة علي(الهي ما عبدتك خوفا ...)، تعطي ذلك في كل لوازمها بوضوح، لانه فيها لايعبأ بالجنة والنار في علاقته بالله. وانما يتبع الله لانه مع الناس والحق والعدل والجمال لاغير. لازم ذلك، انه إن لم يكن الله مع الخير يتركه ابن ابي طالب. وهذا ماحلف عليه معرفيا من المساء للصباح..

بل في عين صراحة ابن ابي طالب بمقولته تلك الاعظم لاهوتيا يبدو بكل وضوح ان الله لا يقبل أن يكون الانسان رقا حتى له (.. فتلك عبادة العبيد). لانه يعرض هذا المنطق كأمر معيب من الله نفسه، لايمكن لاحد ان يتفاخر به امام الله. وهو عينه الذي جعلنا نرفض الدليل المجاني السالف لطم الكلام في مقدمة النبذة الثانية، لذا يتنزه ابن ابي طالب عنه امام الله. و بمعية كلمة علي تلك، اقول براحة، انه؛ ماخلق الانسان ليكون

رقًا حتى للاهوته[157]. واكرر للاهوته وليس لكهنوته. اي حتى لله. بينما في الواقع ينحدر هذا الانسان ليكون؛ عبد لكهنوته وليس للاهوته، بل حتى غير المتدين مستعبد في اعرافه بذلك، فهو لا يقتنع مثلا بزواج دون معبد وعمامة. وهنا المصيبة كل المصيبة من قبل ومن بعد.

4

المهم، لا شك معي في ان اول جهل بالنبي، ووجوده، هو عدم رؤية؛ انه لا يوجد شيئ جاء لاجله، مثيل هدم الاستعباد في كل اشكاله ووجوهه، الذي يتعدى من سوق النخاسة الى البيت و المذهب و المدرسة و السلطة.. في الحب و العلم و الدين. فهو حينما ظهر لم تكن خطوته التي ظهر بها خطوة لاهوتية – إله وصلاة – تُبشر بالله إزاء اللات والعزة واستبداله بهما، وترسيخ العبودية للسماء، فالصلاة جاءت متاخرة. وانما كانت خطوة انسانية وجودية حياتية تاريخية تبشر بتحرير الانسان من ظلمه، لذا كانت مشكلة ابي جهل وابي لهب وابي سفيان مع النبي لم تكن هي جعل الله الواحد بديلا عن اللات والعزى، وكأن ابا سفيان عاشق ايديوولوجيي للات والعزة. وانما كانت مشكلتهم التي كانو يرددونها امام قريش حين ظهورالنبوة؛ (ان محمدا يريد ان يساوينا بعبيدنا). ولهذا السبب عينه يعترف التاريخ على انهم عرضو عليه؛ ان يعترفوا بنبوته وانه رسول الله ، ولكن عليه (ان لا يغير اعرافهم). أي لم يكن هم نبوته اول نزولها هي خطينة ابي

---

[157] كان ميخائيل نعيمة في سفره الحكمي؛ مرداد، قد صاغ مقولته؛ (ما ولد الانسان ليكون رقيقا حتى لناسوته) اي لغريزته، وتسلطها عليه. ولكن لم يقل شيئا في ذلك ، رغم انه قال لغة توحي اهم شيء. لذا كان على اللغة ان تستنقذ، لتقول؛ ما خلق الانسان ليكون رقًا حتى للاهوته. لان كلمة حتى لا تكون في البديهيات المتداولة، وهنا بديهية صوفية؛ ان تكون حرا من سلطة غرائزك.

جهل في عبادته اللات والعزة، وانما في استعباده بلال الحبشي. (لذلك) كانت قصة بلال هي قصة النبوة، وان لم تكن قصة النبي. والنبوة هنا اقصد الرسالة وقرار النضال، وليس المنزلة وجبريل.. وبسبب تلك الرؤية النبوية في العبودية فقط وفقط التحق بلال الحبشي بالاسلام.

(شر الناس من يبيع الناس).. هذه هي كلمة النبي، تبرز على الورق بصورة تخترق بها كل الكلمات التي سبقتها في اشكالية الاستعباد.لانها تقع على مقتل محددات الطيب والخبيث واحتيالاتها، سيما مع الاستعباد ومبرراته التي قبل وقال بها عين كثير من اليوتوبيين منذ افلاطون. ولحملها حرجيات سلم القيم من جهة صياغتها. وللبساطة اللغوية التي داست بها العبارة سؤدد المشكلة. ففي نفس لغتها يقوم برهانها. فقط بوجود كلمة (بيع). كونها تُعيِّر البشرية بان البيع مفردة لاشياء الانسان وليس للانسان.. هنا تقوم النكتة في بلاغة البرهان النبوي وعبارته؛ ان الانسان لا يباع وانما اشياءه.. من جهة اخرى هو ان المقولة لاتجعل مفردة البيع المطاف الاخير للشر، وانما المطاف الاخير للناس، فقال(شر الناس) ولم يقل (شر الاشياء).. وبين ذاك وهذا خيط القيمة.

المفروض ان كلمة النبي تلك تكفي لتنفي عنه ماالصقه به الكهنوت من تشريعه للعبودية. وفي نفس الحين تبين خيانات الكهنوت للنبي. وكذبة الفقه الاسلامي وتشريعه. وانه فقه بدون الله ودون نبيه. انه كفر بهما فحسب[158]..

---

[158] ليس من الصدفة ان النبي اودع مقولته هذه(بيع الناس) في اذن ابي ذر وحده. فهي وصلت منه وحده، لم يتشرف غيره بنثرها على الاجيال. لذا مات بها وحده، بعد ان عرف الكل ان ابا ذر هو صاحب التاريخ في الصراع مع الارستقراطية الاسلامية والمتمرد الاول على الكهنوت الاسلامي... وهو ماكان يضمره النبي في ايداعها حصرا بابي ذر ، كون قصته لم تبدا الا بعد رحيل النبي..

لايعبأ الكهنوت وفقهه بهذا النص النبوي ويتجاوزه بوقاحة اجتهاد ما، وبكل بساطة، او يهمله ليجعله نصا من الادبيات العامة، أو يلصق به ازمة السند وانتهى الامر. ولكن لايمكن للكهنوت او غيره الهروب من الزامات الكلية المعرفية مع قاعدة السلطنة؛ (الناس مسلطون على اموالهم وانفسهم). وهو مايصفع الكهنوت بقوة لان كتبهم عينها تتبنى هذا الاس التشريعي للنبي وتتفق عليه. بحيث انه ينفي اي حكم يخالفه. وعمله هو نفي كل ما يسلب من الانسان سلطته على نفسه. وهو ما تبلغ قمته مع (الرقيق). ولكنها شانها شان كثير من مقولات ومبادئ النبي، يقفز عليها الكهنوت بكل صفاقة. كما انه التف عليها بحذف كلمة (وانفسهم) منها، وجعلها محصورة بكلمة(على اموالهم)، رغم ان المصير المعرفي للمقولة يتوقف على كلمة(وانفسهم)، بحيث يكفي معها ان تنتفي مسالة العبيد من راس، عن شريعة النبي وجمهوريته، وان لاوجود لها اصلا ، دون الحاجة الى جدل معرفي يرتبط بالتوثيق والتاويل.

هذي القاعدة هي المؤسسة قبل كل شي لمفهوم الحرية في شكله النبوي[159]. وهي القاعدة الاهم معرفيا ويوتوبيا إذا ماقورنت مع كل عمل فلاسفة الحرية ومثقفيها وعامتها. سيما مايخص فكرة العقد الاجتماعي مع روسو وهوبنز ومابعدهما. ولكن العرب لم يعطوا هذه القيمة النبوية للغرب، وانما اعطوا عن النبي انه مؤسس للجواري والعبيد. اليس هذا ماكان يعرفه فولتير وجيله عن النبي والاسلام.

---

[159] بالتأكيد هذه المقولة تنفع في نفي احكام كثيرة استبد بها الفقه وضاع بها المجتمع الاسلامي، واهمها بالذات هو حكم سلطة الاب على البنت في التزويج. رغم انه حكم لايحتاج لذلك. لانه تُنفى من جهات أخرى، كان قد كنس اوساخها كتاب (مبغى المعبد)..

دليل ديانة الفقه في حلية العبودية رخيص جدا. باعتماد على تداول القرآن لمصطلاح (ملك يمين) فقط، رغم انه مصطلح لايخص العبيد حصرا، ولم يرسخ بهذه الشاكلة الا متاخرا مع الكهنوت، ومع الالفة التاريخية بمرور الزمن. فمعظم تحوير وتزوير الاسلام كان مجالا تأويليا تفتن به لصوصه. سيما ان النص القراني يتميز بقابليته للانتقال الدلالي، بسبب صياغته الرمزية التي اوصلته الى القدر الذي امتنع عن حجاجه ابن ابي طالب بقوله(لا تجادولوهم بالقران فانه حمال وجوه). كما انه هذه الرمزية عينها كانت سببا لجعل ابن ابي طالب يقول (كم من ضلالة زحرفت بآية من آيات الله).

المصطلح المتداول (ملك يمين) لا يشير لدى العرب حصرا الى الاماء والجواري كما هو التداول الفقهي وانما يشير في اصل اللغة والتداول التاريخي مع اهل الجزيرة الى الكناية عن (مطلق حق التسلط)، في اي ملك مادي،إمراة او دار او ابل او خيل او ارض او بستان. لذا كان الاوائل يحتاجون الى قيد لغوي معها للتميز مثلا بين المراة الزوجة والمراة الجارية. فيقولون ملك يمين بالنكاح او ملك يمين بالرقبة. اي ان الزوجة الحرة هي ملك يمين لدى العرب ايضا، وليس العبدة فقط[160].

اضافة الى ذلك، وهو الاهم، هو ان مايتحدث عنه القران في خصوص ملك اليمين، يضهر كأمر مفارق للاسلام الكهنوتي في نكاح الجواري بتلك الاباحة، لان القران يتكلم عن منطق آخر للجواري بمقاييس منطق زواج؛ (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ

---

[160] انظر مثلا الاستخدام المقيد مع ملك اليمين مع؛ القطب الراوندي، تفسير القران، ج2، ص88.

بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..).. اي اشتراط اذن اهلهن، ومهر خاص بهن. بينما ملك اليمين في المنظومة الفقهية، يجعل الاذن لسيدها لا لاهلها، والمال له ايضا وليس للفتاه.. وهو أيضا نكاح في تداوله النصي(فلينكح مما ملكت أيمانكم).

الايات الست الباقية[161] التي تتعلق بشكل ما بملك اليمين، اصلا لاتحمل اشارة تناسب راي الاسلام التاريخي في حكم الجارية. كما ان الاية الاساسية السالفة تحكم منهجيا باقي تلك الايات الست. لانها آية تقع في حزمة الايات المركزية الخاص في حلية وحرمة الجسد بين الذكر والانثى وجوديا وقيميا. إذن فهي الاية المركزية في قصة ملك اليمين قرانيا. اي انها حاكمة على كل الايات في دلالتها بخصوص ملك اليمين. ولانها من جهة

---

[161] .1.{وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً}.. عقدت هنا تجعل من مفردة ملكت ايمانكم ليس للاماء..\. 2{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}.\..3{وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}.\..4{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}.\..5{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}.\..6 {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً}..

أخرى هي الاية التي تمثل وضوحا كاملا، تفصيلا وتقييدا لما هو مجمل ومطلق. وهو الامر التي تفتقده تلك الايات الست المطلقة، والمقيد يحكم المطلق..

بل بعيدا عن ذلك، كل تلك الايات الست تاويلها حاضر ازاء أي تأويل تعسفي. خاصة بعد ان عُرف الاصل الدلالي لعبارة ملك يمين عربيا، وانها لم تكن تشير قبل اسلام الجواري الى الجارية، وانما الى الملك الشخصي. او اقلها يمكن حجاج الكهنوت بان الايات الست ضمنية الدلالة بعين رأيه، ولايمكن ان تقف قبال الكليات النبوية السالفة سيما قاعدة السطلنة، وهي كليات قطعية الدلالة والاصل.

في تكملة الاية شيء ايضا (... وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ...) هنا الكلام مع الجواري ايضا بعنوان الاحصان لا السفاح، وأيضا هنالك منع للفاحشة، ومنع اتخذا الاخدان. وهو مخالف تماما للوجه التاريخي لقانون الجواري وشرعته مع الكهنوت؟ حيث فيه يؤجر السيد جاريته لآخر جنسيا، لليلة او ساعة، او لجزء من جسدها، كقبله او بما دون الفرج، حسب اصطلاحهم المثير صراحة.

6

كل الحقيقة ولغزها في قصة العبيد ووجودهم ايام النبي، هو ان مجتمع الرق ايام النبي لم يكن طبقة عبيد وانما طبقة خدم فحسب.. هذا هو كل اللغز التاريخي لشبهة تشريع العبيد، بهذه البساطة. اي انها وضيفة اجتماعية فحسب. الفتوحات جعلتها طبقة جنس، والكهنوت جعلها طبقة عبيد. فالجارية فضة ليست عبدة فاطمة بنت النبي وانما خادمتها،

بل عاملة في الخدمة. لذا كان اسم جارية في اصل المفردة لغويا هو صفة انتزاعية عن السمة الاساس في (جري) الخدمة. إذ هنالك امراة مثلها مثل الرجل كانت تضع نفسها في خدمة آخر، بتعاقد واتفاق. سيما ان الكثير من الجياع كان يقبل اي طعام او منام قبال ما يخدم به، لانه لا يملك سكنا ولا طعاما حتى، وكأنه فقير تكرمه العائلة التي تحيطه، وهو مايمكن فهمه إجتماعيا آنذاك عن كلمة الحسين الى جون مولى ابي ذر، لحضة كربلاء؛ (انما طلبتنا للعافية فانت في حل مني). التي تؤكد منحى ذلك بقوة. واضح الامر في ان جون التحق بخدمة الحسين كي إلتجا له وحاجة إلى نبالته. بينما الكهنوت الشيعي يسيئ للحسين ويجعل له جواريا وعبيدا أيضا. انهم كهنوت ايضا اذن هم يسرقون الوجود ايضا، كما باقي الكهنوتيات.

سرقة الكأس..

(الله يصب الانبياء، والناس تشرب الفقهاء..)

جمهورية النبي

(يقول الكنافشة ان السماء خلقت الناس ونصبت النبلاء فوقهم.. ولكن لماذا ينبغي اقحام السماء في القضية؟)

التاوي باوجنغ ين

1

الشيء الاول والاخير الذي يكرهه الله في عباده هو الجبن منه. لذا فالله يحترم الملاحدة كثيرا، لانهم جادين معه. اما الملاحدة الذي حاربو دينه من اجل الانسانية فانهم انبياء لديه، سواء رضوا ام لم يرضوا. الكثير منهم لايرضى، وتلك يجدد عظمتهم. علما ان الزهد بالنبوة هي صفة صوفية اصلا.

مشكلة المجدد هو انه مؤمن متورط بجبنه. جبن لايسمح له ان يخوض ابعد في الطريق ولا في رفع احجاره. وجبنه في عين إيمانه ذاك، إيمان مظوط. لانه جبن من الله نفسه وليس خشية منه، وهو عين مارفضه ابن ابي طالب في عبادة الجبناء. إذ كيف مثلا يقبل المجدد على نفسه اتباع اله يقول بالاستعباد فرضا. او اقلها لماذا لا يتسأل؛ لما هذا التضاد الداخلي لايديولوجيا الله. قوله بالخير و بالعبودية في نفس الوقت.

2

لم ينكر ايا من الاصلاحيين شرعية العبودية، او يشككوا في نسبها الى النبوي وفضح كذبة تشريعها الكهنوتي. رغم كل ماعرض سلفا من النبويات المضادة لديانة الفقه في العبودية. ورغم كل ما على عنوان العبودية هذا من شهرة سيئة الصيت، كممثل للعار الايديولوجي الاكبر، الذي اسقط قيمة كل(المدن الفاضلة) نفسها، وكذب مثاليتها، واسقط

باقي الايديولجيات التي ادعت حلم تلك المدن تاريخيا. ورغم أنه حرام انسانوي لايحتاج الى دليل حرام ديني، وحرمته هي بديهية قبل لاإشكالية فيلسوف.

لذا فالتجديد كذبة ايضا، لانه على هذه الشاكلة دائما. فأي تجديد هذا ان كان الاستعباد مقبولا فيه. انهم يقبلون على النبي مثلبة تكفي وحدها في نفي الله نفسه. وهذا ايضا يعود مع المجددين الى عين بنية المحافضين لاشعوريا. هذه هي بنية الاسلاموي حتى في يساره.

اما الكهنوتيين فقصتهم اخرى مع الجبن، وتماديهم بحلية ذلك، والدفاع عنه، جبنا من التجاوز المعرفي لمن سموا بالعلماء، ومن سطوة الهوية والشكل التقليدي للايديولوجية في العرف الديني والاجتماعي. وحفضا على اسماء التاريخ الممثلين للقومية الاسلامية ممن حللو العبودية وعاشوها.. الله لامدخل له هنا اصلا. خوفا على قوميتهم فحسب.

3

اقصى مايقوله المجددون في تبرير خطيئة العبودية، هو ان النبي كان مُكرها على قبول العبودية، وانه فُرض عليه، لانه كان السائد انذاك.[162]. ولكن اليس ان (المبدأ) هو الشيء الوحيد الذي لايدخل عليه مفهوم الظروف والا لايبقى ضمن تسمية مبدأ، وينقلب حينها إلى سياسة ومصلحة.. المبدأ هو ذاك الذي إما ان تحمله او تلقيه. التهاون فيه

[162] لم تكن هنالك كلمة تعبيريه للامر الا كلمة العقاد؛ (ان الاسلام شرع العتق، ولم يشرع الرق). ولكن لم يقصد ان ينفيه فيها للاسف، هكذا اللغة تفارق كاتبها، ولايسمع حتى ماتقوله له.

يرفع اسمه، تماما كما أكدت البشرية باعتيادها جملة (تنازل عن مبدأه)، فهو اما ان ترتديه او تنزعه. لاشكل آخر للثوب. سيما ان كانت ازياء غاندية.

كل القصة ونكتتها، ليس ان النبي كان مكرها، وإنما هو ان النبي لم يكن يقبل ان يجبر الاخرين على عتق عبيدهم، في نفس الوقت الذي كان يعيب ويحرم العبودية ويوضح انها خطيئة كبرى ويردد (شر الناس من يبيع الناس) و(اذل الناس من اهان الناس).. ليس خوفا من الظروف وتهديد نواة دولته الاولى كما يرون. وانما لسبب بسيط، ولكنه(مبدأ) لذا فهو يحم النبي نفسه، وهو ان منطقه كنبي هو انه معلم فحسب، يعرض حكمة ولا يفرض قانونا[163]. اي كان سبب عدم الاجبار هو عين التزامه بمبدأ المعلم، وليس ظرفا. ومنطق المعلم هو ان تجبر تعاليم كلماته ارواحهم على قيمة، لا ان تجبر ايايهم عليها. هذه كل القصة في وجود العبودية هنا وهناك ايام النبي.

اما حينما تكلم عن العتق فلايعني انه ضمنا احل الرق كما يرون، بل بالعكس. إذ لو كان الموصي بالعتق هو عينه من قام بتحليل عبوديته فحينها سيكون امره عبثيا. ولايليق العبث بحكيم فكيف بنبي. إنما أدخل النبي مسالة العتق كقيمة دينية من بنية الدين الاخلاقية ومن بنيته العبادية، توانما مع كونه معلم روحي يوجه شكل الفعل النبيل للذات الانسانية، ليحاول بذلك محو شيئا من التركة الثقيلة للعبودية حيث اكثر من نصف البشرية مستعبدة.

---

[163] والا ماذا تنفع اية وادعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فحسب.. اصحاب الفتوحات جعلوها بالنار والدمار.

باقي الاسلاميين مازالوا يكتفون في احسن ردودهم على النقودات الانسانوية التحررية المتهمة لهذا التشريع في الكهنوت الاسلامي؛ بان الاسلام شجع على تحرير العبيد حتى وان اقره للاسياد الداخلين في الجماعة الاسلامية. ولكن عين هذا الدفاع الاحمق يضحك عليه التاريخ نفسه وليس العقل، لسبب بسيط، وهو؛ ان العبيد الذي كانو عشرات في مكة ايام البعثة اصبحو ملايين وملايين في الامصار الاسلامية. وان ماتملكه الجزيرة العربية قاطبة من الرقيق ايام النبي، يملكه فرد واحد في الاسلام الامبراطوري. وان الالف الذي حررهما علي ابن ابي طالب بكد يده خلال اعوام ، سبا المتوكل اضعافهما في يوم واحد.

اليس مؤسفا اني ابحث عن مذهب اسلامي واحد يرفضه، فلم اجد بتاتا. المنبوذون من الامة وحدهم رفضوا ذلك. وابرزهم صاحب زنج وزنجه. فهولاء المتمردون رفضوه كحكم الهي للنبوة، وليس فقط رفضا وجوديا كظلم من طبقة السادة. مع ذلك فالرفض الوجودي هو الذي اسس لهم بديهية كذبة تشريعه. فالجميل معرفيا معهم هو انهم يقيسون النبي وجوديا مع الاشياء والافعال؛ مايليق بالنبوة ومالايليق، حسب انسانوية الفعل والشيء. فهم يدركون بديهيا، استحالة ان يكون النبي طبقيا، استعباديا.

بل بسبب بديهية خطأ الطبقية والعبودية، انتقد الكثير النبوة نفسها ممن انطلت عليهم انها تشريع نبوي وليس كهنوتي. وهو عينه مايمكن ان يفسر لي كلمة الداعية القرمطي الاكبر ابي سعيد الجنابي؛ (لدى الانبياء الكثيرمن الخطل)، حيث احدس بقوة انه يريد بذلك العبودية وباقي الاحكام الطبقية المتوقع انها للنبي لدى الجنابي. بل يؤكد التاريخ انه بسبب هذا القول انتمى اليه الناس بكثرة، وبسرعة تفاجا بها عين حمدان بن قرمط، في انه افضل منه كداعية. المؤرخين يعتبرون انه داهية خدع الناس، بينما الحقيقة هو

ان هولاء النـاس يشـعرون ببديهيـة ظلـم العبوديـة والطبقيـة ولايعلمـون ان الحكـم كهنوتيـا وليس نبويا، لذلك فهم من كان ينتظر من يقول كلمة القرمطي هذا. لانـه يكلم جراحهم، وليس ربهم.

هذا الامر انطلى على كثيرين في التراث غير ابي سعيد الجنابي، بحيث دخل على عين الدرب الصوفي في بعض اخطاءه بعدم عزلهم النبي عن الكهنوت. ولكن مايصدمني هو ان مفكرين معاصرين، اي في فترة تبينت كل الحقيقة، وملمين بالتراث والكهنوت وخدائعه من قبيل هادي العلوي يجد نفسه مصدوما ان الاسلام يقر الطبقية. رغم انـه يعرف ان الكهنوت زور الكثير من الاحكام ودسها على النبي. بل يكاد يكون اختصاصه هو زور الكهنوت والتاريخ فحسب.

4

اتفق الفقهاء وكهنوتهم على ان الاسلام يقول بشرعية نظام العبيد والجواري. كما يقول ايضا بشرعية منطق السبي في الحروب واستعباد الاسرى والتسري بالنساء وإبعادهن عن اولادهن وازواجهن واهلهن وكل العذابات الانسانية الاخرى، في الفترة التي كان الفقه يطوع للسلطان القرآن ونبيه، فيجعل القبيح جميلا والخبيث طيبا والحرام حلالا[164]. وكان سيدا للجواري وليس تلميذا للعلم او رجلا للمبادئ او جيلا للنبي... ثم تاقلموا مع ذلك

---

[164] يمكن هنا مثلا اخذ الاحكام التي جوز بها الفقهاء للسلطان قتل اخوته حين تسنمه الحكم بكذبة اجتهادية اسمها؛ (الحفاض على الدين). اي دين هذا يُعلّم على قتل الاخوة لاجل بقاءه!. هذا الامر حصل مع كثير من سلاطين الدولة العثمانية وابتدئت مع محمد الفاتح نفسه صاحب القسطنطينية واحتلالها.

الشرع، حتى اصبح جزءا من البنية الدينية، التي لها بابها التشريعي المقطوع به، كمسلمة معرفية دينيا او الهيا. حتى تكاد تبلغ معهم عنوان (ضرورة) من ضرورات الدين، يمثل نكرانها خروجا عليه. وهكذا بمجرى كلمة جورج سنتاينا؛ (لاريب ان الرذيلة بين البشر، حين تغدو شرعية دستورية تصبح فضيلة يقرها العرف وتنعت ببهاءها والثبات والقوة). غدا حكم العبيد امرا غير معيب في المخيال الاسلامي الجماعي، تماما كما فعلت رواية التوارة عن حام بن نوح في الاثر النفسي على قبول استعباد الزنوج كامر طبيعي، لدنوهم في سلم البشرية اكثر من سلم داروين، وسلم هتلر. وعموم سلم النبلاء مع فكرة الدم النقي، سيما في الغرب إذبان القرون الوسطى. ناهيك عن الزخم التاريخي لتداول الجواري في العالم الاسلامي كان كبيرا. وبالتأكيد كان يوازيه حضورا (الزخم) التشريعي له في المنظومة الفقهية.

ومما يلفت، هو ان ابواب العبيد في المنظومة الفقهية على كثرتها لاتناقش في مداخلها اصل الحلية كما هي عادة معظم الابواب، وانما احكام العبد مباشرة، وفي زاويا لايعيأ انها ليس في حقوقه وانما في عبوديته ولوازمها. بل الخطاب في الحكم للسيد و ليس للعبد، رغم انه يتعلق به؛ احكام منعه من القضاء وامامة الصلاة، وحق قتله دون قصاص، وعموم التمييز العنصري والطبقي في الزواج وغيره. او مثلا كيف يعاقبه اذا هرب. يسمونه حينهاآبقا، وهي مفردة إنكارية تجريمية. انهم يعاقبون على التحرر دنيويا ناهيك عن تسجيل عقابه اخرويا كخطيئة دينية رسمية فقهية. بينما ابن ابي طالب يعاتب عين العبد ويعتبر ان جبنه عن التحرر والسكوت على عبوديته هي خطيئته قبل ان تكون خطيئة السيد(لاتكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرا). فهل ابن ابي طالب هو رجل غريب عن الدين ومن جماعة فولتير، ام انه رفيق النبي في بناء الدين وقيمه.. او مثلا

يناقشون احكام وحريات البعد الجسدي جنسيا مع الجواري. احكام اقل مايقال عن السوء الاخلاقي الذي وصلته هو انها احكام مواخير لا احكام معابد. بل لاتناسب حتى عين الرجولة العربية الاولى، كما هو مثلا حكم ايجار السيد لقبلة مع جاريته، او ايجارها ليلة او ماشابه. او مثلا اذا حدد له التمتع بسيقانها، فلايجوز الوصول الى صدرها..

بل من مهازل الفقهاء وبنية فقههم هو انهم يؤسسون قاعدة، وبإسم جميل؛ اصالة الحرية؛ (إن شُكَّ في شخص انه حر ام عبد، فالاصل انه حر). هنا يفتحون حلا وقانونا تدبيريا للمجتمع في سوقهم وحياتهم. ليقروا ضمنا مجتمع السادة والعبيد. بل ان خطاب القاعدة هو للسادة وليس للعبيد. كما ان فيها ضمنا ترسيخ بديهية ان الناس صنفان عبد وحر، وليس احرارا فقط. المفروض ان نقاش هذا الامر في حد ذاته خطيئة. لااعلم الم يسمعوا صراخ علي في اوراقهم؛ (ان ادم لم يلد عبدا او امه. وان الناس كلهم احرار.).. انه صراخ كبير؛ ان الناس كلهم احرار.

اليس فاضحا ان امة الكهنوت تتفق على تشريع العبيد وتختلف على تشريع الثورة. بل ان معظم الفقهاء في الاسلام الرسمي يتفقون على تحريم الثورة ضد السلطان الجائر، كما يؤسسون لاجل ترسيخ ذلك قاعدة فقهية لااصل لها، وهي (الحفاض على بيضة الاسلام)، من باب ان الملك يحفض الطقوس والاسم الاسلامي إزاء الصليبيين والوثنين وغيرهم من الشعوب المجاورة. بينما بديهيات نفي العبودية مثل (شر الناس من يبيع الناس) يتجاوزوها دون اي حساب لفضيحة معرفية معها. اليس من السفاهة ان يحمل الفقه في اكبر مباحثه بابا للعبيد هذا يتسع للظلم كله، بينما لاتوجد كوة واحدة للثورة فيه. اليس مريبا ان باب العبيد في المنضومة الفقهية الاسلامية يحمل من الزوايا

والاتساع والاهتمام مالم تصل لربعه أي ايديولوجية استعبادية عرفها التاريخ. كيف يمكن ان يوثق بهذا الفقه إذن.

وبالطبع يرون ذلك من جمهورية النبي ومنطقه الالهي في الارض، وقيمه الانسانية. ليجعلوا مدينة النبي مدينة عبيد وامبراطوريات شانه شأن كسرى وهرقل وغيرهم.اعتقد إذن ان القرمطي ابي سعيد الجنابي كان معذورا حينما اخطأ وقال بخطل الانبياء بعد كل مارأه من تلك الامبراطوريات الاسلامية. انه رجل نبيل تحسر على قيمة وجوديا وتجاوز بها الشرع الى ضميره. فأتهم الوحي بالخطأ ولم يتهم قلبه. وهنا كل العظمة

5

لم يعبأ الاسلام الكهنوتي من اقصاه الى اقصاه في ان يشرك بجريمته النبي نفسه، ليدس على سيرته (.. انه اتخذ من الاماء ثلاثا)، على شاكلة ابي جهل والاخرين. لسببين، اهمهما؛ تغطية لحياة الجواري معهم، تزكية بفعل النبي، كي لايتهم دينيا معاوية والرشيد والسلاطين الذي حكموا اللهو الاسلامي ..

كل القصة مع كذبة الاماء الثلاث مع النبي، و حقيقتها. تختصر بجملة واحدة هي؛ (ان النبي لم (يتخذ) ثلاثا من الاماء، وانما (تزوج) ثلاثا من طبقة الاماء.). وهذا مالايتحملوه ابدا؛ بان نبيا ووجيها الهيا او بالاحرى قرشيا، يتصاهر مع طبقة عبيد، لذلك حاولوا سد ذلك بقولهم انهن جواريه وليس زيجاته. وهذا هو السبب الثاني عينه. فزواج الاماء لديهم لايليق بقرشية النبي وطبقته، سيما انه في فترة التدوين بلغ هذا الامر اقصاه في عيبه. فالأمة تُتخذ للتسري بجسدها دون زواج. وللامر جذوره في القبيلة الجاهلية، بان يصل الامر انه حتى وان تزوج من طبقة ادنى يشترط ان يعزل ماءه

عنها، حتى لاينجب منها ابنا ينسبها، لانها ليس بقدر شرفه وطبقته.. لذا حينما كان مروان بن الحكم يعير الامام زين العابدين بن الحسين على زواجه من امة عبدة، كان العرف يعتبره ايضا عارا. علما ان الامام لم يعبأ بذلك، لان مبادئه من فرضت عليه ذلك في نفي العرقية والطبقية، فليكن مايكن، طالما يسلم مبدأه. بل ان هذا الامر دخل رسميا على الكهنوت ليفرضوا نوع من الحرمة فقهيا بزواج الأمة ان كانت هنالك الى جنبها حرة.

المهم هو انهم لايقبلون على النبي زواجه من طبقة ادنى فقالوا انهن جواري وليست زوجات. بينما يرون اتخاذ الاماء جواريا فقط للتسري كالاباطرة هو مايليق بالنبوة. هذا هو الكهنوت وهذه هي البنية التي ركلت الرسالة.

لابأس ان ننظر الى نص كهنوتي كيف يشوه النبي بهذا الوصف لحياته؛(انه اتخذ من الاماء ثلاثا : عجميتين وعربية فأعتق العربية[165] واستولد احدى العجميتين، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه : مارية القبطية ، وريحانة بنت زيد القرظية ، أهداهما المقوقس صاحب الاسكندرية ، وكانت لمارية اخت اسمها سيرين فأعطاها حسان فولدت عبد الرحمن فتوفت مارية بعد النبي بخمس سنين ، ويقال انه أعتق ريحانة ثم تزوجها (...) ان النبي اختار من سبي بني قريظة جارية اسمها تكانة بنت عمرو وكانت في ملكه فلما توفي زوجها العباس .)[166].

---

[165] هنا يضهرون النبي عرقيا لانه لم يعتق الا العربية. تماما كم جاء لاحقا بمنع استرقاق العربية بحجة ان الله وسع في الاعاجم، وكان الله لايريد عبيدا الا من العجم، اما كرها بهم او حبا بالعرب.. المهم جعلوا الله في ذلك طبقيا.

[166] مناقب ال ابي طالب. ج1. ص 137.

اعتقد انه نص توصيفي لملك وليس لنبي. كل هذا و لايشعر الكهنوت ماذا يفعل بالنبي، انه ايضا بنية اخرى للكهنوت، تلك التي حرت في محدداتها، ولكني اسلفت ان مايهمني هو ان نصل القرف منها فحسب. وها نحن نصل ابعد من ذلك..

علما اني لاادافع عن النبي هنا تدينا كنبي وإنما كموقف اخلاقي ثقافي له كإنسان. بل اعي اسا مهما، وهو ان وظيفة الانسان هو الانسان، وليس الله او وكيله. لذا دفاعيا ابدا ليس ايديولوجيا، بقد ماهو تيقن بان الحقيقة ليست كما هي لدى الامة. ودفاعا عن انسانيته لا عن نبوته، ولنقل اقلها قبل النبوة، لذا في عقيدتي ان النبي اضرته النبوة وعلى اسمه. فلم تأته تلك التهم من هنا وهناك وذلك الدس لولا انه ابتلى بالنبوة.

6

أصل حكاية المبدأ مع النبي في زواجه من الاماء، هو انه لم تكن لديه المشكلة هي الرق فقط؛ في بيعهم وشرائهم واستعبادهم ومعاناتهم، وانما كانت الطبقية بعنوانها الاكبر، التي يعود لها اصل احتقار مجتمع الرق. إذ حتى وان تحرر العبيد فهم سيبقون طبقة اجتماعية محتقرة ومنبوذه في مجتمع الجزيرة بحيث لايجوز تزويجهم ولا الزواج منهم. لذا لم يكن هم النبي ان يكتفي برفع الاستعباد ومنعه، وانما مساوات طبقتهم مع باقي الطبقات، وتأصيل مسالة وحدة الانسان. اذ حتى وان حرم الاستعباد، ولكن المجتمع القرشي وباقي الطبقات الكبرى بقيت رافضة للتعامل مع العبيد في اجتماعياتها. وهكذا بدأ دربه المعروف في تزويج المقداد واسامة واخرين بفارق طبقي كبير. وقام هو بنفسه بذلك حينما تزوج من ريحانة وجويرية وماريا وصفية. ليس فقط لانهن إماء، بل

ايضا لانهن من اديان واعراق عدة. لتثبيت الاممية ونفي الشعوبية من جهة ولترسيخ وحدة الاديان.

بل ان عين كثرة زيجات النبي تاتي في الوجهةالعامة لهذا الاطار التوحدي، فزوجاته كن من اعراق عده ومن طبقات عدة ، ومن عشائر عدة ، كي يوجه بهن قيمة كبرى، تتمثل في وحدة الانسان وتوحيد عناوينه. سيما اذ عرفنا ان التوحيد الديني مع النبي كاصل اول هو التوجه الانساني وليس التوجه اللاهوتي، فالموحدين لديه، ليس هم القائلين بالالوهية الواحدة، وانما هم القائلين بالبشرية الواحدة.

هذه اصل الحكاية رماها النبي في قلب الجزيرة وعانى من اجلها كحكاية قيمه ارادها الاسلام، ولكنها انتهت مع الاسلام التاريخي وفقهاءه بان انقلبت الى ضدها. واصبح معها النبي مشرعا لاسلام الرقيق. أعاتب هنا الوجود؛ فلما كل هذا العناء، دون ان يتغير شي. وكان الله زاد الطين بله بانبياءه، والذي قاله من اجل العبيد اصبح عالا عليهم.

علما ان التاريخ في اصوله الكبرى يقول بدقه انه تزوج منهن، ولكن الكهنوت حينما يتكلم عن نساء النبي يصر على تسميتهن جواريه، ويحددهن، حينما يأتي ذكرى نساء النبي، بان ريحانة وصفية وجويرية، حتى ماريا[167] ام ابنه ابراهيم، هن جواريه. واحيانا يكون تعديهم اكبر بتوصيفهم ان ماريا وصفية هما سريتان له[168] وليس جواري. إذ السارية هي للمتعة الجسدية بينما الجارية قد يُكتفى بخدمتها فحسب. بل ان تلك الاصول الكبرى للتاريخ تقول انه كان قد اعتق كل تلك النسوة في طريق تحرير العبيد.

---

[167] المغني، ابن قدامة، ج8ص 150... البيهقي، السنن الكبرى، ج10، ص346... فتح الباري، ابن حجر ج9، ص253... الطوسي، تهذي الاحكام،ج8، ص41.....

[168] مناقب آل ابي طالب - ابن شهر آشوب ج 1 ص 139.

فماريا اعتقها من المقوقس، بينما الكهنوت يقول انه اخذها هدية منه على شاكلة الملوك في اهداء النساء. وكذا الامر مع زوجته جويرية حيث استنقذها من اسارى بني المصطلق بعد انكسارهم.

من جهة اخرى في سبب هذا الدس هو ان بعضهن يهوديات، الاولى ريحانة بنت عمر بن خنافة من يهود بني قريضة، والثانية صفية بنت يحيى بن اخطب من يهود بني النضير. الامر الذي مثل عقدة مع الاوائل بعد النبي وزاد الامر، سيما حين تحول المجتمع الى مجتمع حربي ضد باقي الاديان. وهنا سيكون الدس على النبي بتحويلها من زوجة الى جارية رافعا شرعية زواج نساء باقي الاديان. لذا نجد تحريمات ملحة من قبل بعض الصحابة لنساء الاديان الاخرى.

لااعرف كيف بقي النبي نبيا بعد كل هذا الدس عليه؟!، واهم مافي ذلك هو ما يرصفونه للنبي في السبي مع صفية بنت حي بن اخطب ليجعلوا له قصة لايقبلها على نفسه حتى المحارب غير الاخلاقي، والمتهتك في حربه، فكيف ان كان نبيا. بينما الكل يرددها في كتبهم الداخلة ضمن تسمية الصحاح..

يقول الكهنوت ان صفية هذي يُقتل زوجها وابوها وعمها بأيدي المسلمين، فياخذها النبي، ثم لايلبث الا قليلا بعد المعركة حتى يختلي بها، بل يعناء ان يوقف الجيش لينصب خيمة له معها عدة ايام من اجلها وسط اصحابه. اي بنية للكهنوت سمحت

لنفسها ان تشوهه هكذا. والاهم هو، اي بنية لدى المتنورين والمجددين سكتت على هكذا سوء باسم النبي.

اختصار مايقوله الكهنوت في ذلك تاريخيا: (صارت صفية لدحية في مقسمه، وجعلوا يمدحونها عند رسول اللّه. ويقولون: ما رأينا في السبي مثلها.. قال الرواي: فبعث إلى دحية فأعطاه بها ما أراد، ثمّ دفعها إلى أمي، فقال: أصلحيها، ثمّ خرج رسول اللّه من خيبر حتى إذا جعلها في ظهره نزل، ثمّ ضرب عليها القبّة)[169]. او (فلمّا فتح اللّه عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قُتل زوجها فكانت عروساً فاصطفاها النبي لنفسه، فخرج بها حتّى بلغنا سد الصهباء حلّت، فبنى بها)[170]..

كيف دُست على النبي وكيف قُبل دسها طوال تلك القرون، دون اي غيره عليه. سيما ان من يعرف اساس ماحدث في نفس اليوم من قتل لبني النضير قاطبة من اليهود، وماسيكون في تلك الليلة من عذابات الايتام وبكاءهم على اباءهم واخوانهم وبل وامهاتهم اللاتي نمن في تلك الليلة في احضان المسلمين لااضنه يقبل ان يضاجع فتاتهم وهي بتلك العذابات بموت اهلها وضياع بلادها. بل كيف يمكن توقع ان نبي ياتي عن موت ودماء وينام مع الجواري في اول ليلة بعد المعركة. بل ان عين صفية كان قد قُتل ابوها وعمها وزوجها واخوها. لااعتقد ان اي نقي يقبل ان يضاجع امراة قُتل اهلها للتو. وهي في بحور من الالم. بل كيف ان كان هو سبب قتلهم. بل من أخطاء هذا الكذبة التاريخية، هو انهم فقهيا يسيرون بالف جهد حتى يؤكدو انه لايجوز مس المسبية الا بعد حيضة، بينما يجعلون النبي اول من يعصي حتى هذا، لان روايتهم تقول انه ضاجعها من اول ليه. مضحك امر هذا الكهنوت.. هذا هو الكهنوت ودسه على النبي وبنيته وعموم ذاته. اي بلوغ هذا للعارررر. لعل تلك الراءات تضيف دلالة ابعد.

---

[169] . مسند أحمد:3|163؛ صحيح مسلم:4|152.

[170] صحيح البخاري:5|135

يمكن ايضا رؤيه هذا الدس التشريعي والتاريخي، في دين رجل الفقراء والتعساء والعبيد والمتألمين، على ابن ابي طالب، كابرز تلميذ نبوي في طريق الضياع الاسلامي ، وصاحب المقولة الاولى للعبيد في الثورة (لاتكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرا) والمختصرة لكل دستور العبيد دون اي مبالغة منبرية، والتي لايمكن ان نجد لها بديلا منذ اسبارتوكس ومزدك مرورا بصاحب الزنج الى مارتن لوثر كنغ، ولن يجدوا.. ليس لانها توكد حق الثورة لاهوتيا/ (وقد خلقك الله حرا)، كما وجوديا بانها الماهية والهبة والحق الاول في اصل الخلق. كما ليس لانها مقولة (ثورية) تحريضية. وانما لان ثوريتها على عقل العبد لا على سياط السيد[171]. بينما من غرابة أمّة الفقة في الاستعباد، ليس هو انها تشرع ان يكون هنالك عبدا للسيد. وانما خطيئتها هو انها لا تجيز للعبد الانفكاك عن سيده، وتعتبره حراما نبويا. بل، لا تتركه وحرمة الله فقط. وانما تشرع عليه حدا دينيا يضع على ظهره سياطا باسم النبي ان تحرر من سيده ، وتسميه حينها (آبقا) تجريما له .. هذه امة الفقه، وذاك تلميذ النبي..

هذه الامة تروي مقولة الثورة تلك لعلي وتعرفها جيدا عنه، كما انها عرفت هذا الرجل جيدا، ووصلت حتى الى تأليهه، ولكنها لا تبالي مع عين الكهنوت الشيعي الذي يتخذه

---

[171] تغني في طريق ذلك كلمة البيركامو في المتمرد واصفا اياه ! هو ليس مجرد عبد يثور على سيده، ولكنه إنسان يثور على عالم السيد والعبد.

مذهبا، ان تقول عنه؛ (انه توفي عن ثماني عشرة ام ولد)[172]. اي وطاهن جميعا ليتهم قالوا ثمانية عشر جارية، لكنا تأولنا ذلك انهن عشن في كنفه يأويهن لاجل الفقر، وانه ابو اليتامى والمساكين. او اقلّها جاريات خدمة، رغم ان ذلك يكفيهم لتزوير تشريع (الرق) عنه. اما ان يُجعل هذا (الامام) رجل حزمه من الزوجات والجواري ، ومشغول بالنساء. فهو ظُلمٌ من مدعي مذهبه ومقدسيه لم يظلمه به معاوية عدوه.

علي هذا المدسوس عليه هكذا سوء من عين مقدسيه هو عينه الذي كان يعمل في خدمة خادمه قنبر اكثر من خدمة قنبر له، وياكل اقل من ماكله بكثير، وهو عينه الذي لم تكن هوايته الا عتق العبيد ، فهو الذي اعتق في زمن النبي فقط الفي مملوك مما مجلت يداه. و احيانا بفتح جب ليهودي. وهو عينه الذي ورطه الدرهم الذي ساوى به العطاء بين العبد قنبر وبين طلحة والزبير حروبا وحروبا وخروجا عليه. هذا الادمان في شخصية علي هو ادمان مبدأ لم يقبله ادمان القبيلة من عرب الجزيرة..

ومن عين الكهنوت الشيعي وبنيته المشوهة لعلي اكثر من معاوية، يبرز مثال من خبر لكهنوته يريد به تناول وجهة مذهبية شخصية، ولكنه يبين حماقة المذهبية عينها في عين مصلحته السيئة. خبر طويل نهايته يخاطب به علي النبي ؛(..أن نبوتك هذه سيكون بعدها ملك عضوض، وجبرية، فيستولى على خمسي من السبي والغنائم فيبيعونه، فلا يحل لمشتريه، لان نصيبي فيه، فقد وهبت نصيبي فيه لكل من ملك شيئا

---

[172] مستدرك سفينة البحار ، علي النمازي، ج4، ص336. لا باس التنبيه ان صياغة الراوي الاساس هي؛(توفي صلوات الله عليه عن ثماني عشرة ام ولد). ولابأس الانتباه الى التناقض الداخلي بين تبجيله بالصلاة عليه وبين ماينسب له من تشوه.. رواية اقطع لو اراد علي ان يرويها عن رجل يملك هذا القدر من النساء لقال عنه ، توفي لعنه الله عليه عن ثماني عشرة ام ولد. لانه يعرف انه فعل طغياني ومتوحش وظلم لتلك النسوة بعيدا عن عبوديتهن.

من ذلك من شيعتي، لتحل لهم من منافعهم من مأكل ومشرب، ولتطيب مواليدهم، ولا يكون..)[173]..علي هنا يجعلواه طامعا بالسبي والغنائم، ومحلالا لهما، ومتحسر عليهما.. انهم يشوهوه فقط لاجل نجاح صراعهم المذهبي. لايهم لديهم علي، مايهم هو المذهب فحسب. تماما كما تكلمت عن البنية التي يكون بها حال الشيوعيين؛ لاتهم الشيوعية، مايهم الحزب الشيوعي. وعلى نسقهم كل الاحزاب في فراق الايديولوجيا.

او هذا الخبر في حرب اليمن وعلي عليها؛(... فظهر المسلمون على المشركين , فقتلنا المقاتلة ,وسبينا الذرية , فاصطفى علي امراة من السبي لنفسه. قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد الى رسول اللّه يخبره بذلك , فلما اتيت النبي دفعت الكتاب اليه فقرى عليه , فرايت الغضب في وجه رسول اللّه...فقال رسول الله: لا تقع في علي فانه مني وانا منه)[174] ، هنا الكهنوت الشيعي من حيث لايشعر يجعل عليا محللا للسبي ومقتنيا للجواري، وابن الوليد هو المعترض.

كذا ماشوه به علي في قصته مع خولة بنت جعفر الحنفية ام ابنه محمد بن الحنفية، رغم زواجه الطبيعي منها ، بل زواج اخذ من الشرعية مالم تاخذه ايا من الزيجات الاخرى. ولكن التاريخ في طرفيه، اصحابه وغيرهم يعتبرونها سبية، مع ان علي كانت ازمته عين تلك التسمية، وكان قلبه ينعصر ، حين شاهد ابن الوليد، وهو راجع بالنساء من الحرب يسميهن سبايا باسم النبي، وكان علي وقتها حكيما صامتا ، لا يتدخل بهذا الاسلام في هؤلاء، لان نبي هذا الدين عينه لم ينفع معهم. وتلك هي قصة اعتزاله ما يقارب خمسة وعشرين سنه.

كانت خولة هذه قد جاءت مسبية مع خالد بن الوليد في سبي من عرب الجزيرة. فاستنقذها علي نخوة بعد ان استغاثته. واودعها عند زوجته اسماء، وحينما نوى زواجها،

---

[173] تفسير الامام العسكرين ص87.

[174] شواهد التزيل لمن خص بالتفضيل. الحاكم الحسكاني. ص322.

لم يسمح لنفسه بذلك الا بعد ان انتظر مجيء خالها القاسم بن مسلم عاما كاملا ليخطبها منه، رغم انه في دين النبي لا حاجة لغير اذن المراة في الزواج، سيما بعمر خولة حينها وبرشدها . الا ان مجبيئها من ديارها قسرا ، بعنوان السبي ، حتم عليه ذلك. رفعا لفكرة السبي ونزولا عند مبادئه الاخلاقية لكرامة تلك المراة . فتزوجها بوجود اهلها، دون صفة ام ولد ولا غيرها من التسميات الطبقية..آه ياعلي.. ماذا فعل بك مذهبك.

سرقة العمامه..

(عبادة الله ليست الا سخرية من الله..)

كيركجارد

(وهل رأيت فقيها.؟!..)

الحسن البصري

1

لا أضنني يوما رايت فقيها. كل مارايت هي عمائم فحسب[175]. لا من جهة ان الفقه الحقيقي ليس هو فقها بالدين في نصوصه، وانما هو فقه بالله في انسانه، وبالانسان في وجوده؛ حياته والامه ومعاناته، لا صلاته وصيامه وحجه. وانه فقه وجود لا نصوص. هذه جهة اتنازل عنها رغم انها الاس الاول.. وانما، لا أضنني يوما رايت

[175] لم يكن يريد الحسن البصري هكذا وجهة.. لذا عملي كان هو ان أقطعها من سياقها البارد كي تجد اللغة هنا نارها..

فقيها، لجهة ان الفقيه التقليدي يحلل مايرى حرمته وخطيئته بكل وضوح البقال والراعي والعجوز وكل من يستطيع ان يبكي. ولا دليل ابرز على تجاوزه بديهية العجوز، الا قبوله شرع السبي والعبودية؛ حلية اغتصاب امراة في ليلة مقتل زوجها وابيها واخوتها وجيرتها، وفي لحضة لاتعرف اين اولادها واين بكاءهم، وباقي اهلها. ومايجره الامر من تراجيديات لايمكن للغة ان تختصرها. وهو مما لاتقبله العجوز وترى خطيئته دون حاجة لمعرفة دينية. كل ذلك يحللونه لان لديهم نصا في دليل الجهاد، ونصا في السبي، ونصا في التمتع بهن، ونص في الاستعباد..

لديهم نص، اجل. ولكن لاأضن لديهم قلبا. لذا ليس لديهم فقها. حتى تكاد ترسخ معي قاعدة؛ كل من يلف راسه، ستلف حتما الايام قلبه. تماما كما كان يقول السياسيون النادمون؛ لقد مسنا التاج.

في النصوص كل اللصوص. في القلب كل الله.. بكل جدية معرفية، هذه هي القصة هنا بين الفقيه والبقال؛ إزائية النص والقلب. وهو المدار الذي تلوحه ايضا كلمة البسطامي العابرة؛ تقولون فلان عن فلان واقول قلبي عن ربي.. او كلمة؛ عن قلبي عن ربي حلاجيا..اللتان تقعان في مركز الوجودية اسلاميا. بين ديانة الفقيه وديانة القلب.

2

من الاسس الاهم، بل التي يقوم عليها كل الفقه الوجودي، والتي تمثل في نفس الحين الدخول على كل العيب المعرفي في اصول اجتهاد الفقه التقليدي وعبثه. هو ان الحرام الانسانوي الواضح للجميع لايكون حراما لديهم حتى يكون حراما دينيا. اي يحتاج الى

حرام باجتهاد فقهي نصي تقليدي او عقلي ينتسب الى نص، ضمن وقاحات الادلة والمتمادية في لعبة التاويل والدس. رغم ان الحرام الانسانوي هو حرام ذاتي و بدهي في عيبه. ومن لايراه خطيئة بذاته فلا يكفيه الف دليل ودليل شرعي، ولا حتى وحي اخر. بيما الفقه الوجودي. فلديه كل ماهو غير انسانوي هو حرام شرعا حتى وان لم يكن هنالك نص، اي دون الحاجة الى تقرير انه حرام ديني بنص او ماشابه. بل في الفقه الوجودي اساس الحرام الديني هو ان يكون حرام انسانوي، والا لن يكون حراما حتى وان جاء الفقيه بنص صريح بذلك. اي ان الانساني في حرامه هو الذي يحدد الديني في حرامه وحلاله وليس العكس. بحيث الحرام الديني نفسه يحتاج الى دليل في الحرام الانساني كي يصح انه حرام الهي. اعتمادا على اس كلامي وجودي بان الحرام الالهي هو الحرام الانسانوي دون غيره. وبالتالي الاحكام تابعة للحرام الانسانوي فحسب.. لان غايات الله اصلا في شرائعه عموما سواء مع محمد او مع عيسى او مع قلب غاندي هو البعد الانسانوي لاغير. إذن ليس من جهة اولوية الانساني على الديني، وانما لان الديني الحقيقي هو الانساني فحسب. فلاحاجة للتوسل بنص او كتاب.

وان كان ولابد فيمكن تأكيد اهلية وشرعية هذا الاس للفقه الوجودي بعين اصول الفقه التقليدي المؤودة، مثلا مع قاعدة(الاحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية) التي تمس واقع الانسان ووجوده وحياته، في كرامته وعزته وفي عبوديته وظلمه، وليس تلك التي تحل قتل الاخرين من اجل مصلحة ومنفعة الذات او باسم مصلحة الحفاض على بيضة الاسلام. لذا من اللصوصية الكبرى في ذلك هو ان الحرام الاكبر انسانويا من قبيل الاستعباد والسبي هو حلال ديني. اعتقد ان ذلك وحده يكفي للكهنوت ان يرحلوا عن الفقه..

فقهيا؛ الكهنوت الاسلامي حلل وطأ المراة التي (تُشترى)، او تلك التي (تُسلب) بالقوة في الحرب، وحلل ملكيتها وعموم ارادتها ووجودها، من قبيل انه لا يصح حتى زواجها الا باذن مالكها. شأنه شأن المنطق البربري الذي حاربه النبي عند ارستقراطيات الجاهلية العالمية، وبشكل لم يعرفه حتى ابي جهل نفسه، سيما بتلك الصورة التي يضع بها خليفة المسلمين، ثلاث الاف جارية للمتعة[176]، وبحلية اتفاقيه من الكهنوت تشريعا، ومازال الاتفاق على شرعية ذلك الفعل السلطاني دون ا ي ادانة لذاك الحكم. علما ان عين تلك المرأة المشتراة، هي اصلا كانت قد أُخذت من ديارها بالقوة بشكل من اشكالها[177]، او ورثت العبودية عن ابوين جرى عليهما ذلك الغصب، فلديهم(ابن العبد عبد)، دون اي حرج. بكل الاحوال تعود المسالة الى المنطق البدائي؛ (القوة والمال). اي منطق القوي والضعيف، والغني والفقير، ليس الا. اذن مالفرق بين الاسلام العربي والجاهلية العربية ان قبلا كلاهما ذلك..

المؤلم في انسانية المعرفة مع الكهنوت وفقهه هو انه لا أهمية لديهم في حيثيات التشريع لحقيقية أصل هذه المراة وقصة بؤسها ومجيئها لهذه العبودية؛ أي ظروف واي

---

[176] هذا الرقم وصل اليه المتوكل العباسي. رقم لم يصله حتى الخلفاء العثمانيين رغم الشهرة التاريخية لمفهوم الحريم في تأسيسه وخروج ظاهرته معهم.

[177] يشابه الامر بنسبه ما المناط الشرعي في حلية الزواج التقليدي. بحيث يكفي حضورها مع احدهم لرجل الدين، دون معرفة ماوراء قلبها، ماوراء ضروفها، ماوراء قدمها. هل اجبرت اقدامها الظروف ام قلبها جاء بها. لايعباون بذلك اطلاقا. الفقهاء اعداء القلب دائما.

وحشية واي جريمة جاءت بها الى قبضة البائع. رغم انه لانقاش في انها قصة بؤس وظلم. إذ حتى ذلك الذي يبيع نفسه عبدا، كان يبيعها لان وصل حدا من الجوع والبؤس لايمكن تصوره. والا ليس هنالك من يسير لعبوديته بقدميه.. يمكن وعي بؤس المجيء بماحصل مع عين رابعة العدوية المتصوفة المشهورة، فهي لم تكن مسبية يوما ولم تكن ابنة عبد، وانما كانت هائمة على وجهها بعد ان ماتت امها في عام كان قد اصاب البصرة قحطا ومجاعة، فتفرقت اخواتها هائمات كما هي. وهنالك في تلك اللحضة الحرجة انسانيا اخذها احدهم، وبكل بساطة، باعها بست دراهم[178].

لااظن ان احدا يستطيع ان يؤمن بالله لهكذا دين اطلاقا. هذا هو الفقه، وهذه هي بنيته الاجتهادية. كيف سمح لهكذا الم ان يجري باسم الله. قلب الملحد لايقبل بذلك. بينما عقل الفقيه قبل هنا. لذا قلب الملحد اقرب الى الله من عقل الفقيه. وليس قلب الغانية فقط. ولكنها الاسماء من تحول دون وعي ذلك، لذلك احب كلمتي كثيرا؛(الحقيقة ليست بعيدة، الاسماء تبعدها).

4

أس تُشترى في حلية التشريع فضيحة بحد ذاته، ولايخجل الكهنوت في ذلك من عين كلمة النبي وسط التراث(شر الناس من يبيع الناس) التي كانت فيها كلمة (يبيع) هي أس الخطيئة، علما انه حتى مفردة تُشترى في الاس الكهنوتي ذو حقيقة اسوء من

---

[178] هنا الفقه يتجاوز حتى منطق الشراء والسبي في حلية الاستعباد، ليكون المهم لديهم هو ان تكون المرأة بيد احدهم، سواء كانت تصرخ من ظلامتها او صامتة في قدرها.

دلالته ولايملكها اصلا. فمال الشراء لا يذهب للجارية، سيدها يأخذه. لان الجارية ليست طرفا في البيع؛ السيد والمشتري يمثلانه فقط. تماما كما هي ملكية الحيوان وعنصر المال في ملكيته، حيث المال لبائعه وليس للحيوان[179].

كل شيء يعود لسيد المملوكة، ويأسفاف لاتقبله أي قيمة انسانية إطلاقا؛ ان شاء باعها او وطأها او زوجها او قتلها حتى. فلاحساب عليه في ذلك، إذ(لايقتل الحر بالعبد) في شرعهم، وهذا الحكم من الفضايح التشريعية للكهنوت ايضا في تبنيه صفة الامبراطوريات القديمة، وتضاده مع المبدا النبوي في الحقوق وعدم التفريق بين عربي واعجمي أو اسود وابيض- ومن التمردات الجميلة لابي حنيفة على الكهنوت هو تمرده على هذا المنطق ومساواته العبد بالحر في القصاص - او إذا شاء سيدها أجرها ايضا[180] او اجر جزء من جسدها لرجل آخر، ليلة او ليلتين، وبإلزامات جسدية لاينتمي شيء منها الى زاوية من زوايا الزواج، باعتباره الشكل الاساس للحلية لديهم. فالجارية تنتقل من رجل الى رجل. فرج متنقل ليس الا. وفي هذا كانوا ابرز مشريعي الزنا في اسوء وجوهه التاريخية. ليس فقط لان جنس الجواري يخلوا حتى من ديمقراطية المبغى في حرية الفتاة وبيعها لجسدها وقتيا. وانما للاضافات الفقهية المتصفة التي جاءت مع تنامي الضاهرة وبروز قصة الحريم وما رافقها من فتاوى سادرة في الغي، احلت حجر

---

[179] لاعجب إذن ان سوق النخاسة في اصل التسميه هو لبيع الدواب. ومن ثم استخدم لبيع الرقيق. لابأس فافلاطون عينه يسميهم ماشية بشرية. ليس هم افضل منه.

[180] تماما هكذا كانت القوانين القديمة مع السومريون والفراعنة حين كانت تمنح الحق للسيد بان يسلم امته الى المبغى لقاء اجر معين.

الالاف من الجواري لرجل واحد. وهو مايكفي الى الاعتراف بان الفقه وامته تجاوزوا على النبي اكثر مما تجاوز عليه اعداءه.

(مملوكة) هذا هو الاسم الفقهي لشرعية الوطأ. إسم لايخجل المصطلح الاسلامي من وجوده في منظومته، كما لايخجل من أتخاذه اسا شرعيا (للوطأ)، بينما عين اللادينيين، سيما في القرن الثامن عشر ومابعده كانوا يعتبرونه أكبر خطيئة تاريخية للانسان، فكانوا في ذلك اكثر دينا من الدينيين اعدائهم. هذا ماتجهله؛ إذ كثير من اللادينين هم اكثر دينا واكثر قربا الى الله من الدينين انفسهم، سيما المتكهنين. لذا،لا اعجب ان الجنة ملينة باللادينين. بل لاشك انهم الاكثر هناك. جميل ان تجد فولتير اللاديني في اروقة الجنة، بينما هارون الرشيد امير الدين يحدق به من النار.

يقولون شراءوها يكفي لوطأها، ولكن الغانية ايضا تشترى بالمال. فما الفرق بين غني في زمن الرشيد يشتري من النخاسة فتاة ما فيضاجعها ، وبين غني هذه الايام يشتري من مبغى إمراة ليضاجعها..؟؟! لماذا الاول الهي وشرعي وديني، والثاني زنا وعهر وسقوط. هل هنالك من سقوط مثل هذا السقوط المعرفي فقهيا.

5

السوء الاكبر للكهنوت التاريخي، هو تشريعه منطق (السبي) بجعله اسرى حربه عبيدا. واحيانا مع اناس لم يحاربوه اصلا، فقط من اجل الغنيمة والاستعباد عينه، واحيانا فقط لحاجة الجواري. فياخذ الرجل المراءة لفراشه بعيدا عن زوجها واطفالها واهلها، سواء قُتِل زوجها او تحول الى عبد بيدهم. ويجرها من ديارها الى دياره ، بسوطه وسلاسله، ويضعفها وعذاباتها. هنا العذابات ليست سلاسلها، بقدر ماهو فراقها الديار والحبيب

والاهل والاطفال، وما حل بهم من موت وجوع وتشريد واستعباد. وهو المنطق الذي تنتمي جذوره الى الحقب البربرية في التاريخ، حين تجاوز المحارب فيها قيم الرجولة في النصر والهزيمة. رغم انها القيم الاولى في محددات الحرب وعنوان الفروسية فيها. فمفهوم الفروسية لم يكن مرتبطا بعنوان القوة بقدر ماكان مرتبطا بقيم النبالة مع العدو، وكذا الامر تماما مع مفهوم الرجولة، في انها كانت نبالة مع العدو وليس قوة. تلك التي نراها في الاساطير باشكال عدة بين الاعداء، او اقلها في غير الاساطير مع موقف علي مثلا، حينما يسمح لعدوه في صفين بان يشرب من الماء الذي في ساحته. رغم ان هذا الماء كان يمثل استراتيجة النصر. ولكن علي يخسر حربه ولايخسر فروسيته ومثله. لذا يستحق ان يقال عن مواقف علي انها اساطير لان الناس لم تالفها اصلا.

رغم ان الاسس النافية للسبي كثيرة مع النبوة وانسانها، سيما الكليات النبوية التي سلفت في قاعدتي (السلطنة ولا ضرار)، ولكن لابأس الاكتفاء بمفهوم الاسير في قصته النبوية.
لم يكن في منظومة النبي فيما يتعلق بالحرب مفهوما باسم (السبي) البته. كان هنالك المفهوم الطبيعي (اسارى). وهو امر معروف في كل المعارك التي حصلت ايامه، وتداول كلمة (الفدية) ومفردتها في حروبه بكثرة تدل على ذلك. كما ان القران يتداول هذه التسمية، بل يجعل الاسير دون غيره الى جانب احبابه اليتامى والمساكين، و يجعل اكرامه من صفات الاولياء؛ (الذي يطعمون الطعام على حبه يتيما ومسكينا واسيرا.) بل هنالك عمق اخلاقي آخر في آية؛(قل لمن في أيديكم من الاسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم). سيما ان كلام الاية منحوت اصلا لاجلهم، وليس للمنتصر .وبصياغة تودديه لاتجريميه.
إذن النبي لم يقف على منح العدو المستسلم مفردة اسيرا فحسب، وانما شرع لهذا الاسير اخلاقيات وحقوق، لم تقلها ايا من اليوتوبيات قاطبة. بحيث يكاد يكون مفهوم (الاسير) مع النبي في حقوقه قريبا من مفهوم (الضيف) وصنوا له. بل واكثر من ذلك

مثاليا بمايصدح به التراث مع موقف وكلمة لعلي ابن ابي طالب حينما قدموا له الطعام، وفي رأسه شق من ابن ملجم، ليرفضه ويسأل؛ (هل اطعمتم اسيركم..). للاسير اولوية عليه، رغم انه غادر وليس محارب. اه يأبا الحسن لم تكن الارض لك.

بينما لنرى كيف يصف مفسر ومؤرخ وفقيه حكم الله في الاسرى، وشكرا له انه اسماهم اسرى في منتصف نصه المتوحش هذا؛ (ويعامل الأسرى باحترام، وللإمام أن يحكم فيهم بقبول المفاداة أو المن، بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو ضرب الجزية عليهم إن كانوا كتابيين، أو استرقاقهم أو قتلهم مراعياً في ذلك المصلحة)[181]. انظر نهاية الفتوى (أو استرقاقهم أو قتلهم مراعياً في ذلك المصلحة). بدا النص باحترام وانتهى بفتوى قتلهم..يضحكونني هولاء المؤرخون والكهنة كثيرا. اي مقاربة يمكن ان تعقد بين كلمتي احترام وقتل..لا افهم. واي مصلحة تلك التي تُقدّم على قتل الناس. بينما دين محمد وجمهوريته تقدم الانسان على الله نفسه(الانشغال بالخلق عن الحق)، سيما بما اسلفنا مع حادثة عمار، فكيف هنا تُقدّم الدولة على الانسان. اذن الدولة اهم من الله في بنية الفقه. ولكنهم يعرفون كيف يخرجون منها ليطلوا ذلك بانها دولة اسلامية وليس اي دولة، لانها تمثل كلمة الله وفيها تقام شعائره وعبادته. اي عبادة تلك التي تقام بقتل الناس!.

6

لا بد من المرور على الكهنوت وفقهه في دليله والزاوية التي يؤسس عنها السبي ليس لفتح جدل صحة وخطأ ذلك، لانها خطيئة ذاتية لاتحتاج الى دليل، وانما فقط لتبيان البنية الرغة في الدليل التقليدي وخروجه عن كلمة معرفي اصلا. وهو ديدننا مع كل

---

[181] ابن حجر : فتح الباري 6: 152.

الادلة المعروضه هنا. وبسبب تلك البنية حصل ماحصل في التاريخ لالف واربعمئة عام وتغير على اساسه تاريخ وتاريخ ومجرى ومجرى.

لا يملك الاسلام التاريخي ادلة نبوية او قرانية في مسالة (السبي) وتشريع وطأهن، رغم كثافة وجودها في المجال الاسلامي، كتاريخ جواري. كل ما في حوزة الكهنوت وفقهه حديث يتيم، وحدث يتيم، أصلا لم يجد احتراما توثيقيا من عين رجالات المنظومة التقليدية. حتى ان ماقاموا به من معاضدة لتقوية جانب الحديث، بزخرفته باية أجبرت على هذا المدار، لم يكن موفقا، لانها كانت قد استخدمت في عناوين ومواضيع اخرى واسباب نزول اخرى من عين المنظومة التقليدية، بحيث لم الحظ تشرنما في التاويل واسباب النزول كما هو معها.

حديثهم الوحيد يرتبط بما حدث غداة (معركة اوطاس). واوطاس هي اسم الوادي الذي آل اليه الشق الاول من فلول معركة حنين مع جماعة هوازن. حيث ذهب الشق الثاني الى الطائف، ولحقهم المسلمون الى هناك. وينقلوه عن ابي سعيد الخدري دون اي اخر، انه؛ (أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج ، فسألنا النبي، فنزلت هذه الآية (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم). قال فاستحللنا بها فروجهن)[182].

---

[182] البداية والنهاية، ابن كثير ، ج 4 ، ص 388. معاني القرآن، النحاس، ج 2، ص 57.

الغريب في الحديث هو ان المسلمين (كرهوا) وقرفت قلوبهم وقيمهم ان يحل لهم السبايا، بينما سمح الله بذلك. وكانهم لم يقبلوا بتلك البربرية ، بينما الله حرضهم عليها.!!. هكذا يجعل الكهنوت الله.

بل نجدها برواية احمد ابن حنبل وغيره قد تركزت على زاوية (تاثموا)؛ (أن أصحاب رسول الله أصابوا سبايا يوم أوطاس، لهن أزواج من أهل الشرك، فكان أناس من أصحاب رسول الله كفوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك؛ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)[183]. وكذا كرر ها النسائي؛ (تحرجوا من غشيانهن). إذن هذه الزاوية من التاثم والتحرج والكره لازمة للحديث اينما نقل..

هذا مايجعلني اعتقد انه فعلا كانت تلك الكلمات قد قيلت في الحدث وان حادث التحرج والتاثم قد حصل. ولكن باقي القصة غير هذا. وقعت فعلا نساء اسارى بيد المسلمين، واراد بعض مسلمي الغنيمة، ان يقترب منهن على عادتهم في سبي الجزيرة، فتحرج الاخرون من المؤمنين واعتبروه اثما.. الى هنا الحدث صحيح ولكن أقطع انهم لم يعودوا ويستفتوا النبي. لسبب بسيط، وهو لان الحكم من النبي معروف اصلا لديهم، لانها ليس اول حرب تصادفهم فيها نساء. أذ كون الامر حدث في عام اوطاس هو في ذاته اعتراف ضمني من الكهنوت نفسه يؤكد بانه يحرم لمس المسبيات. وهنا يقعون في فخ كذبهم، فأوطاس هي من اواخر الحروب، ولطالما كانت هنالك نساء في ماسبق من حروب عليها. بل في عين المعركة الي سبقتها أي حنين والتي شارك فيها عين جماعة ابي سعيد الخدري كان هنالك ستة الاف من عوائل الاسرى. وبالتالي فالمفروض انهم عرفوا

---

[183] البداية والنهاية - ابن كثير ج 4 ص 389 .

تصرف النبي مع النساء في تلك الحروب السابقة، وشرعه فيهن، وانهم سالوه مسبقا. فلما يسالوه في اوطاس فقط، والمفروض انه يُسأل في اول الحروب. وبالتالي يكون عين استدلال المفسرين على السبي بهذه الحادثة المتاخرة دون الحوادث الاولى هو اكبر دليل على كذبة الدليل وتلفيقه.

بل أعتقد انه لم يجرؤ احد على سؤال النبي في معاركه السابقة عن حلية النساء الاسارى، لانه يمثل امر بديهيا في اخلاقيات الاسلام، في عدم التعدي على نساء وعدم مشابهة القيم المتوحشة بالتعدي على اعراض العدو. وإلا إن لم يأت الاسلام بهذه القيم فبماذا له الفضل. هل بان الله واحد وليس ثلاثةَ.. عموما إن تصرف النبي مع الاسرى نساءا ورجالا من اول حروبه كان يوجه الامر بتمامه. سيما ان لديهم فعله يغني عن قوله في الدليل التقليدي.

ماحصل هو انه بعد فترة من رحيل النبي، اضاف كهنوت الجواري لهذه الحادثة قضية استفتاء النبي، ومن ثم منحوها اية تناسب بغيتهم، فكانت ايةَ(والمحصنات..) وهو الامر عينه الذي اشار له ابن ابي طالب في مقولته؛ (كم من ظلالةَ زخرفت بايةَ من القرآن..)

من آلام البنية المعرفية اللاإنسانوية في الفقه، هو انه حينما استدل جماعة من السلف على حلية زواج الامة المشركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس، وخالفهم اخرين. قال المخالفين؛ ان نساء اوطاس لعلهن أسلمن أو كن كتابيات[184]. أي لم تكن ازمة هؤلاء المخالفين هو ظلم وبشاعة وخطيئة استحلال إمراة وهي في ضيم الاسر (الحرام الانسانوي). وانما هل يمكن الارتباط بمشركة ام لا؟ (الحرام الديني). لااعرف ماذا اقول

---

[184] ن، م. ص390.

عنهم اعيوني. كل ماأستطيعه هو اني اكفر بهذا الفقه من السماء الى الارض. وافرح بكفري به.

ثم يدسون كلاما لابن عباس عن سعيد ابن جبير ؛ هو ان كل ذات زوج اتيانها زنا الا ماسبيت[185]، تعضيدا للحدث وللاية. وهكذا لديهم ان المراة تصير ملك يمين في حضن اخر، وزوجها واطفالها وعائلتها يعانون في الاسر والاستعباد والتهجير والتفريق والجوع.

من جهة أُخرى، الخبر لم يروه الا رجل واحد، هو ابي سعيد الخدري، ولا ثاني له[186] ، رغم ان الحادثة ليس شخصية بين النبي والخدري، كانوا منعزلين بها، حتى نعذر عدم وصولها عن طرف اخر، وانما هي حادثة جماعية، حادثة جيش الكل طرف فيها. كما ان ابن كثير ومسلم واخرين احيانا يروون قصة اوطاس في غير موضوع حلية نساء السبي، وانما لزواج التمتع، وعن اخرين غير الخدري..مثلا عن أياس بن سلمة عن أبيه، وقوله :" رخص لنا رسول الله عام أوطاس في متعة النساء ثلاثا ثم نهانا عنه[187]-

لايثبتون على حال، سكارى فقه..

---

[185] انظر : الطبري، جامع البيان، ج5 ، ص5.. عادة ماتكون طريقة الدس هو بانسابه الحدث او الحديث او الفتوى الى اعظم الشخصيات الانسانوية في التاريخ الاسلامي كي تحمل مقبوليتها، فيضيفون:(والمحصنات من النساء. قال علي وابن عباس وأبو سعيد الخدري هن ذوات الازواج لا تحل واحدة منهن الا أن تسبى قال عبد الله بن عباس نكاح ذوات الازواج زنا الا أن تسبى وقد كان لها زوج فتحل بملك اليمين وقول آخر أنهن الاماء ذوات الازواج إذا استؤنف عليهن الملك كان فاسخا لنكاحهن روي هذا عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر وأنس.). انظر : معاني القرآن – النحاس ج 2 ص 56

[186] احمد ومسلم والبخاري والترمذي والنسائي جميعا يروونها لابي سعيد الخدري.

[187] البداية والنهاية، ابن كثير، ج 4، ص 364 :

بعض الروايات تقول انه:" نادى منادي رسول الله في الناس يوم اوطاس : أن استبرؤا سباياكم بحيضة[188]-.. بحيضة وليس حيضتين. اذن لكم عجلين هولاء المسلمون في فروجهم.

الخبر أيضا ورط نفسه باية اعتبرها نازله فيه. مع ان الكثير يروونها في اسباب نزول اخرى او يفسروها بوجهة بعيدة عن اوطاس والتمتع[189]. الاهم هو ان هذا النص (والمحصنات من النساء الا ماملكت ايمانكم..) مقطع من اية، وليس اية كاملة. مقطع ينتمي الى اية كبرى، تبدأ وتنتهي الاية بها، كما هي في الهامش[190]، والتي تبدأ بـ(حرمت عليكم) وتنتهي بـ(غفور رحيم). وبما اننا اسلفنا مناهجيا بان كل اية هي ليس

---

[188] تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ص 176.

[189] صاحب البداية والنهاية ابن كثير ، يرويها احيانا لسبب نزول في السبي واحيانا لسبب نزول في زواج المتعة . كما ان الكهنوت الشيعي يفسر الاية بنص على رئيس مذهبه جعفر الصادق، هكذا: (المحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم " قال سمعته يقول هي ان : تأمر عبدك وتحته امتك فيعتزلها حتى تحيض فتصيب منها.). تفسير العياشي، ج 1، ص 232 .

[190] (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً)(23) (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)(24) (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (24).

المقطع المرقم حسب التداول التقليدي، وانما المجموعة الاشكالية ذات الوحدة الواحدة، والتي قد تستمر الى اكثر من اية. واية المحصنات في هذا الكل الكامل تترتبط باشكالية أخرى. ولكن المفسرين اجتزوا هذا النص من وحدة الاشكالية ومن ايتها وأخذت الى عنوان بعيد عن موضوع الاية.

الاية اصلا تتناول طرق الحلية للجسد، في القران بعيدا عن الحرب واهلها. ومن جهة اخرى هي انها من الايات التي لا تنتمي الى مجال اسباب النزول لانها لا ترتبط باشكال مستحدث، او حدث حصل هنا او هناك لمجتمع المؤمنين، وانما ترتبط بمسالة مركزية في وجود الانسان، والتي لا بد ان يطرحها الاسلام اساسا كشيء من تعاليمه المركزية، لارتباطها بقضية حياتية بين الرجل والمراة في وجودهما الجسدي. اي انها لاتحتاج الى حدث كي يستدعيها نزولا.

كما ان ابن كثير ومسلم وغيرهم يروون من طريق اخر، بان اية متعة النساء نزلت عشية معركة اوطاس وليس غداته[191]، سيما ان نص (المتعة) قرانيا ينتمي بالاتفاق سواء شيعيا او سنيا قبل منعه، الى عين اية (والمحصنات ومن النساء)[192].

ايضا مما يمكن به فهم البنية المتوحشة للصوص في الفقه، هو ان نجد استدلالا مغايرا صريحا، في حلية النوم مع المسبيات، يقوم على مبرر الانتقامية. فحينما ياتي احد المفسرين لآية(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ)، يفسرها

---

[191] البداية والنهاية لابن كثير ج 4 ص 364.

[192] {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}

هكذا؛ (..إذ السبي يقطع صلة الزوجة بزوجها الكافر السابق، فتحلّ نكاح المسبية، وذلك مقابلة بالمثل لما يفعله الكفار بالمسلمين { كتاب الله عليكم } أي كتب الله ذلك الحكم عليكم كتاباً)[193]. ويجعل هذا التوحش تكليف الهي واجب، من يتخلى عنه يغدو عاصيا.

7

المخزي للاسلام التاريخي في فقهه التشريعي للجسد؛ هو أنه حين تُعقد مقارنة بين جارية وبين غانية سنجد الامر مع الغانيات افضل بكثير حقوقيا وأخلاقيا، وحتى جماليا، لها و لراغبها على حد سواء..

في المقارنة؛

(الغانية) هي التي قررت مهنتها واسمها، سواء مع قهر الظروف او دونها. بينما (الجارية) جيء بها بالقوة لاسمها و مهنتها وعبوديتها..

الجارية لايشترط (رضاها)، كاهم اس في العقود. سيما العقود التي يكون فيها البدل جسدا. كما لايشترط معها مهرا. بينما وصال الغانية يتوفر على شرطي الرضا والاجر؛ إذ للغانية الحق ان ترفض اوتختار من يطلبها. فهي مالكة امرها، غير مجبورة على المضاجعة. كما انها تستلم اجرا على فرجها، يشابه حق المهر. حتى انها تستطيع ان تحاجج الفقيه على شرعيتها باية (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ).. كما تستطيع ان تدافع عن شرعها بان ابا حنيفة يقف معها في رايه المشهور انه من

[193] تبيين القران ج1.. 130

وطأ إمراة باجر فلاحد عليه [194]. وهنا يبدو ابو حنيفة بالغا في جعل الاصل للحقوق والحرية لا للخطيئة.

أما الجارية فمسكينة لاوجود لاي حرية معها في انتقالها الى جسد رجل اخر، ولامال لها إزاء المضاجعة؛ جسدها مسخر لسيدها دون مال. بل يرى الكهنوت انه يمكن لسيده ان يؤجر جسدها فقط وحينها المال له ايضا.. إذن الغانية هي طرف في العقد، و في الاجر.. بينما مع الجارية فهي ليست طرفا في العقد ولا في الاجر لجسدها.

ماهو الاهون اخلاقيا على الفرد؟. ان يجبر امراة يسلبها من اهلها وارضها وشرفها بالقوة وتحويلها الى الة جنسية، ام ان ينام معها بموافقتها، ويأجرها؟. اعتقد ان السؤال بسيط. ولكنه يفضح الزور الكبير للكهنوت..لذلك عرضت هذا الامر التاريخي المنتهي لتبيين هشاشة وتفاهة وسقوط المنحى المعرفي للتشريع الديني.

الان لو حصلت دولة اسلامية -لاسمح الله- استطاعت ان تغزو العالم واحتلت الدول المسيحية واخذت النساء سبيا. فهل حينها جبر مسيحيات البيت خير ام الافضل اعطاء غواني المسيحيات مالا، والنوم معهن حسب رغبتهن؟..

الغانية تحدد وقت ارتباطها قدر ماتشاء، بينما لايجوز للجارية الخروج عن ساحة مالكها، والا دخلت في عنوان العبد (الآبق)، ويقام عليها الحد، لمجرد هروبها الى حريتها.

---

[194] انظر :أحكام القرآن - الجصاص ج 2 ص 184

يُقتل الرجل بقتله غانية، بينما يستطيع مالك الجارية ان يقتلها دون ان تقتل بـه(لايقتل الحر بالعبد). وفي هذا الزاوية امر غريب وفتوى مخزية ترى ان اللواط بالغلام العبد لايوجب القتل كما هو اللواط بالغلام الحر، وانما يلحقه التعزير/ عقاب خفيف فحسب. رغم ان الحكم متوجه الى خطيئة اللواط وليس شخصية اللائط والملوط به؛ أكان كافرا ام مؤمنا، عبدا ام سيدا..

لو اراد احد زواج الجارية، فليست لها قرار في الامر؛ قبولا او رفضا، الامر عند سيدها، والا فزواجها باطل، وعملها زنا يقتضي جلدا. بينما الغانية شأنها شأن باقي النساء في زواجها. بل الغريب هو ان الطلاق ايضا بيد سيدها وليس بيد زوجها. والاصالة لديهم للملكية وليس للزوجية. اه ايها الكهنوت ماذا فعلت بالنبي.

الغانية تصنف على باقي الناس في حكم القذف والشتم فيجلد قاذفها ثمانين جلدة، بينما الجارية لاوجود لكرامتها ولاعقاب على من اذاها في ذلك. فمن قذف غير حرة، لا يجلد ثمانين[195].. هذا مايقوله، اشك اني اقرأ..

والتعدي القيمي الاكبر في حلية الجاري، وبما يمثل فضيحة تشريعية كبرى، هو انها حلية، لاتعبأ بان تكون الجارية ذات زوج، فشراءوها او سبيها يكفيان لشرعة وطأها، حتى وان كانت متزوجة..

..ولايتوقف الظلم الفقهي عند هذا الحد ..

---

[195] تفسير مجمع البيان للطبرسي، ج3،ص57

اعتبروا زواجها امرا لايحبذه الله(مكروها) بالاصطلاح الشرعي، واعتباره نوعا من اكل الميتة للمضطر الذي يخاف هلاك نفسه فيترخص في اكلها ليحيي نفسه[196]. بل يصل مع بعضهم الى تحريمه مع من يستطيع الزواج من حرة[197]. مع ان هذا لم يشرع حتى مع الغانية، إذ ان عين اولئك الفقهاء لم يشرطوا في الزواج العفة ابدا، ولم يتحدثوا في هذا بتاتا في مباحث الزواج على طول التراث التشريعي، اما ماتمنوه لعفتها فذاك من امنيات التراث الاخلاقي لا التشريعي. كما انه لو تزوج وفهم الزوج لاحقا انها امة وليست حرة، يكون للزوج حق الفسخ[198]، وهو مما لايكون مع الغانية ان اكتشف زوجها انها غانية بعد الزواج. يبقى له حق الطلاق لا الفسخ.

كما ان الامة ليس لها حق الاستمتاع مع زوجها، وليس لها شراكة مع الزوجة الحرة في واجب التقسيم بين الزوجات. بينما الغانية لها ذلك. علما ان كثير من الزوجات غانيات بجدارة.

ليس للجارية حق في خيار الفسخ ان تزوجها مجبوب او عنين كما هو الحق مع الزوجة الحرة[199]. علما ان الامة هي فتاة لاتمت بعلاقة للعهر وبيع الهوى في جذورها. الغزاة حولوها الى ذلك، وليست منقطعة عن عائلتها كما هي الغانية عادة. فلايمس ذاتها وطن وحبيب وزوج واطفال واهل..

هنا تهون مصيبة المبغى امام الله. حينما يعرف مصيبة المعبد.

---

[196] انظر تلك الاراء؛ جامع البيان الطبري، ج5 ، ص23

[197] الام للشافعي. ج2، ص10.

[198] تحرير الاحكام للعلامة الحلي، ج3،ص54..

[199] المغني، ابن قدامة، ج8، ص150.

لذلك، لو استطاع المبغى ان يعرض مافطه المعبد. لانتصر عليه امام الله.. سيما ان الاول يعترف بخطيئته, بينما الثاني يقول بالهيته..

الغريب من الفقهاء انهم كانوا يحللون الفا من الجواري لهارون الرشيد ويجدونه اعبد اهل الارض في نفس الحين[200]. ويكفرون عاشقة ضاجعت وحيدا بعشقه ليعتبرونه زنا وكبيرة. وكأن هم الله جسد تلك العاشقة، وليس تلك الارواح التي خنقها الرشيد طوال اعوام.

8

---

[200] بلغ الامر أن فقيههم كان يحلل للخليفة جارية نكحها ابو الخليفة نفسه. رغم ان الجارية عينها تعترض عليه وتقول له: (لقد طاف بي ابوك). ولا يمتنع ابو يوسف القاضي ان يجد حيلة لذلك، كما حصل مع عين الرشيد هذا حينما تولع بجارية كانت لابيه المهدي، فوطأها ببركة ابي يوسف وفقهه..

الغريب ان الجارية كانت من تستحرم وترفض وليس خليفة الامة وفقيهها علما ان الجارية ستخسر خسارة كبيرة برفضها، لماعرف من تقاتل المقربات من الخليفة على الحظوة عنده.. ولاحظوة عنده الا بالجسد..

بعد كتابة هذا النص بفترة وجدت صدفة تعليقه لاحد المتمردين القدامى على هذه الحادثة وعجبه منها. بقوله؛ فلم ادر ممن اعجب؛ من هذا الذي وضع يده في دماء المسلمين يسفكها دون حساب ثم يتحرج عن حرمة ابيه او من هذه الامة التي رغبت بنفسها عن امير المؤمنين، او من هذا فقيه الارض وقاضيها قال له اهتك حرمة ابيك واقض شهوتك وصيره في رقبتي.) عن تاريخ الخلفاء للسيوطي.. ولابأس مجانا؛ من مهازل تلك المباحث رأي يقول ان الجارية ان وطاها اثنان في طهر فالطفل لمولاها.

مايفوق ذلك انحطاطا، هو قول الكهنوت باحكام في لعبة جسد الجارية لايقول بها حتى المتهتك، ليشوه بها طريق النبي الى اقبح الصورة الايديولوجيا تاريخيا، بل صورة لحضارات شاذة اخلاقيا. منها؛

اذا رغب السيد بوطأ جاريته المتزوجة تحت خدمته؛ سواء من عبد او من حر، فيطلب من زوجها عدم مسها زمن حيضيتين، ومن ثم ليتمتع بجسدها ماشاء، حتى اذا فرغ منها رجعت لزوجها، ولا حاجة الى عقد جديد، كما لاحاجة الى طلاق حين عزلها[201].

كما قالوا ان الجارية المتزوجة إن باعها مالكها- وهو ليس زوجها- حل على المشتري جسدها. بحيث جعلوا عقد الشراء اقوى من عقد الزواج. بل اسسوا اعتباطا قاعدة لذلك تقول ان بيع الجارية هو طلاقها، اي بمجرد ان تباع تبطل زيجتها، رغم ان بائعها ليس زوجها، وانما سيدها.. أي اصبح سيدها اولى من زوجها في طلاقها. ورغم وقاحة هذا الحكم ورفضه بداهة، ولكن اقله، هذا يتناقض مع قاعدتهم(الطلاق بيد من اخذ بالساق) في عين فهمها التقليدي معهم بحصره بالزوج دون غيره، ناهيك عن تناقضها مع الفهم التصحيحي للقاعدة كما سلف في مبغى المعبد، بان النبي اراد بهذه القاعدة- هذا على

[201] اعتبروا هذا الحكم هو تفسير الاية(والمحصنات من النساء الا ماملكت ايمانكم)، حسب مزاجهم. مسكينة هذه الاية (والمحصنات...) أتعبت كثيرا.. اينما اذهب في التراث ومفارقاته في الجسد الا وجدتها امامي.. والنص في مصدره يقول؛ (معنى " والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم " هو أن يأمر الرجل عبده وتحته امته فيقول له : اعتزلها فلا تقربها، ثم يحبسها عنه حتى تحيض ثم يمسها، فإذا حاضت بعد مسه إياها ردها عليه بغير نكاح) العياشي، تفسيره، ج1، ص232 .. وفي نص اخر ؛(تأمر عبدك وتحته امتك فيعتزلها حتى تحيض فتصيب منها) نفس المصدر والصفحة.

فرض انه قائلها- حصر الطلاق بالرجل والمراة دون غيرهما، باعتبارهما اهل الفراش. قبل ان يزوّرها الكهنوت بمقاسات اعرافه الذكورية.

من غرائب الفقه الاستعبادي، انه يمكن استئجار او وهب الفرج؛ إذا أحل الرجل لاخيه فرج جاريته فهي له حلال . بل يصل الامر ان يشرع بطريقة لم تصل لها دور البغاء، (إذا أحل الرجل من جاريته قبلة لم يحل له غيرها، فان أحل له ما دون الفرج لم يحل له غيره، فإن أحل له الفرج حل له جميعا)[202] اليست هذه الزوايا الشاذة اسوء مما الحقوه بالقرامطة في خصوص الاباحية. سيما انا القرامطة ينكرون ذلك بينما هولاء لاينكرونها وهي في صلب تراثهم التشريعي.

ايضا، تعدى الامر الى حلية وطأ الحامل رغم انه لايجوز حتى العقد عليها مع الحرة. او لدى البعض مثلا؛ اذا تعدى حملها اربعة اشهر وعشر ايام جاز له وطنها في الفرج..

الغريب انه حينما ياتي احد الفقهاء المهمين الى راي احد ائمة الفقه القدامي ورفضه وطا الجارية الحامل في الفرج او بمادون الفرج- وهو حكم انساني بلاشك، اقلها لبديهية فقهية كونها حاملا- فلا يتحمل هذا الرأي، ليعلق على هذا الرفض؛(ان قوله؛ لا يقربها فيما دون الفرج، فمحمول على الكراهية دون الحظر)[203]. ليقوم بتحليله. اي انه يجد المنع امر مبالغة به، وان الامر ليس فيه اي مشكل اخلاقي او ضرر انسانوي.

---

[202] الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، ج 2 ص 353-354.

[203] تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي ج 8، ص 176

بعض العناوين يرد فيها جواز وطا البنات الصغار، اللاتي لم يحضن بعد، وحق فض بكارتها. ومن غريب التوحش مع الكهنوت الديني في هذا هو ماينقله هذا النص وفتواه؛(الرجل يشتري الجارية وهي حامل، فما يحل له منها ؟ فقال : ما دون الفرج ، قلت : فيشتري الجارية الصغيرة التي لم تطمث وليست بعذراء أيستبرئها ؟ قال : امرها شديد إذا كان مثلها تعلق فليستبرئها.)[204] هنا الغرابة.. إذ ليست ازمة المفتي في الحرام والحلال هنا هو الجانب الانساني في عدم المقبولية مع صغيره ووقاحة ذلك وعذابات تلك الطفلة، وانما هل يمكن ان تحمل او لا، وبالتالي هل من حاجة الى حيضة او لا.. ماأوقحه من فقه، يفكر بذلك فحسب بكل صوريةتجريدية بعيدا عن ذات الطفلة الصغيرة.

من غرائب الفقه الاستعبادي ايضا، هو ان البعض حلل الجمع بين الاختين في عالم الجواري.وبعضهم اراد ان يكون اقل سوءا، فشرط الا تمس الثانية الا بما دون الفرج..

ايضا من تلك الفضائح؛ هو رغم ان الجارية الجديدة يوجب استبراءها في عين الفقه الكهنوتي، تماما كما المطلقة لايمكن العقد عليها الا بعد استبراءها. ولكن البعض لم يطق ذلك فجوز وطا الجارية بما دون الفرج قبل استبراءها[205].. وهكذا يمكن ملاحضة

---

[204] نفس المصدر والصفحة.

[205] يمكن رصد ومراجعة كل تلك الفضائح على مدار الصفحات السابقة بما ارصفناه هنا من مصادرها دون ترتب؛ التبيان للطوسي، ج3، ص109... فقه القران للقطب الراوندي، ج2، ص86... جامع البيان،ج5، ص5 ... العياشي تفسيره، ج1، ص232 ... احكام القران للجصاص ج2ص164.. تفسير القرطبي، ج3، ص90.. تفسير العياشي ج1 ص233.. الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، ج 2 ص 353-354... تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي، ج 4 ، ص 285 : مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي ج 3 ص 57... تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي ج 8، ص 176... كذلك جامع الجوامع وغيره.. المشكلة ان الكهنوت هنا يجعل اراءه على لسان شخصيات انسانوية عملاقة كانت تبرء اصلا من الكهنوت والاسلام الامبراطوري، براءة الصادق وابي حنيفة من مذهبيهما.

ان للفقه مباحثا في العبيد، تدرس فيها فنون اغلالهم الوجودية باسم الله، بما لم يبوب فيها اكثر الايديولوجيات كفرا وقبحا وفسقا. وبمايستحق معها ان يغلق الفقه كل ملفاته ويضعها جوار جرائم التاريخ الكبرى والخيانات الكبرى للمعبد. الا يكفي ذلك للقول ان الفقه كفر بالله، كما التاريخ كما الدين. وان الاديان من اسست الكفر بالله دون غيرها.. هذه هي مفارقات الوجود، والتاريخ.

9

تلك الحقائق وقرفها هي عينها التي جعلت عمر بن عبد العزيز كفرد متمرد على الاسلام التاريخي، وكنقطة استثناء فيه، يتفوق على كل الفقهاء والمفكرين الاسلامين، ليخصم مسالة الجواري، بقوله انها ليست الا زنا. وهو من اهم الادلة التي اركن اليها رغم انه ليس بفقيه ولافيلسوف ولامتكلم، ورغم انه نص يحمل ضنية تاريخية. ولكن شانه في ذلك شأن ابي ذر في وضوح الدين النبوي معه وانتصاره وانفراده على كل الفقهاء بصحة تفسير اية(الذين يكنزون الذهب والفضة). ومايقويه أكثر هو انه من الاخبار المهملة في التراث الاستدلالي، وكل الحقيقة في المهمل من تراث الشعوب، لاالرسمي.

ما يرويه ابن عساكر في ذلك، هو ؛(ان العباس بن الوليد كان عند عمر بن عبدالعزيز وكانت تعرض جواري لامراء بني امية. وكانت كلما تمر به واحدة جميلة تعجبه، حينها يقول لعمر بن عبدالعزيز؛ يا أمير المؤمنين اتخذ هذه لك...

فلما الح عليه، اجابه بن عبدالعزيز؛ أتامرني بالزنا..

وهنا خرج العباس فمر بجماعة من الامويين على الباب، فقال لهم؛

ماقعودكم بباب رجل يزعم ان اباءكم كانوا زناة)[206]..

لم يقل ابن عبد العزيز انه شيء غير لائق او امر معيب مثلا، وانما راه زنا بالتحديد الاسلامي كمفهوم له هوية متفق عليها بالتحديد الاخلاقي، وليس بالتحديد العرفي، والا فالعرف الجاهلي كان يرى الجارية حق طبيعي. لذا فهو يتكلم عن ضاهرة الجواري كجواري بقرينة كلام بن الوليد عينه ؛ ان اباءكم كانوا زناة.. لذا ينفع ايضا رد العابس ابن الوليد في فضح ان قصة الجواري وضاهرتها هي صفة اباءه الامويين، ومن لف لفهم وليس من صفة رجالات الاسلام. وهو مايفضح نشأة الاماء خارج الاسلام والدين كحاجة دنيوية جاءت بها قصة الغنيمة لاغير.

كما ان بن عبد العزيز لولم يكن قاطعا بان النبي لايملك اماءا ولايحلل الجواري لما قال كذلك والا يكون حينها متهما للنبي نفسه. بينما المعروف انه المصلح والمنقذ لدين النبي.

زاوية ايضا اجدها مركزية رغم انها ايضا تهمل في التراث، شأنها شأن الحدث السالف لعمر بن عبد العزيز. ينقل التاريخ في قصة لجعفر الصادق انه سأل شخصا؛(هل انت ورع. فاجابه بنعم. قال له؛ ولكن لديك جارية حينما خرجت مسحت على صدرها) فرفض الامام صحبته. ولازم كلامه هو انه لاوجود لحق جسدي بالجارية، حينما اعتبر مسح صدرها خطيئة دين، فكيف إذن بوطأها. و مفردة الورع هنا في النص هي الالتزام الايديولوجي التي يكون على اساسها تستحق اسم الاسلام ودينه، وتسمية مسلم او لا. إذن المسألة مركزية في الايديولوجيا الاسلامية، بحيث تنفي صحبته واسلامه وورعه..

---

[206] ابو يوسف الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج1، عمر بن عبدالعزيز.

من جهة اخرى انه خبر لايخص الجواري في اصله وانما عن الورع، لذا فهو حديث غير متهم في تزويره من ناحية الجواري. كما انه ايضا الاخبار المهملة في التراث الاستدلالي. وكل الحقيقة في المهمل.

10

ليس الاشكالية الاخلاقية هنا ضد الاسلام التاريخي، متمركزة في قضية الجسد المستباح مع الجواري. وانما تقع على عذابات تلك الاستباحة وعبوديتها. لان مفهوم (الاخلاق) هنا مع النبي لا يقيم نفسه عند دائرة (الجنس)، كما هو عادة في المدارات الدينية، بقدر ماهو في دائرة (عذابات) العبودية معه. اي ان مفهوم (الاخلاقي) مع النبي، هو ما يرتبط بالانسانوي؛ الظلم وضلامته، وليس الجسد ولعبته. العبودية وليس الجسد.اي ان النبي يوحد بين الاخلاقي والانسانوي وليس بينه والجسدي. وهو ما يمكن اعتباره من الاضافات النبوية الكبرى في التجديد المفاهيمي معه. لذا النبي يرى الازمة الاخلاقية هنا تكمن في العبودية وليس في الفرج، الانسانوية لا الجسدية. اي البعد الاخلاقي هنا لايقوم على عناوين استباحة الجسد في انه زنا، وليس هو الخطيئة، وانما الظلم هو الامر اللاأخلاقي وهو الخطيئة فحسب. وازمة الجارية هي انسانوية في حياتها، لا اخلاقية في جسدها .

لذا كان رفضنا لحكاية الجارية في التاريخ وتشريعها ليس لاحتلال جسدها، لان بكاها واساها لم يكن على جسدها وركوبه فقط، وانما أساها كان انسانويا يعود الى عموم ازمتها الوجودية في زوايا؛ فراقها اهلها، وحبيبها ، وزوجها ، وطفلها ، وديارها.. والى احتقارها كسلعة وليس كوجود انساني .

وهنا كل التهمة على التشريع الكهنوتي لتحليله هذا الظلم الكبير، وليس في تحليله فقط الجسد للسيد.

فالنبي حينما يسمع امة خادمة تبكي فيسأل، فيقال له ان ابنتها مباعة في اليمن فيرسل مالا ليجمعهما[207]، كان لاثر البعد المعنوي في فراق الاهل وليس لارهاق الخدمة، وان الظلم في الفراق وليس في الخدمة. او مثلا حينما ينقل تلميذ بارز لجعفر الصادق انه جلب له صبية من الكوفة لتخدمه، فذهبت لتقوم في الحوائج فتنهدت: يا اماه ، فسألها الصادق: ألك ام ؟. قالت : نعم. حينها أمر بردها الى امها. وقال حينها: (ما آمنت ان لو ابقيتها ان أرى في ولدي ما أكره).. هذا ايضا لبعد وجودي في عذابات العبيد وليس في الخدمة او عذابات الجهد الاستعبادي. وكذا الامر حينما يستفتي تلميذ استاذه الصادق؛ عن خادمين أخوين. هل يُفرق بينهما ؟.وعن المرأة وولدها ؟ قال : (لا ، هو حرام ، الا أن يريدوا ذلك)[208].

---

[207] أتى رسول الله اسارى من اليمن ، فلما بلغوا الجحفة نفدت نفقاتهم ، فباعوا صبية كانت امها معهم ، فلما قدموا على النبي سمع بكائها ! فقال : " ما هذه ؟ " قالوا : يا رسول الله احتجنا إلى نفقة فبعنا ابنتها ، فبعث بثمنها واتي بها الى امها.. قد يقول احدهم لماذا يتعب نفسه ليجلب تلك من اليمن لماذا لايحرر الام ويدعها تذهب لابنتها. ولماذا لم يعاتب اصحابه انهم باعوا انسانا.. كل القصة هو في لعب التراث ونقل الحكايات وماوراءها.

[208] انظر هذه البقايا في؛ عوالي اللئالي – ابن ابي جمهور الأحسائي ج 3 ص 228.. يروي احد تلامذة الصادق ايضا بانه اشترى جارية سرقت من ارض الصلح ، فامر الصادق بردها.

بينما في الاسلام الامبراطوري سارت بالجواري قصص يشيب له الرأس. تكفي ان تكون الفضيحة الانسانية الام للكهنوت والناسفة تماما لاخلاقية كل تشريعاته. وتكفي لو قراء هذه النصوص الافارقة الامريكيون احفاد العبودية لتركو الاسلام بيوم وليلة..

11

بنية اخرى في مناحي الفقه تبين السطحية المخزية للتشريع من جهة، واولوية التعيدي على الانسانوي. فالفقهاء يحرمون بيع الجارية المغنية(القيان). ولكن ليس لاجل الجارية في عبوديتها وعذاباتها فيه، وانما ضد الغناء. اي ضدها ونبذا لها وتطهرا منها. فبيعها لديهم كجارية حلال، ولكن غناءها حرام.. امرهم غريب، إذ هنا لم يفكروا في ازمة الجارية وجوديا وفي عبوديتها، مغنية كانت او غيرها، وفي ظلاماتها وعذابتها وحرمة عذاب الانسان، وانما همهم هو الغناء وحرمته. اي لم يكن همهم هو حرمة بيع الانسان، وانما حرمة الغناء فحسب. مااكبرها من حماقة دينية. هل يقبل الله بهولاء رجالا لدينه، محال. لانهم سيكونون لصوصه فحسب. سرقوا كل الوجود والحقيقة والاسلام والنبي.

هذي السطحية في حد ذاتها تبين الوحشية المتناهية في عدم الشعور بالم الاخر، وهي تتكرر كثيرا. ومنها ايضا ما نقله القطب اليونيني ببرود بانه (اتفق أن " الظاهر " عندما فتح الفتوحات المشهورة، وغنم الناس الجواري وتسرّوا بهن، بدون تخميس، ثم شكوا في حرمة ذلك قبل التخميس، ف سئل التاج– مفتي الديار – عن جواز ذلك فرخّص في ذلك، وصنّف جزءاً في إباحة ذلك من غير تخميس،)[209]. كان هذا الفقيه يبحث في نصوص

---

[209] المنهل العذب الروي في ترجمة قطب اولاالياء النووي.. السخاوي ج1 ص 5

التراث عن حلية مضاجعة تلك النساء المسبيات قبل التخميس. اي ان ازمته التخميس وليس هتك اعراض الناس واغتصابهن وجرهن من بيت اهلهن وسط كل قتلاهم وفزع الاطفال. يخاف من شرع الله بانه سيكون حرام ان ناموا معهن قبل التخميس، ولايخشى الله في الامهن.

إلهي، هذا هو الكهنوت. هل خلقت غير البشر بين البشر، لااعلم بدأت اشك.


انسان insan